تابع تفسير سورة العنكبوت

الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تُجَادِلُوَاْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاّ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاّ الّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُواْ آمَنّا بِالّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـهُنَا وَإِلَـهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَلا تُجادِلُوا أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى, وهم أهْلَ الكِتابِ إلاّ بالّتِي هِيَ أحْسَنُ يقول: إلاّ بالجميل من القول, وهو الدعاء إلى الله بآياته, والتنبيه على حُججه.

وقوله: إلاّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم: معناه: إلاّ الذين أبوا أن يقرّوا لكم بإعطاء الجزية, ونصبوا دون ذلك لكم حربا, فإنهم ظلمة, فأولئك جادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية. ذكر من قال ذلك:

21175ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا يزيد, عن سفيان, عن خصيف, عن مجاهد, في قوله: وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاّ بالّتِي هِيَ أحْسَنُ إلاّ الّذِينَ ظَلَمُوا منهمْ قال: من قاتل ولم يُعط الجزية.

حدثنا ابن وكيع, قال: ثني أبي, عن سفيان, عن خصيف, عن مجاهد, بنحوه. إلاّ أنه قال: من قاتلك ولم يعطك الجزية.

21176ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاّ بالّتِي هِيَ أحْسَنُ قال: إن قالوا شرّا, فقولوا خيرا, إلاّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُمْ فانتصروا منهم.

21177ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله إلاّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قال: قالوا مع الله إله, أو له ولد, أو له شريك, أو يد الله مَغْلولة, أو الله فقير, أو آذَوْا محمدا صلى الله عليه وسلم, قال: هم أهل الكتاب.

21178ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن سالم, عن سعيد وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاّ بالّتِي هِيَ أحْسَنُ, إلاّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قال: أهل الحرب, مَنْ لا عهد له, جادِلْه بالسيف.

وقال آخرون: معنى ذلك: وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ الذين قد آمنوا به, واتبعوا رسوله فيما أخبروكم عنه مما في كتبهم إلاّ بالتي هِيَ أحْسَنُ, إلاّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ. فأقاموا على كفرهم, وقالوا: هذه الآية مُحْكَمة, وليست بمنسوخة. ذكر من قال ذلك:

21179ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاّ بالّتِي هِيَ أحْسَنُ قال: ليست بمنسوخة, لا ينبغي أن تجادل من أمن منهم, لعلهم يحسنون شيئا في كتاب الله, لا تعلمه أنت, فلا تجادله, ولا ينبغي أن تجادل إلاّ الذين ظلموا, المقيمَ منهم على دينه. فقال: هو الذي يُجادَلُ, ويُقال له بالسيف. قال: وهؤلاء يهود. قال: ولم يكن بدار الهجرة من النصارى أحد, إنما كانوا يهودا

هم الذي كلّـموا وحالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم, وغـدرت النضـير يوم أُحُد, وغدرت قُريظة يوم الأحزاب.
وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية قبل أن يؤمر النبـيّ صلى الله عليه وسلم بـالقتال, وقالوا: هي منسوخة نسخها قوله: قاتِلُوا الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بـاللّهِ وَلا بـالـيَوْمِ الآخِرِ. ذكر من قال ذلك:
21180ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله وَلا تُـجادِلُوا أهْلَ الكِتـابِ إلاّ بـالّتِـي هِـيَ أحْسَـنُ ثـم نسـخ بعـد ذلـك, فـأمر بقتالهم فـي سورة بـراءة, ولا مــجادلة أشـدّ مـن السـيف أن يقـاتلوا حتــى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله, وأن مـحمدا رسول الله صلى الله عليـه وسـلم, أو يقرّوا بـالـخَراج.
وأولـى هذه الأقوال بـالصواب, قول من قال: عنى بقوله إلاّ الّذِينَ ظَلَـمُوا مِنْهُمْ: إلاّ الذين امتنعوا من أداء الـجزية, ونصبوا دونها الـحرب.
فإن قال قائل: أو غير ظالـم من أهل الكتاب, إلاّ مـن لــم يـؤدّ الــجزية؟ قـيـل: إن جميعهـم وإن كـانوا لأنفسـهم بكفرهـم بــالله, وتكـذيبهم رسـوله مـحمدا صلى الله عليه وسلم, ظَلَـمة, فإنه لـم يعن بقوله إلاّ الّذِينَ ظَلَــمُوا مِنْهُمْ ظُلْـمَ أنفسهم. وإنـما عنى به: إلاّ الـذين ظلــموا منهـم أهـل الإيــمان بـالله ورسوله مـحمد صلى الله عليه وسلم, فإن أولئك جادلوهم بـالقتال.
وإنـما قلنا: ذلك أولـى الأقوال فـيه بـالصواب, لأن الله تعالــى ذكـره أذِن للـمؤمنـين بجدال ظلـمة أهل الكتاب بغير الذي هو أحسن, بقـوله إلاّ الّـذِينَ ظَلَـمُوا مِنْهُمْ فمعلوم إذ كان قد أذن لهم فـي جـدالهم, أن الـذين لــم يـؤذن لهم فـي جدالهم إلاّ بـالتـي هي أحسـن, غيـر الـذين أذن لهـم بـذلك فــيهم, وأنهم غير الـمؤمن, لأن الـمؤمن منهم غير جائز جداله إلاّ فـي غيـر الــحقّ, لأنه إذا جاء بغير الـحقّ, فقد صار فـي معنى الظلـمة فـي الذي خـالف فــيه الـحقّ. فإذ كان ذلك كذلك, تبـين أن لا معنى لقول من قال: عنـى بقـوله وَلا تُـجادِلُوا أهلَ الكِتابِ أهل الإيــمان منهـم, وكـذلك لا معنـى لقـول مـن قـال: نزلت هذه الآية قبل الأمر بـالقتال, وزعم أنهـا منسـوخة, لأنـه لا خـبر بـذلك يقطع العذر, ولا دلالة علـى صحته من فطرة عقل.
وقد بـيّنا فـي غير موضع من كتابنا, أنه لا يجوز أن يحكم علــى حكـم اللـه فـي كتابه بأنه منسوخ إلاّ بحجة يجب التسلـيـم لها من خبر أو عقل.
وقوله: وَقُولُوا آمَنّا بـالّذِي أُنْزِلَ إلَـيْنا وأُنْزِلَ إلَـيْكُمْ, وَإلَهُنـا وإلهُكُـمْ وَاحِـدٌ, ونَـحنُ لَهُ مُسْلِـمُونَ يقول تعالـى ذكره للـمؤمنـين به وبرسوله, الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب إلاّ بـالتـي هي أحسـن: إذا حـدثكم أهـل الكتـاب أيها القوم عن كتبهم, وأخبروكم عنها بـما يـمكن ويجوز أن يكونوا فـيه صادقـين, وأن يكونوا فـيه كاذبـين, ولـم تعلـموا أمرهم وحالهم فـي ذلـك فقولـوا لهـم آمّنّا بـالّذِي أُنْـزِلَ إلَــينا وأُنْـزِلَ إلَـيْكُمْ مــما فــي التـوراة والإنـجيــل وَإلَهُنـا وإلهُكُمْ وَاحِدٌ يقول: ومعبودنا ومعبودكم واحـد ونَــحْنُ لَـهُ مُسْلِــمُونَ يقـول: ونـحن له خاضعون متذللون بـالطاعة فـيـما أمرنا ونهانا. وبنــحو الـذي قلنـا فـي ذلك, جاء الأثر عن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم. ذكـر الروايـة بذلك:
21181ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا عثمان بن عمر, قال: أخبرنا علـيّ, عن يحيى بن أبـي كثـير, عن أبـي سلـمة عن أبـي هريرة, قـال: كـان أهـل الكتـاب يقــرءون التـوراة بـالعبرانــية, فــيفسرونها بـالعربــية لأهـل

الإسلام, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُصَدّقُوا أهْلَ الكِتابِ وَلا تُكَذّبُوهُمْ, وَقُولُوا آمَنّا بالّذِي أُنْزِلَ إلَيْنا وأُنْزِلَ إلَيْكُمْ, وَإلهُنا وإلهُكُمْ وَاحِدٌ, ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ».

21182ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن سعد بن إبراهيم, عن عطاء بن يسار, قال: كان ناس من اليهود يحدثون ناسا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: «لا تُصَدّقُوهُمْ وَلا تُكَذّبُوهُمْ, وَقُولُوا آمَنّا بالّذِي أُنْزِلَ إلَيْنا وأُنْزِلَ إلَيْكُمْ».

21183ـ قال: ثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفيان, عن سليمان, عن عمارة بن عمير, عن حريث بن ظهير, عن عبد الله, قال: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء, فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا, إما أن تكذبوا بحقّ أو تصدّقوا بباطل, فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلاّ وفي قلبه تالية تدعوه إلى دينه كتالية المال. وكان مجاهد يقول في ذلك ما:

21184ـ حدثني به محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إلاّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قال: قالوا مع الله إله, أو له ولد, أو له شريك, أو يد لله مغلولة, أو الله فقير, أو آذوا محمدا, وقُولُوا آمَنّا بالّذِي أُنْزِل إلَيْنا وأُنْزِلَ إلَيْكُمْ لمن لم يقل هذا من أهل الكتاب.

الآية : 47

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَـَؤُلآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَآ إِلاّ الْكَافِرونَ }.

يقول تعالى ذكره: كما أنزلنا الكتب على مَن قبلك يا محمد من الرسل كَذلكَ أنْزَلْنا إلَيْكَ هذا الكِتابَ, فالّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ من قبلك من بني إسرائيل يُؤْمِنُونَ بِهِ, وَمِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يقول: ومن هؤلاء الذين هم بين ظهرانيك اليوم من يؤمن به كعبد الله بن سلام, ومن آمن برسوله من بني إسرائيل.

وقوله: وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاّ الكافِرُونَ يقول تعالى ذكره: وما يجحد بأدلتنا وحججنا إلاّ الذي يجحد نعمنا عليه, وينكر توحيدنا وربوبيتنا على علم منه عنادا لنا. كما:

21185ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاّ الكافِرُونَ قال: إنما يكون الجحود بعد المعرفة.

الآية : 48

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَما كُنْتَ يا محمد تَتْلُوا يعني تقرأ مِنْ قَبْلِهِ يعني من قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطّهُ بِيَمِينِكَ يقول: ولم تكن تكتب بيمينك, ولكنك كنت أمّيّا إذا لارْتابَ المُبْطِلُونَ يقول: ولو كنت من قبل أن يُوحَى إليك تقرأ الكتاب, أو تخطه بيمينك, إذن لارتاب: يقول: إذن لشكّ بسبب ذلك في أمرك, وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذي تتلوه عليهم المبطلون القائلون إنه سجع وكهانة, وإنه أساطير الأوّلين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21186ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ, وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إذا لارْتابَ الـمُبْطِلُونَ قال: كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أمّيا لا يقرأ شيئا ولا يكتب.

21187ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ, وَلا تَخُطّهُ بِيَمِينِكَ قال: كان نبيّ الله لا يقرأ كتابا قبله, ولا يخطه بيمينه قال: كان أمّيا, والأميّ: الذي لا يكتب.

21188ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن إدريس الأودي, عن الحكم, عن مجاهد وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ, وَلا تَخُطّهُ بِيَمِينِكَ قال: كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يخطّ بيمينه, ولا يقرأ كتابا, فنزلت هذه الآية.

وبنحو الذي قلنا أيضا في قوله إذا لارْتابَ الـمُبْطِلُونَ قالوا. ذكر من قال ذلك:

21189ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة إذا لارْتابَ الـمُبْطِلُونَ إذن لقالوا: إنما هذا شيء تعلّمه محمد صلى الله عليه وسلم وكتبه.

21190ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله إذا لارْتابَ الـمُبْطِلُون قال قريش.

الآية : 49

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيّنَاتٌ فِي صُدُورِ الّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَآ إِلاّ الظّالِمُونَ }.

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: بَلْ هُوَ آياتٌ بَيّناتٌ فِي صُدُورِ الّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ فقال بعضهم: عنى به نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, وقالوا: معنى الكلام: بل وجود أهل الكتاب في كتبهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولا يقرأ, وأنه أميّ, آيات بينات في صدورهم. ذكر من قال ذلك:

21191ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله بَلْ هُوَ آياتٌ بَيّناتٌ فِي صُدُورِ الّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ قال: كان الله تعالى أنزل شأن محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل لأهل العلم وعلمه لهم, وجعله لهم آية, فقال لهم: إن آية نبوّته أن يخرج حين يخرج لا يعلم كتابا, ولا يخطه بيمينه, وهي الآيات البينات.

21192ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ قال: كان نبيّ الله لا يكتب ولا يقرأ, وكذلك جعل الله نعته في التوراة والإنجيل, أنه نبيّ أميّ لا يقرأ ولا يكتب, وهي الآية البينة في صدور الذين أوتوا العلم.

21193ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة بَلْ هُوَ آياتٌ بَيّناتٌ فِي صُدُورِ الّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ من أهل الكتاب صدّقوا بمحمد ونعته ونبوّته.

21194ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, بَلْ هُوَ آياتٌ بَيّناتٌ قال: أنزل الله شأن محمد في التوراة والإنجيل لأهل العلم, بل هو آية بينة في صدور الذين أوتوا العلم, يقول: النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: عنى بذلك القرآن, وقالوا: معنى الكلام: بل هذا القرآن آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

21195ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, قال: قال الحسن, في قوله: بَلْ هُوَ آياتٌ بَيّناتٌ فِي صُدُورِ الّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم, يعني المؤمنين.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك: بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا, ولا تخطه بيمينك, آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب.

وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالآية, لأن قوله: بَلْ هُوَ آياتٌ بَيّناتٌ فِي صُدُورِ الّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم, فهو بأن يكون خبرا عنه أولى من أن يكون خبرا عن الكتاب الذي قد انقضى الخبر عنه قبل.

وقوله: وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاّ الظّالِمُونَ يقول تعالى ذكره: ما يجحد نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وأدلته, ويُنكر العلم الذي يعلم من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه, ببعث محمد صلى الله عليه وسلم ونبوّته ومبعثه إلاّ الظالمون, يعني الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله عزّ وجلّ.

الآية : 50

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مّن رّبّهِ قُلْ إِنّمَا الاَيَاتُ عِندَ اللّهِ وَإِنّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مّبِينٌ }.

يقول تعالى ذكره: وقالت المشركون من قريش: هلا أنزل على محمد آية من ربه تكون حجة لله علينا كما جعلت الناقة لصالح, والمائدة آية لعيسى, قل يا محمد, إنما الآيات عند الله لا يقدر على الإتيان بها غيره وَإنمَا أنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ وإنما أنا نذير لكم أنذركم بأس الله وعقابه على كفركم برسوله. وما جاءكم به من عند ربكم مبين يقول: قد أبان لكم إنذاره.

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىَ عَلَيْهِمْ إِنّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىَ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أو لم يكف هؤلاء المشركين يا محمد, القائلين: لولا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية من ربه, من الآيات والحجج أنّا أنْزَلْنا عَلَيْكَ هذا الكِتابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ يقول: يُقرأ عليهم إنّ فِي ذلكَ لَرَحْمَةً يقول: إن في هذا الكتاب الذي أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة.

وذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انتسخوا شيئا من بعض كتب أهل الكتاب. ذكر من قال ذلك:

21196ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عمرو بن دينار, عن يحيى بن جعدة أن ناسا من المسلمين أتوا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود, فلما أن نظر فيها ألقاها, ثم قال: «كفى بها حماقة قوم, أو ضلالة قوم, أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم, إلى ما جاء به غير نبيهم إلى قوم غيرهم», فنزلت: أوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أنّا أنْزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إنّ فِي ذلكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْم يُؤْمِنُونَ.

الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ كَفَىَ بِاللّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالّذِينَ آمَنُواْ بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُواْ بِاللّهِ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للقائلين لك: لولا أنزل عليك آية من ربك, الجاحدين بآياتنا من قومك: كفى الله يا هؤلاء بيني وبينكم شاهدا لي وعليّ, لأنه يعلم المحقّ منا من المبطل, ويعلم ما في السموات وما في الأرض, لا يخفى عليه شيء فيهما, وهو المجازي كل فريق منا بما هو أهله, المحقّ على ثباته على الحقّ, والمبطل على باطله, بما هو أهله وَالّذِينَ آمَنُوا بِالباطِلِ يقول: صدّقوا بالشرك, فأقرّوا به وكفروا به. يقول: وجحدوا الله أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ يقول: هم المغبونون في صفقتهم. وبنحو الذي قلنا في قوله والّذِينَ آمَنُوا بالباطِلِ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21197ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة وَالّذِينَ آمَنُوا بالباطِلِ: الشرك.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلاَ أَجَلٌ مّسَمّى لّجَآءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ويستعجلك يا محمد هؤلاء القائلون من قومك: لولا أنزل عليه آية من ربه بالعذاب, ويقولون: اللّهُمّ إنْ كانَ هَذا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ, فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السّماءِ ولولا أجل سميته لهم فلا أهلكهم حتى يستوفوه ويبلغوه, لجاءهم العذاب عاجلاً. وقوله: وَلَيَأْتِيَنّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ يقول: وليأتينهم العذاب فجأة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه قبل مجيئه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21198ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعَذَابِ قال: قال ناس من جهلة هذه الأمة اللّهُمّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ, فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السّماءِ أوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ... الآية.

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنّ جَهَنّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: يستعجلكَ يا محمد هؤلاء المشركون بمجيء العذاب ونزوله بهم, والنار بهم محيطة لم يبق إلاّ أن يدخلوها. وقيل: إن ذلك هو البحر. ذكر من قال ذلك:

21199ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سماك, قال: سمعت عكرِمة يقول في هذه الآية وَإنّ جَهَنّمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافِرِينَ قال: البحر.
أخبرنا ابن وكيع, قال: حدثنا غندر, عن شعبة, عن سماك, عن عكرِمة, مثله.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }.
يقول تعالى ذكره: وَإنّ جَهَنّمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافِرِينَ يوم يغشى الكافرين العذاب من فوقهم في جهنم, ومن تحت أرجلهم. كما:
21200ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة يَوْمَ يَغْشاهُمُ العَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أرْجُلِهِمْ: أي في النار.
وقوله: وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يقول جلّ ثناؤه: ويقول الله لهم: ذوقوا ما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله, وما يسخطه فيها.
وبالياء في ويقول ذُوقُوا قرأت عامة قرّاء الأمصار خلا أبي جعفر, وأبي عمرو, فإنهما قرآ ذلك بالنون: «وَنَقُولُ». والقراءة التي هي القراءة عندنا بالياء لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

الآية : 56

القول في تأويل قوله تعالى: {يَعِبَادِيَ الّذِينَ آمَنُوَاْ إِنّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيّايَ فَاعْبُدُونِ }.
يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا عبادي الذين وحّدوني وآمنوا بي وبرسولي محمد صلى الله عليه وسلم إنّ أرْضِي وَاسِعَةٌ.
واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أريد من الخبر عن سعة الأرض, فقال بعضهم: أريد بذلك أنها لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحلّ لكم المُقام فيه, ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله فلم تقدروا على تغييره, فاهرُبوا منه. ذكر من قال ذلك:
21201ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن سعيد بن جبير, في قوله: إنّ أرْضِي وَاسِعَةٌ قال: إذا عمِل فيها بالمعاصي, فاخرج منها.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن سعيد بن جُبَير, في قوله إنّ أرْضِي وَاسِعَةٌ قال: إذا عمل فيها بالمعاصي, فاخرج منها.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن رجل, عن سعيد بن جُبَير, قال: اهرُبوا فإن أرضي واسعة.
21202ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن شريك, عن منصور, عن عطاء, قال: إذا أمِرتم بالمعاصي فاهرُبوا, فإن أرضي واسعة.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن منصور, عن عطاء إنّ أرْضِي وَاسِعَةٌ قال: مجانبة أهل المعاصي.
21203ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله إنّ أرْضِي وَاسِعَةٌ, فهاجروا وجاهدوا.

21204ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله يا عِبادِيَ الّذِينَ آمَنُوا إنّ أرضِي وَاسِعَةٌ فإيّايَ فاعْبُدُونِ فقلت: يريد بهذا من كان بمكة من المؤمنين, فقال: نعم.

وقال آخرون: معنى ذلك: إن ما أخرج من أرضي لكم من الرزق واسع لكم. ذكر من قال ذلك:

21205ـ حدثنا الحسن بن عرفة, قال: ثني زيد بن الحباب, عن شدّاد بن سعيد بن مالك أبي طلحة الراسبي عن غَيْلان بن جرير المِعْولي, عن مطرّف بن عبد الله بن الشّخّير العامري, في قول الله: إنّ أرْضِي وَاسِعَةٌ: قال: إن رزقي لكم واسع.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا زيد بن حباب, عن شدّاد, عن غَيلان بن جرير, عن مُطَرّف بن الشّخّير إنّ أرْضِي وَاسِعَةٌ قال: رزقي لكم واسع.

وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال: معنى ذلك: إن أرضي واسعة, فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي لدلالة قوله فإيّايَ فاعْبُدُونِ على ذلك, وأن ذلك هو أظهر معنييه, وذلك أن الأرض إذا وصفها بِسعَة, فالغالب من وصفه إياها بذلك, أنها لا تضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع, لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب.

وقوله: فإيّايَ فاعْبُدُونِ يقول: فأخلِصوا إلى عبادتكم وطاعتكم, ولا تطيعوا في معصيتي أحدا.

الآية : 57 -59

القول في تأويل قوله تعالى: {كُلّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ثُمّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ * وَالّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ لَنُبَوّئَنّهُمْ مّنَ الْجَنّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىَ رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ}.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب نبيه: هاجِرُوا من أرض الشرك من مكة, إلى أرض الإسلام المدينة, فإن أرضي واسعة, فاصبروا على عبادتي, وأخلِصوا طاعتي, فإنكم ميتون, وصائرون إليّ, لأن كل نفس حية ذائقة الموت, ثم إلينا بعد الموت تُرَدّون. ثم أخبرهم جلّ ثناؤه عما أعدّ للصابرين منهم على طاعته, من كرامته عنده, فقال: والّذين آمنوا, يعني صدّقوا الله ورسوله, فيما جاء به من عند الله, وعَمِلوا الصّالِحاتِ: يقول: وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوه فيه, وانتهوا عما نهاهم عنه لَنُبَوّئَنّهُمْ مِنَ الجَنّةِ غُرَفا يقول: لننزلنهم من الجنة عَلالِيّ.

واختلفت القُرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: لَنُبَوّئَنّهُمْ بالباء وقرأته عامة قرّاء الكوفة بالثاء: «لَنُثْوِيَنّهُمْ».

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار, قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القُرّاء, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, وذلك أن قوله: لَنُبَوّئَنّهُمْ من بوأته منزلاً: أي أنزلته, وكذلك لنُثْوينهم إنما هو من أثويته مَسْكَنا إذا أنزلته منزلاً, من الثواء, وهو المُقام.

وقوله: تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ يقول: تجرى من تحت أشجارها الأنهار. خالِدِينَ فِيها يقول: ماكثين فيها إلى غير نهاية نِعْمَ أجْرُ العامِلِينَ يقول: نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرفُ التي يُثْوِيهُمُوها الله في جَنّاته,

تجري من تحتها الأنهار, الذين صبروا على أذى المشركين في الدنيا, وما كانوا يَلْقون منهم, وعلى العمل بطاعة الله وما يرضيه, وجهاد أعدائه وَعَلى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ في أرزاقهم وجهاد أعدائهم, فلا يَنْكُلون عنهم ثقة منهم بأن الله مُعْلِي كلمته, ومُوهِن كيد الكافرين, وأن ما قُسم لهم من الرزق فلن يَفُوتَهم.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَأَيّن مّن دَآبّةٍ لاّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيّاكُمْ وَهُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به, وبرسوله من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه, ولا تخافوا عيلة ولا إقترارا, فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب لا تحمل رزقها, يعني غذاءها لا تحمله, فترفعه في يومها لغدها لعجزها عن ذلك اللّهُ يَرْزُقُها وَإيّاكُمْ يوما بيوم وَهُوَ السّمِيعُ لأقوالكم: نخشى بفراقنا أوطاننا العَيْلة العَلِيمُ ما في أنفسكم, وما إليه صائر أمركم, وأمر عدوّكم من إذلال الله إياهم, ونُصْرتكم عليهم, وغير ذلك من أموركم, لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21206ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وكأيّنْ مِنْ دابّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَها قال: الطيرُ والبهائم لا تحمل الرزق.

21207ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت عمران, عن أبي مُجَلّز في هذه الآية وكأيّنْ مِنْ دابّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَها, اللّهُ يَرْزُقُها وَإيّاكُمْ قال: من الدوابّ ما لا يستطيع أن يدّخر لغد, يُوَفّق لرزقه كلّ يوم حتى يموت.

21208ـ حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن سفيان, عن علي بن الأقمر وكأيّنْ مِنْ دابّة لا تَحْمِلُ رِزْقَها قال: لا تدّخر شيئا لغد.

الآية : 61

القول في تأويل قوله تعالى:{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مّنْ خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَسَخّرَ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنّ اللّهُ فَأَنّىَ يُؤْفَكُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من خلق السموات والأرض فَسَوّاهن, وسخّر الشمس والقمر لعباده, يجريان دائبين لمصالح خلق الله, ليقولنّ الذي خلق ذلك وفَعَلَه الله فأنّى يُؤْفَكُونَ يقول جلّ ثناؤه: فأنى يُصْرفون عمن صنع ذلك, فيعدلون عن إخلاص العبادة له. كما:

21209ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة فأنّى يُؤْفَكُونَ: أي يعدلون.

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {اللّهُ يَبْسُطُ الرّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: الله يوسع من رزقه لمن يشاء من خلقه, ويضيق فيُقتّر لمن يشاء منهم. يقول: فأرزاقكم وقسمتها بينكم أيها الناس بيدي دون كل أحد سواي أبسط لمن شئت منها, وأقتر على من شئت, فلا يخلفنكم عن الهجرة وجهاد عدوّكم خوف العيلة إنّ اللّهَ بكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يقول: إن الله عليم بمصالحكم, ومن لا يصلُح له إلاّ البسط في الرزق, ومن لا يصلح له إلاّ التقتير عليه, وهو عالم بذلك.

الآية : 63

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مّن نّزّلَ مِنَ السّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنّ اللّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من نزل من السماء ماء, وهو المطر الذي ينزله الله من السحاب فأحْيا بِه الأرْض يقول: فأحيا بالماء الذي نزل من السماء الأرض, وإحياؤها: إنباتُه النباتَ فيها مِنْ بعدِ مَوْتها من بعد جدوبها وقحوطها.

وقوله: لَيَقُولُنّ اللّهُ يقول: ليقولنّ الذي فعل ذلك الله الذي له عبادة كل شيء. وقوله: قُلِ الحَمْدُ لِلّهِ يقول: وإذا قالوا ذلك, فقل الحمد لله بَلْ أكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ يقول: بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعقلون مالهم فيه النفع من أمر دينهم, وما فيه الضرّ, فهم لجهلهم يحسِبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله, ينالون بها عند الله زُلْفة وقربة, ولا يعلمون أنهم بذلك هالكون مستوجبون الخلود في النار.

الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا هَـَذِهِ الْحَيَاةُ الدّنْيَآ إِلاّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنّ الدّارَ الاَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَما هَذِهِ الحَياةُ الدّنْيا التي يتمتع منها هؤلاء المشركون إلاّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ يقول: إلاّ تعليل النفوس بما تلتذّ به, ثم هو مُنْقَضٍ عن قريب, لا بقاء له ولا دوام وإنّ الدّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ يقول: وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التي لا زوال لها ولا انقطاع ولا موت معها. كما:

21210ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَإنّ الدّارَ الآخِرَةِ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ حياة لا موت فيها.

21211ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله لَهِيَ الحَيَوَانُ قال: لا موتَ فيها.

21212ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله وَإنّ الدّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ يقول: باقية.

وقوله: لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ يقول: لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ذلك كذلك, لقَصّروا عن تكذيبهم بالله, وإشراكهم غيره في عبادته, ولكنهم لا يعلمون ذلك.

الآية : 65

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِذَا رَكِبُواْ فِي الْفُلْكِ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ فَلَمّا نَجّاهُمْ إِلَى الْبَرّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر, فخافوا الغرق والهلاك فيه دَعُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ يقول: أخلصوا لله عند الشدّة التي نزلت بهم التوحيد, وأفردوا له الطاعة, وأذعنوا له بالعبودة, ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم, ولكن بالله الذي خلقهم فلَمّا نَجّاهُمْ إلى البَرّ يقول: فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلّمهم, فصاروا إلى البرّ إذا هم يجعلون م ع الله شريكا فـ ي عبادتهم, ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا.

الآية : 66 - 67

القول في تأويل قوله تعالى: {لِيَكْفُرُواْ بِمَآ آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتّعُواْ فَسَوْفَ يَعلَمُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطّفُ النّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَكْفُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فلما نجى الله هؤلاء المشركين مما كانوا فيه من البحر من الخوف والحذر من الغرق إلى البرّ إذا هم بعد أن صاروا إلى البرّ يشركون بالله الآلهة والأنداد لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ يقول: ليجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليهم في أنفسهم وأموالهم.

وَلِيَتَمَتّعُوا اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: وَلِيَتَمَتّعُوا بكسر اللام, بمعنى: وكي يتمتعوا آتيناهم ذلك. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: وَلْيَتَمَتّعُوا بسكون اللام على وجه الوعيد والتوبيخ: أي اكفروا فإنكم سوف تعلمون ماذا يَلْقون من عذاب الله بكفرهم به.

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب, قراءة من قرأه بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد, وذلك أن الذين قرءوه بكسر اللام زعموا أنهم إنما اختاروا كسرها عطفا بها على اللام التي في قوله: لِيَكْفُرُوا, وأن قوله لِيَكْفُرُوا لما كان معناه: كي يكفروا كان الصواب في قوله وَلِيَتَمَتّعُوا أن يكون: وكي يتمتعوا, إذ كان عطفا على قوله: ليكفروا عندهم, وليس الذي ذهبوا من ذلك بمذهب, وذلك لأن لام قوله لِيَكْفُرُوا صلُحت أن تكون بمعنى كي, لأنها شرط لقوله: إذا هم يشركون بالله كي يكفروا بما آتيناهم من النعم, وليس ذلك كذلك في قوله وَلِيَتَمَتّعُوا لأن إشراكهم بالله كان كفرا بنعمته, وليس إشراكهم به تمتعا بالدنيا, وإن كان الإشراك به يسهل لهم سبيل التمتع بها فإذ كان ذلك كذلك فتوجيهه إلى معنى الوعيد أولى وأحقّ من توجيهه إلى معنى: وكي يتمتعوا. وبعد فقد ذكر أن ذلك في قراءة أبيّ: «وتَمَتّعُوا» وذلك دليل على صحة من قرأه بسكون اللام بمعنى الوعيد.

وقوله: أوَ لَمْ يَرَوْا أنّا جَعَلْنا حَرَما آمِنا يقول تعالى ذكره مذكرا هؤلاء المشركين من قريش, القائلين: لولا أنزل عليه آية من ربه, نِعْمَتَه عليهم التي خصهم بها دون سائر الناس غيرهم مع كفرهم بنعمته وإشراكهم في عبادته الآلهة والأنداد: أو لم ير هؤلاء المشركون من قريش, ما خصصناهم به من نعمتنا عليهم دون سائر عبادنا, فيشكرونا على ذلك, وينزجروا عن كفرهم بنا, وإشراكهم ما لا ينفعنا ولا يضرّهم في عبادتنا أنا جعلنا بلدهم حرما, حرّمنا على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب, آمنا, يأمن

فيه من سكنه, فأوى إليه من السباء والخوف والحرام الذي لا يأمنه غيرهم من الناس وَيُتَخَطّفُ النّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ يقول: وتُسْلَب الناس من حولهم قتلاً وسباء. كما:

21213ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, في قوله أو لَمْ يَرَوْا أنّا جَعَلْنا حَرَما آمِنا وَيُتَخَطّفُ النّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ قال: كان لهم فِي ذلك آية أن الناس يُغزَون ويُتَخَطّفون وهم آمنون.

وقوله: أفَبالباطِلِ يُؤْمِنُونَ يقول: أفبالشرك بالله يقرّون بألوهة الأوثان بأن يصدّقوا, وبنعمة الله التي خصهم بها من أن جعل بلدهم حرما آمنا يكفرون, يعني بقوله «يكفرون»: يجحدون. كما:

21214ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله أفَبالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ: أي بالشرك وَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَكْفُرُونَ: أي يجحدون.

الآية : 68

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنْ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذّبَ بِالْحَقّ لَمّا جَآءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنّمَ مَثْوًى لّلْكَافِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن أظلم أيها الناس ممن اختلق على الله كذبا, فقالوا إذا فعلوا فاحشة: وجدنا عليها آباءنا, والله أمرنا بها, والله لا يأمر بالفحشاء أوْ كَذّبَ بالحَقّ لَمّا جاءَهُ يقول: أو كذّب بما بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من توحيده, والبراءة من الآلهة والأنداد لما جاءه هذا الحقّ من عند الله أَلَيْسَ فِي جَهَنّمَ مَثْوًى لّلْكافِرِينَ يقول: أليس في النار مَثْوًى ومَسْكَن لمن كفر بالله, وجحد توحيده وكذّب رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا تقرير, وليس باستفهام, إنما هو كقول جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكبَ المَطايا وأنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

إنما أخبر أن للكافرين بالله مَسْكَنا في النار, ومنزلاً يَثْوُون فيه.

الآية : 69

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذبا من كفار قريش, المكذّبين بالحقّ لما جاءهم فينا, مُبتغين بقتالهم علوّ كلمتنا, ونُصرة ديننا لَنَهْدِيَنّهُمْ سُبُلَنا يقول: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة, وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وَإنّ اللّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ يقول: وإن الله لمع من أحسن من خلقه, فجاهد فيه أهل الشرك, مُصَدّقا رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له, والنصرة على من جاهد من أعدائه. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله والّذِينَ جاهَدُوا فِينا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21215ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَالّذِينَ جاهَدُوا فِينا فقلت له: قاتلوا فينا, قال: نعم.

سورة الروم

سورة الروم مكية

وآياتها ستون
بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1 -5

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {الَـمَ * غُلِبَتِ الـرّومُ * فِـيَ أَدْنَـى الأرْض وَهُم مّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلّهِ الأَمْرُ مِن قَبْـلُ وَمِـن بَعْـدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرّحِيمُ }.

قال أبو جعفر: قد بـيّنا فـيـما مضى قبلُ معنى قوله الـم وذكرنا مـا فـيه من أقوال أهل التأويـل, فأغنى ذلك عن إعادته فـي هذا الـموضع.

وقوله: غُلِبَتِ الرّوم فِـي أدْنَى الأرْض اختلفت القرّاء فـي قراءته, فقرأته عامة قرّاء الأمصار: غُلِبَـتِ الـرّومُ بضـمَّ الغيـن, بـمعنى: أن فـارس غَلَبـت الروم. وروي عن ابن عمر وأبـي سعيد فـي ذلك ما:

21216ـ حدثنا ابن وكيع, قال: ثنـي أبـي, عـن الـحسن الـجفريّ, عـن سلـيط, قال: سمعت ابن عمر يقرأ «الـم غَلَبَتِ الرّومُ» فقـيـل لـه: يـا أبـا عبد الرحمن, علـى أيّ شيء غَلَبوا؟ قال: علـى ريف الشام.

والصواب من القراءة فـي ذلك عندنا الذي لا يجوز غيره الـم غُلِبَتِ الـرّومُ بضم الغين, لإجماع الـحجة من القرّاء علـيه. فإذ كـان ذلـك كـذلك, فتأويـل الكلام: غلبت فـارس الروم فِـي أدْنَـى الأرْضِ مـن أرض الشـام إلـى أرض فـارس وَهُـمْ مِـنْ بَعْـدِ غَلَبِهِـمْ يقـول: والـروم مـن بعـد غلبـة فـارس إيـاهم سَيَغْلِبُونَ فـارس فِـي بِضْعِ سنِـينَ لله الأمْرُ مِنْ قَبْلُ غلبتهم فـارس وَمِنْ بَعْدُ غلبتهم إياها, يقضي فـي خـلقه ما يشاء, ويحكم مـا يريـد, ويظهـر مـن شـاء منهم علـى من أحبّ إظهاره علـيه وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الـمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ يقول: ويوم يغلِب الروم فـارس يفرح الـمؤمنون بـالله ورسـوله بنصـر اللـه إيـاهم علـى الـمشركين, ونُصْرة الروم علـى فـارس يَنْصُرُ اللّـهُ تعالـى ذكـره مَـنْ يَشاءُ من خـلقه, علـى من يشاء, وهو نُصـرة الـمؤمنـين علـ ى الـمشركين ببدر وَهُوَ العَزِيزُ يقول: والله الشديد فـي انتقامه من أعـدائه, لا يـمنعه مـن ذلك مانع, ولاَ يحول بـينه وبـينه حائل الرّحِيـمُ بـمن تاب مـن خـلقه, وراجـع طاعته أن يعذّبه. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر مـن قـال ذلك:

21217ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن سعيد, أو سعيد الثعلبـي الذي يقال له أبو سعد من أهل طَرَسُوس, قال: حدثنا أبو إسـحاق الفـزاري, عن سفـيان بن سعيد الثوري, عن حبـيب بـن أبـي عَمـرة, عـن سـعيد بـن جُبَـير, عن ابن عبـاس, قال: كان الـمسلـمون يُحبون أن تغلـب الـرومُ أهـل الكتاب, وكان الـمشركون يحبون أن يغلب أهل فـارس, لأنهم أهـل الأوثـان, قال: فذكروا ذلك لأبـي بكر, فذكره أبو بكر للنبـيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم فقال: «أما إنهُمْ سَيُهْزَمُونَ», قال: فذكر ذلـك أبـو بكـر للـمشركين, قـال: فقالوا: أفنـجعل بـيننا وبـينكم أجلاً, فإن غلبوا كان لـك كـذا وكـذا, وإن غلبنـا كان لنا كذا وكذا قال: فجعلوا بـينهم وبـينه أجلاً خمس سنـين, قال: فمضت فلـم يُغلَبوا قال: فذكر ذلك أبو بكر للنبـيّ صلى الله عليه وسـلم, فقـال لـه: «أفَلا جَعَلْتَهُ دُونَ العَشْرِ», قال سعيد: والبِضْع ما دون العشـر, قـال: فَغَلَـبَ الروم, ثم غلبت قال: فذلك قوله: الـم غُلِبَت الرّومُ فِـي أدْنَـى الأرْض وَهُـمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِـي بِضْعِ سِنِـينَ قـال: البضـع: مـا دون العشـر لِلّـه

الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ قال سفيان: فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر.

21218ـ حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري, قال: حدثنا موسى بن هارون البرديّ, قال: حدثنا معن بن عيسى, قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن, عن ابن شهاب, عن عبيد الله, عن ابن عباس, قال: لما نزلت الم غُلِبَتِ الرّومُ فِي أدْنَى الأرْض... الآية, ناحب أبو بكر قريشا, ثم أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال له: إني قد ناحبتهم, فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: «هَلاّ احْتَطْتّ فإنّ البِضْعَ ما بينَ الثلاثِ إلى التّسْع». قال الجمحي: المناحبة: المراهنة, وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك.

21219ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله آلم غُلِبَتِ الرّومُ... إلى قوله وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ قال: قد مضى كان ذلك في أهل فارس والروم, وكانت فارس قد غلبتهم, ثم غلبت الروم بعد ذلك, ولقي نبيّ الله صلى الله عليه وسلم مشركي العرب, يوم التقت الروم وفارس, فنصر الله النبيّ صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين على مشركي العرب, ونصر أهل الكتاب على مشركي العجم, ففرح المؤمنون بنصر الله إياهم ونصر أهل الكتاب على العجم. قال عطية: فسألت أبا سعيد الخدريّ عن ذلك, فقال: التقينا م ع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركي العرب, والتقت الروم وفارس, فنصرنا الله على مشركي العرب, ونصر الله أهل الكتاب على المجوس, ففرحنا بنصر الله إيانا على المشركين, وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب على المجوس, فذلك قوله وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ.

حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله آلم. غُلِبَتِ الرّومُ فِي أدْنَى الأرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ غلبتهم فارس, ثم غلبت الروم.

21220ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسروق, قال: قال عبد الله: خمس قد مضين: الدخان, واللزام, والبطشة, والقمر, والروم.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عامر, عن ابن مسعود, قال: قد مضى آلم غُلِبَت الرّومُ.

21221ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح عن مجاهد آلم غُلِبَتِ الرّومُ... إلى قوله أكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ قال: ذَكَرَ غَلَبة فارس إياهم, وإدالة الروم على فارس, وفرح المؤمنون بنصر الروم أهل الكتاب على فارس من أهل الأوثان.

21222ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر بن عبد الله, عن عكرمة, أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض, قالوا: وأدنى الأرض يومئذٍ أذْرِعات, بها التقَوا, فهُزِمت الروم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة, فشقّ ذلك عليهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يظهر الأميّون من المجوس على أهل الكتاب من الروم, ففرح الكفار بمكة وشمتوا, فلقوا أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقالوا: إنكم أهل الكتاب, والنصارى أهل كتاب,

ونحن أُمّيّون, وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب, وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنّ عليكم, فأنزل الله آلم غُلِبَتِ الرّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ... الآيات, فخرج أبو بكر الصدّيق إلى الكفّار, فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا؟ فلا تفرحوا, ولا يقرّنّ الله أعينكم, فوالله ليظهرنّ الروم على فارس, أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم, فقام إليه أبيّ بن خلف, فقال: كذبت يا أبا فضيل, فقال له أبو بكر رضي الله عنه: أنت أكذب يا عدوّ الله, فقال: أناحبك عشر قلائص مني, وعشر قلائص منك, فإن ظهرت الروم على فارس غرمتُ, وإن ظهرت فارس على الروم غرمتَ إلى ثلاث سنين ثم جاء أبو بكر إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره, فقال: «ما هَكَذَا ذَكَرْتُ, إنّمَا البِضْعُ ما بينَ الثّلاثِ إلى التّسْعِ, فَزَايِدْهُ فِي الخَطَرِ, ومادّه فِي الأجَلِ». فخرج أبو بكر فلقي أبَيّا, فقال: لعلك ندمت, فقال: لا, فقال: أزايدك في الخطر, وأمادّك في الأجل, فاجعلها مئة قلوص لمئة قلوص إلى تسع سنين, قال: قد فعلت.

21223ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال ثني حجاج, عن أبي بكر, عن عكرِمة, قال: كانت في فارس امرأة لا تلد إلاّ الملوك الأبطال, فدعاها كسرى, فقال: إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشا وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك, فأشيري عليّ أيهم أستعمل, فقالت: هذا فلان, وهو أروغ من ثعلب, وأحذر من صرد, وهذا فرخان, وهو أنفذ من سنان, وهذا شهربراز, وهو أحلم من كذا, فاستعمل أيهم شئت قال: إني قد استعملت الحليم, فاستعمل شهربراز, فسار إلى الروم بأهل فارس, وظهر عليهم, فقتلهم, وخرّب مدائنهم, وقطع زيتونهم قال أبو بكر: فحدّثت بهذا الحديث عطاء الخراساني فقال: أما رأيت بلاد الشام؟ قلت: لا, قال: أما إنك لو رأيتها, لرأيت المدائن التي خرّبت, والزيتون الذي قُطع, فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته.

قال عطاء الخراساني: ثني يحيى بن يعمر, أن قيصر بعث رجلاً يُدعى قطمة بجيش من الروم, وبعث كسرى شهربراز, فالتقيا بأذرعات وبصرى, وهي أدنى الشام إليكم, فلقيت فارس الروم, فغلبتهم فارس, ففرح بذلك كفار قريش, وكرهه المسلمون, فأنزل الله آلم غُلِبَتِ الرّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ... الآيات, ثم ذكر مثل حديث عكرمة, وزاد: فلم يزل شهربراز يطؤهم, ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج ثم مات كسرى, فبلغهم موته, فانهزم شهربراز وأصحابه, وأوعبت عليهم الروم عند ذلك, فأتبعوهم يقتلونهم قال: وقال عكرمة في حديثه: لما ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب, فقال لأصحابه: لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى, فبلغت كسرى, فكتب إلى شهربُراز: إذا أتاك كتابي فابعث إليّ برأس فَرّخان, فكتب إليه: أيها الملك, إنك لن تجد مثل فَرّخان, إن له نكاية وضربا في العدوّ, فلا تفعل. فكتب إليه: إن في رجال فارسَ خَلَفا منه, فعَجّل إليّ برأسه. فراجعه, فغضب كسرى فلم يجبه, وبعث بريدا إلى أهل فارس: إني قد نزعت عنكم شَهْرْبُرَاز, واستعملت عليكم فَرّخان ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة: إذا وَلِيَ فَرّخان المُلك, وانقاد له أخوه, فأعطه هذه فلما قرأ شَهْرْبُرَاز الكتاب, قال: سمعا وطاعة, ونزل

عن سريره, وجلس فَرّخان, ودفع الصحيفة إليه, قال: ائتوني بشهربُرَاز, فقدّمه ليضرب عنقه, قال: لا تعجل حتى أكتب وصيتي, قال: نعم, فدعا بالسّفَط, فأعطاه ثلاث صحائف, وقال: كل هذا راجعت فيك كسرى, وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد, فردّ الملك, وكتب شهربُراز إلى قيصر ملك الروم: إن لي إليك حاجة لا يحملها البريد, ولا تبلّغها الصحف, فالْقِني, ولا تَلْقَني إلاّ في خمسين رُوميا, فإني ألقاك في خمسين فارسيا فأقبل قيصر في خَمْسِ مئة ألف روميّ, وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق, وخاف أن يكون قد مكر به, حتى أتته عيونه أن ليس معه إلاّ خمسون رجلاً, ثم بُسِط لهما, والتقيا في قبة ديباج ضُربت لهما, مع كل واحد منهما سِكّين, فدعيا ترجمانا بينهما, فقال شَهْرْبُرَاز: إن الذين خرّبوا مدائنك أنا وأخي, بكيدنا وشجاعتنا, وإن كسرى حسدنا, فأراد أن أقتل أخي, فأبيت, ثم أمر أخي أن يقتلني, فقد خلعناه جميعا, فنحن نقاتله معك, فقال: قد أصبتما, ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السرّ بين اثنين, فإذا جاوز اثنين فشا. قال: أجل, فقتلا الترجمان جميعا بسكينيهما, فأهلك الله كسرى, وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحُدَيبَية, ففرح ومن معه.

21224ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة آلم غُلِبَتِ الرّومُ قال: غَلَبتهم فارسُ على أدنى الشام وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سيَغْلِبُونَ... الآية, قال: لما أنزل الله هؤلاء الآيات صَدّق المسلمون ربهم, وعلموا أن الروم سيظهرون على فارس, فاقتمروا هم والمشركون خمسَ قلائص, خمَس قلائص, وأجّلوا بينهم خمس سنين, فوليَ قِمار المسلمين أبو بكر رضي الله عنه, ووليَ قِمار المشركين أبيّ بن خلف, وذلك قبل أن يُنْهَى عن القمار, فحلّ الأجل, ولم يظهر الروم على فارس, وسأل المشركون قِمارهم, فذَكَر ذلك أصحاب النبيّ للنبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لَمْ تَكُونُوا أحِقّاءَ أنْ تُؤَجّلُوا دُونَ العَشْرِ, فإنّ البِضْعَ ما بينَ الثّلاثِ إلى العَشْرِ, وَزَايِدُوهُمْ فِي القِمار, وَمادّوهُمْ فِي الأجَلِ», ففعلوا ذلك, فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البِضْع سنينَ من قمارهم الأوّل, وكان ذلك مرجعَه من الحديبية, ففرح المسلمون بصلحهم الذي كان, وبظهور أهل الكتاب على المجوس, وكان ذلك مما شدّد الله به الإسلام وهو قوله وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ... الآية.

21225ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن داود بن أبي هند, عن الشعبيّ, في قوله آلم غُلِبَتِ الرّومُ... إلى قوله وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم أخبر الناس بمكة أن الروم ستُغْلَب, قال: فنزل القرآن بذلك, قال: وكان المسلمون يُحِبون ظهور الروم على فارس, لأنهم أهل الكتاب.

21226ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربيّ, عن داود بن أبي هند, عن عامر, عن عبد الله, قال: كانت فارس ظاهرة على الروم, وكان المشركون يحبون أن تظهر فارسُ على الروم, وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس, لأنهم أهل كتاب, وهم أقرب إلى دينهم: فلما نزلت آلم غُلِبَتِ الرّومُ... إلى فِي بِضْعِ سِنِينَ قالوا: يا أبا بكر: إنّ صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس فَي بضع سنين, قال: صدق, قالوا: هل لك أن نقامرك؟ فبايعوه على أربع قلائص, إلى سبع سنين,

فمضت السبع, ولـم يكـن شـيء, ففـرح الـمشركون بـذلك, وشَـقّ علـى الـمسلـمين, فذكروا ذلك للنبـيّ صلى اللـه عليـه وسـلم: فقـال: «مـا بِضْـعُ سِنِـينَ عِنْدَكُمْ؟» قالوا: دون العشر, قال: «اذْهَبْ فزَايِـدْهُمْ وَازْدَدْ سنَتَـيْنِ» قال: فما مضت السنتان, حتـى جاءت الركبـان بظهور الرّوم علـى فـارس, ففرح الـمسلـمون بذلك, فأنزل الله: آلـم غُلِبَـتِ الـرّومُ... إلـى قـوله وَعْـدَ اللّهِ لا يُخْـلِفُ اللّهُ وَعْدَهُ.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن الأعمش, ومطر عن أبـي الضحى, عن مسروق, عن عبد الله قال: مضت الروم.

21227ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله آلـم غُلِبَتِ الرّومُ فِـي أدْنَى الأرْضِ قال: أدنى الأرض: الشأم وَهُـمْ مِـنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ قال: كانت فـارسَ قـد غَلَبـت الـروم, ثـم أديـلَ الـرومُ علـى فـارس, وذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال: «إنّ الـرّومَ سَتَغْلِبُ فـارِسا», فقال الـمشركون: هذا مـما يَتَـخَرّص مـحمد, فقـال أبـو بكر: تُنَاحبوننـي؟ والـمناحبة: الـمـجاعلة, قـالوا: نعـم, فنـاحبهم أبـو بكـر, فجعل السنـين أربعا أو خمسا, ثم جاء إلـى النبـيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ البِضْعَ فِـيـما بـينَ الثّلاثِ إلـى التّسْـعِ, فـارْجِعْ إلـى القَـوْمِ, فَـزِدْ فِـي الـمُناحَبَةِ», فرجع إلـيهم. قـالوا: فناحَبَهم فزاد. قال: فغَلبت الروم فـارسا, فـذلك قـول اللـه: وَيَوْمَئِـذٍ يَفْـرَحُ الـمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ يوم أديـلت الرومُ علـى فـارس.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا معاوية بن عمرو, عن أبـي إسحاق الفَزاريّ, عن سفـيان, عن حبـيب بن أبـي عمرة, عن سعيد بن جُبَـير, عن ابن عبـاس آلـم غُلِبَتِ الرومُ قال: غُلِبت وغَلَبت.

فأما الذين قرءوا ذلك: «غَلَبَتِ الرّومُ» بفتـح الغين, فإنهم قالوا: نزلت هذه الآية خبرا من الله نبـيه صلى الله عليه وسلم عن غَلَبة الروم. ذكر مـن قـال ذلك:

21228ـ حدثنا نصر بن علـيّ, قال: حدثنا الـمعتـمِر بـن سلـيـمان, عـن أبـيه, عن سلـيـمان, يعنـي الأعمش, عن عطية, عن أبـي سعيد, قال: لـمـا كان يومُ ظهر الروم علـى فـارس, فـأعجبَ ذلـك الـمؤمنـين, فنزلـت آلـم غُلِبَتِ الرّومُ علـى فـارس.

حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا يحيى بن حماد, قال: حدثنا أبو عوانة, عن سلـيـمان, عن عطية, عن أبـي سعيد, قال: لـما كـان يـوم بـدر, غلبـت الـروم علـى فـارس, ففـرح الـمسلـمون بـذلك, فـأنزل اللـه آلـم غُلِبَـتِ الرّومُ... إلـى آخر الآية.

حدثنا يحيى بن إبراهيـم الـمسعودي, قال: حدثنا أبـي, عن أبـيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن عطية, عن أبـي سعيد, قال: لـما كـان يـوم بـدر, ظهـرت الروم علـى فـارس, فأعجب ذلك الـمؤمنـين, لأنهم أهل كتاب, فـأنزل اللـه آلـم غُلِبَتِ الرّومُ فِـي أدْنَى الأرْضِ قال: كانوا قـد غلبـوا قبـل ذلـك, ثـم قـرأ حتـى بلغ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الـمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ.

وقوله: فِـي أدْنَى الأرْضِ قد ذكرت قول بعضهم فـيـما تقـدّم قبـل, وأذكـر قول من لـم يذكر قوله.

21229ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: ثنـي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله فـي أدنى الأرْضِ يقول: فـي طرف الشام.

ومعنى قوله أدنى: أقرب, وهو أفعل من الدنوّ والقرب. وإنما معناه: في أدنى الأرض من فارس, فترك ذكر فارس استغناء بدلالة ما ظهر من قوله فِي أَدْنَى الأَرْضِ عليه منه. وقوله: وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ يقول: والروم من بعد غلبة فارس إياهم سيغلبون فارس. وقوله: منْ بَعْدِ غَلَبهمْ مصدر من قول القائل: غلبته غلبة, فحذفت الهاء من الغلبة. وقيل: من بعد غلبهم, ولم يقل: من بعد غلبتهم للإضافة, كما حذفت من قوله: وَإقامِ الصّلاةِ للإضافة. وإنما الكلام: وإقامة الصلاة.

وأما قوله: سَيَغْلِبُونَ فإن القرّاء أجمعين على فتح الياء فيها, والواجب على قراءة من قرأ: «الم غَلَبَنِ الرّومُ» بفتح الغين, أن يقرأ قوله: «سَيُغْلَبُونَ» بضم الياء, فيكون معناه: وهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبهم المسلمون, حتى يصحّ معنى الكلام, وإلاّ لم يكن للكلام كبير معنى إن فتحت الياء, لأن الخبر عما قد كان يصير إلى الخبر عن أنه سيكون, وذلك إفساد أحد الخبرين بالآخر.

وقوله: فِي بضْعِ سِنِينَ قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في معنى البضع فيما مضى, وأتينا على الصحيح من أقوالهم, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد:

21230ـ حدثنا, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: لِلّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ دولة فارس على الروم وَمِنْ بَعْدُ دولة الروم على فارس.

وأما قوله: وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ فقد ذكرنا الرواية في تأويله قبل, وبيّنا معناه.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {وَعْدَ اللّهِ لاَ يُخْلِفُ اللّهُ وَعْدَهُ وَلَـكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وعد الله جلّ ثناؤه, وعد أن الروم ستغلب فارس من بعد غلبة فارس لهم. ونصب وَعْدَ اللّهِ على المصدر من قوله وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ لأن ذلك وعد من الله لهم أنهم سيغلبون, فكأنه قال: وعد الله ذلك المؤمنين وعدا. لا يُخْلفُ اللّهُ وَعْدَهُ يقول تعالى ذكره: إن الله يفي بوعده للمؤمنين أن الروم سيغلبون فارس, لا يخلفهم وعده ذلك, لأنه ليس في مواعيده خلف. ولكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يعْلَمُونَ يقول: ولكنّ أكثر قريش الذين يكذّبون بأن الله منجز وعده المؤمنين, من أن الروم تغلب فارس, لا يعلمون أن ذلك كذلك, وأنه لا يجوز أن يكون في وعد الله إخلاف.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مّنَ الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَهُمْ عَنِ الاَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يعلم هؤلاء المكذّبون بحقيقة خبر الله أن الروم ستغلب فارس ظاهرا من حياتهم الدنيا, وتدبير معايشهم فيها, وما يصلحهم, وهم عن أمر آخرتهم, وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك غافلون, لا يفكرون فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21231ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا أبو تُـمَيْـلة يحيى بن واضح الأنصاري, قال: حدثنا الـحسين بن واقد, قال: حدثنا يزيد النـحوي عن عكرمة, عن ابن عبـاس, فـي قوله يَعْلَـمُونَ ظاهِرا مِنَ الـحَياةِ الدّنْـيا يعنـي معايشهم, متـــى يحصدون ومتـى يغرسون.

حدثنـي أحمد بن الوليـد الرملـيّ, قال ثنا: عمرو بن عثمان بن عمر, عن عاصم بن علـيّ, قال: حدثنا أبـو تُـمَيْــلة, قـال: حـدثنا ابـن واقـد, عـن يزيـد النـحويّ, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, فـي قوله يعْلَـمونَ ظاهِرا من الـحَياةِ الدّنْـيا قال: متـى يَزْرَعون, متـى يَغْرِسون.

21232ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حـدثنا مــحمد بـن جعفـر, قـال: حدثنا شعبة, قال: ثنـي شرقـي, عن عكرمة, فـي قوله يَعْلَـمُونَ ظاهِرا مِـنَ الـحَياةِ الدّنْـيا قال: هو السراج أو نـحوه.

حدثنا أبو هريرة مـحمد بن فراس الضبعي, قال: حدثنا أبو قُتَــيبة, قـال: حدثنا شعبة, عن شرقـي, عن عكرِمة, فـي قوله يَعْلَـمُونَ ظاهِرا مِنَ الـحَياةِ الدّنْـيا: قال السراجون.

حدثنا أحمد بن الوليـد الرملـي, قال: حدثنا سلـيــمان بـن حـرب, قـال: حدثنا شعبة, عن شرقـي, عن عكرمة, فـي قوله يَعْلَـمُونَ ظاهِرا مِنَ الـحَياةِ الدنْـيا قال: الـخرازون والسراجون.

21233ـ حدثنا بشر بن آدم, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهديّ, قال: حدثنا سفـيان, عن منصور, عن إبراهيـم يَعْلَـمُونَ ظاهِرا منَ الــحَياةِ الدّنْــيا قـال: معايشهم وما يصلـحهم.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهديّ, قال: حدثنا سفـيان, عن منصور, عن إبراهيـم مثله.

حدثنـي بشر بن آدم, قال: حدثنا الضحاك بن مخـلد, عـن سفــيان, عـن أبـيه, عن عكرِمة, وعن منصور عـن إبراهيــم يَعْلَــمُونَ ظـاهرا مِـنَ الــحَياةِ الدّنْـيا قال: معايشَهم.

21234ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: ظـاهِرا مِـنَ الــحَياةِ الدّنْــيا يعنــي الكفــار, يعرفـون عُمران الدنـيا, وهم فـي أمر الدين جهال.

21235ـ حدثنـي ابن وكيع, قال: ثنـي أبـي, عن سفـيان, عن أبــيه, عـن عكرِمة يَعْلَـمُونَ ظاهِرا مِنَ الـحَياةِ الدّنْـيا قال: معايشَهم, وما يصلـحهم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن منصور, عن إبرهيـم, مثله.

21236ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله يَعْلَـمُونَ ظاهِرا مِنَ الـحَياةِ الدّنْــيا مـن حِرْفتهـا وتصـرّفها وبغيتهـا وَهُـمْ عَـنِ الاَخِرَةِ هُمْ غافِلونَ.

21237ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عـن رجـل, عـن الـحسن, قال: يعلـمون متـى زَرْعُهم, ومتـى حَصادهم.

قال: ثنا حفص بن راشد الهلالـيّ, عن شعبة, عن شَرْقـيّ, عـن عكرِمـة يَعْلَـمُونَ ظاهِرا مِنَ الـحَياةِ الدّنْـيا قال: السرّاج ونـحوه.

21238ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي جعفر, عن الربـيع, عن أبـي العالـية, قال: صرفها فـي معيشتها.

21239ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله يَعْلَمُونَ ظاهِرا منَ الحَياةِ الدّنْيا, وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ.

وقال آخرون في ذلك ما:

21240ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القُمّي, عن جعفر, عن سعيد, في قوله يَعْلَمُونَ ظاهِرا مِنَ الحَياةِ الدّنْيا قال: تسترق الشياطين السمع, فيسمعون الكلمة التي قد نزلت, ينبغي لها أن تكون في الأرض, قال: ويُرْمَوْن بالشّهب, فلا ينجو أن يحترق, أو يصيبه شرر منه قال: فيسقط فلا يعود أبدا قال: ويرمى بذلك الذي سمع إلى أوليائه من الإنس, قال: فيحملون عليه ألف كذبة, قال: فما رأيت الناس يقولون: يكون كذا وكذا, قال: فيجيء الصحيح منه كما يقولون, الذي سمعوه من السماء, ويعقبه من الكذب الذي يخوضون فيه.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكّرُواْ فِيَ أَنفُسِهِمْ مّا خَلَقَ اللّهُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاّ بِالْحَقّ وَأَجَلٍ مّسَمّى وَإِنّ كَثِيراً مّنَ النّاسِ بِلِقَآءِ رَبّهِمْ لَكَافِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أو لم يتفكّر هؤلاء المكذّبون بالبعث يا محمد من قومك في خلق الله إياهم, وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئا, ثم صرفهم أحوالاً وتارات حتى صاروا رجالاً, فيعلموا أن الذي فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فنائهم خلقا جديدا, ثم يجازي المحسن منهم بإحسانه, والمسيء بإساءته, لا يظلم أحدا منهم فيعاقبه بجرم غيره, ولا يحرم أحدا منهم جزاء عمله, لأنه العدل الذي لا يجور ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلاّ بالعدل, وإقامة الحقّ, وأجل مسمى يقول: وبأجل مؤقت مسمى, إذا بلغت ذلك الوقت أفنى ذلك كله, وبدّل الأرض غير الأرض والسموات, وبرزوا لله الواحد القهّار, وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم جاحدون منكرون, جهلاً منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم, وغفلة منهم عن الآخرة.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَسيرُواْ فِي الأرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوَاْ أَشَدّ مِنْهُمْ قُوّةً وَأَثَارُواْ الأرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيّنَاتِ فَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوَاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أوَ لم يسر هؤلاء المكذّبون بالله, الغافلون عن الآخرة من قريش في البلاد التي يسلكونها تجرا, فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة, كيف كان عاقبة أمرها في تكذيبها رسلها, فقد كانوا أشدّ منهم قوّة, وأثاروا الأرض يقول: واستخرجوا الأرض, وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء, فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم, فلم يقدروا على الامتناع, مع شدّة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله, ولا نفعتهم عمارتهم ما عمروا من الأرض, إذ جاءتهم رسلهم بالبينات من الآيات, فكذّبوهم, فأحلّ الله بهم بأسه, فما كان الله ليظلمهم بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله وجحودهم آياته, ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم ربهم. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله وأثارُوا الأرْضَ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21241ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأرْض فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أشَدّ مِنْهُمْ قُوّةً, وأثارُوا الأرْضَ وَعَمرُوها أكْثَرَ مِمّا عَمَرُوها قال: ملكوا الأرض وعمروها.

21242ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وأثارُوا الأرْضَ قال: حرثوها.

21243ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة أو لَمْ يَسِيرُوا فِي الأرْضِ... إلى قوله وأثارُوا الأرْضَ وَعَمَرُوها كقوله: وآثارا فِي الأرْضِ, قوله: وَعَمَرُوها أكثر مما عمر هؤلاء وَجاءَتهُمْ رُسُلُهُمْ بالْبَيّناتِ.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: جسر سورة الروم {ثُمّ كَانَ عَاقِبَةَ الّذِينَ أسَاءُواْ السّوَءَىَ أن كَذّبُواْ بِآيَاتِ اللّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ثم كان آخر أمر من كفر من هؤلاء الذين أثاروا الأرض وعمروها, وجاءتهم رسلهم بالبينات بالله, وكذّبوا رسلهم, فأساءوا بذلك في فعلهم. السوأى: يعني الخلة التي هي أسوأ من فعلهم أما في الدنيا, فالبوار والهلاك, وأما في الآخرة فالنار لا يخرجون منها.

حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله ثُمّ كانَ عاقِبَةَ الّذِينَ أساءُوا السّوأى يقول: الذين كفروا جزاؤهم العذاب.

وكان بعض أهل العربية يقول: السوأى في هذا الموضع: مصدر, مثل البُقوى, وخالفه في ذلك غيره فقال: هي اسم.

وقوله: أنْ كَذّبُوا بآياتِ اللّهِ يقول: كانت لهم السوأى, لأنهم كذّبوا في الدنيا بآيات الله, وكانوا بها يستهزءون: يقول: وكانوا بحجج الله وهم أنبياؤه ورسله يسخرون.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {اللّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ ثُمّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق منفردا بإنشائه من غير شريك ولا ظهير, فيحدثه من غير شيء, بل بقدرته عزّ وجل, ثم يعيد خلقا جديدا بعد إفنائه وإعدامه, كما بدأه خلقا سويا, ولم يك شيئا ثُمّ إلَيْهِ تُرْجَعُونَ يقول: ثم إليه من بعد إعادتهم خلقا جديدا يردّون, فيحشرون لفصل القضاء بينهم و لِيَجْزِيَ الّذِينَ أسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا, وَيَجْزِيَ الّذِينَ أحْسَنُوا بالحُسْنَى.

الآية : 12 -13

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ * وَلَمْ يَكُن لّهُمْ مّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَافِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ويوم تجِيء الساعة التي فيها يفصل الله بين خلقه, وينشر فيها الموتى من قبورهم, فيحشرهم إلى موقف الحساب يُبْلِسُ المُجْرِمُونَ يقول: ييأس الذين أشركوا بالله, واكتسبوا

فـي الدنـيا مساوىء الأعمال مـن كـلّ شـرّ, ويكـتئبون ويتنـدمون, كمـا قـال العجاج:

يا صَاحِ هلْ تعْرِفُ رَسما مُكْرَساقالَ نَعَمْ أعْرِفُهُ وأبْلَسا

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21244ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله يُبْلِسُ قال: يكتئب.

21245ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عَن قَتادة, قوله يُبْلِسُ الـمُـجْرِمُونَ أي فـي النار.

21246ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قول الله وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يُبْلِسُ الـمُــجْرِمُونَ قـال: الــمبلس: الـذي قـد نزل به الشرّ, إذا أبلس الرجل, فقد نزل به بلاء.

وقوله: ولَـمْ يكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكائهِمْ شُفَعاءُ يقول تعالـى ذكره: ويوم تقوم الساعة لـم يكـن لهـؤلاء الـمــجرمين الـذين وصـف جـلّ ثنـاؤه صـفتهم مـن شــركائهم الــذين كــانوا يتبعــونهم, علــى مــا دعــوهم إلــيه مــن الضــلالة, فــيشاركونهم فــي الكفــر بــالله, والــمعاونة علــى أذى رسـله, شـفعاء يشفعون لهم عند الله, فـيستنقذوهم من عذابه. وكـانُوا بِشُـرَكائهِمْ كـافِرِينَ يقول: وكانوا بشركائهم فـي الضلالة والـمعاونة فـي الدنـيا علـى أولـياء الله كافرين, يجحدون ولايتهم, ويتبرّءون منهم, كما قال جلّ ثناؤه: إذْ تَبرّأ الّذِينَ اتّبِعُوا مِنَ الّذِينَ اتّبَعُوا, ورأوُا العَذَابَ وَتَقَطّعَتْ بِهِـمُ الأسْبــابُ. وَقـالَ الّـذِينَ اتّبَعُوا لَوْ أنّ لَنا كَرّةً فَنَتَبرّأ مِنْهُمْ كما تَبرّءُوا مِنّا.

الآية : 14 -15

القول فـي تأويـل قوله تعالــى: {وَيَـوْمَ تَقُـومُ السّـاعَةُ يَوْمَئِـذٍ يَتَفَرّقُـونَ * فَأمّا الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: ويوم تـجيء الساعة التـي يحشر فـيها الـخـلق إلــى الله يومئذٍ, يقول فـي ذلك الـيوم يتفرّقون يعنـي: يتفرّق أهل الإيـمان بـالله, وأهل الكفر به فأما أهل الإيـمان, فـيؤخذ بهم ذات الـيـمين إلـى الـجنة, وأما أهل الكفر فـيؤخذ بهم ذات الشمال إلـى النار, فهنالك يــميز اللـه الـخبــيث من الطيّب. كما:

21247ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, فــي قوله: وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرّقُونَ قال: فرقة والله لا اجتـماع بعدها.

فأمّا الّذِينَ آمَنُوا بـالله ورسوله وعَمِلُـوا الصّالِـحاتِ يقـول: وعملـوا بــما أمرهم الله به, وانتهوا عما نهاهم عنه فَهُمْ فِـي رَوْضَةٍ يُحْبَـرُونَ يقـول: فهـم فـي الرياحين والنبـاتات الـملتفة, وبـين أنواع الزهر فــي الــجنان يسـرون, ويـلذّذون بـالسماع وطيب العيش الهنـيّ. وإنـما خصّ جلّ ثناؤه ذكر الروضة فـي هذا الـموضع, لأنه لـم يكـن عنـد الطرفــين أحسـن منظـرا, ولا أطيـب نشرا من الرياض, ويدل علـى أن ذلك كذلك قول أعشى بنـي ثعلبة:

ما رَوْضَةٌ مِن رِياضِ الـحُسْن مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جادَ عَلَـيْها مُسْبِلٌ هَطِلُ

يُضَاحِكُ الشّمسَ منها كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزّرٌ بعَمِيـمِ النّبْتِ مُكْتَهِلُ

يَوْما بأطْيَبَ مِنْها نَشْرَ رائحَةٍ وَلا بأحْسَنَ مِنْها إذ دنَا الأُصُلُ

فأعلمهم بذلك تعالى, أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق, واللذيذ من الأراييح, والعيش الهنيّ فيما يحبون, ويسرّون به, ويغبطون عليه. والحبرة عند العرب: السرور والغبطة قال العجاج:

فالْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أعْطَى الحَبَرْمَوَالِيَ الحَقّ إنّ المَوْلى شَكَرْ

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: فهم في روضة يكرمون. ذكر من قال ذلك:

21248ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله فَهم فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ قال: يكرمون.

وقال آخرون: معناه: ينعمون. ذكر من قال ذلك:

21249ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله يُحْبَرُون قال: ينعمون.

21250ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, في قوله فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ قال: ينعمون.

وقال آخرون: يلذذون بالسماع والغناء. ذكر من قال ذلك:

21251ـ حدثني محمد بن موسى الحرسي, قال: ثني عامر بن يساف, قال: سألت يحيى بن أبي كثير, عن قول الله فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ قال: الحبرة: اللذة والسماع.

21252ـ حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي, قال: حدثنا ضمرة بن ربيعة, عن الأوزاعي, عن يحيى بن أبي كثير في قوله يُحْبَرُونَ قال: السماع في الجنة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن الأوزاعي, عن يحيى بن أبي كثير, مثله.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن عامر بن يِساف, عن يحيى بن أبي كثير, مثله.

وكل هذه الألفاظ التي ذكرنا عمن ذكرناها عنه تعود إلى معنى ما قلنا.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَمّا الّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَآءِ الآخِرَةِ فَأُوْلَـَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وأما الذين جحدوا توحيد الله, وكذّبوا رسله, وأنكروا البعث بعد الممات والنشور للدار الآخرة, فأولئك في عذاب الله محضرون, وقد أحضرهم الله إياها, فجمعهم فيها ليذوقوا العذاب الذي كانوا في الدنيا يكذّبون.

الآية : 17-18

القول في تأويل قوله تعالى: {فَسُبْحَانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فسبحوا الله أيها الناس: أي صلوا له حين تمسون, وذلك صلاة المغرب, وحين تصبحون, وذلك صلاة الصبح وَلَهُ الحَمْدُ فِي السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول: وله الحمد من جميع خلقه دون غيره في السموات من سكانها من الملائكة, والأرض من أهلها, من جميع أصناف خلقه فيها, وَعَشِيّا يقول: وسَبّحوه أيضا عشيا, وذلك صلاة العصر وَحِينَ

تُظْهِرُونَ يقول: وحين تَدْخلون في وقت الظهر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21253ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن عاصم, عن أبي رزين, قال: سأل نافع بن الأزرق بن عباس: (هل تجد) ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله؟ قال: نعم فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ المغرب وَحِينَ تُصْبِحُونَ الفجر وَعَشِيّا العصر وَحِينَ تُظْهِرُونَ الظهر, قال: ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عَوْرات لكم.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عاصم, عن أبي رَزِين, قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الصلوات الخمس في القرآن, قال: نعم, فقرأ فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ قال: صلاة المغرب وَحِينَ تُصْبِحُونَ قال: صلاة الصبح وَعَشِيّا قال: صلاة العصر وَحِينَ تُظْهِرُونَ صلاة الظهر, ثم قرأ: وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ.

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن ليث, عن الحكم بن أبي عياض, عن ابن عباس, قال: جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ قال: المغرب والعشاء وَحِينَ تُصْبِحُونَ الفجر وَعَشِيّا العصر وَحِينَ تُظْهِرُونَ الظهر.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن إدريس, عن ليث, عن الحكم, عن أبي عياض, عن ابن عباس, بنحوه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن ليث, عن الحكم, عن أبي عياض, عن ابن عباس في قوله فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ... إلى قوله وَحِينَ تُظْهِرُونَ قال: جمعت الصلوات فسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ المغرب والعشاء وَحِين تُصْبِحُونَ صلاة الصبح وَعَشِيّا صلاة العصر وَحِينَ تُظْهِرُونَ صلاة الظهر.

21254ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي, عن أبي سنان, عن ليث, عن مجاهد فسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ المغرب والعشاء وَحِينَ تُصْبِحُونَ الفجر وَعَشِيّا العصر وَحِينَ تُظْهِرُونَ الظهر, وكلّ سجدة في القرآن فهي صلاة.

21255ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ لصلاة المغرب وَحِينَ تُصْبِحُونَ لصلاة الصبح وَعَشِيّا لصلاة العصر وَحِينَ تُظْهِرُونَ صلاة الظهر أربع صلوات.

21256ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ, وَلَهُ الحَمْدُ في السّمَوَاتِ والأرْضِ, وَعَشِيّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ. قال: حين تمسون: صلاة المغرب, وحين تصبحون: صلاة الصبح, وعشيا: صلاة العصر, وحين تظهرون: صلاة الظهر.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {يُخْرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيّتَ مِنَ الْحَيّ وَيُحْيِي الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ }.

يقول تعالى ذكره: صَلّوا في هذه الأوقات التي أمركم بالصلاة فيها أيها الناس, لله الذي يخرج الحيّ من الميت, وهو الإنسان الحيّ من الماء الميت, ويخرج الماء الميت من الإنسان الحيّ ويُحْيِي الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها

فـينبتها, ويخرج زرعه ا بعـد خرابه ا وجـدوبها وكـذلكَ تُـخْرَجُونَ يقـول: كمـا يحيـي الأرض بعد موتهـا, فـيخرج نبـاتها وزرعهـا, كـذلك يحيـيكم مـن بعـد مـماتكم, فـيخرجكم أحياء من قبوركم إلـى موقـف الـحساب.

وقد بـيّنا فـيـما مضى قبل تأويـل قوله: يُخْرِجُ الـحَيّ مِنَ الـمَيّتِ, ويُخْـرِجُ الـمَيّتَ مِنَ الـحَيّ, وذكرنا اختلاف أهل التأويـلَ فـيه, فأغنى ذلك عن إعـادته فـي هذا الـموضع, غير أنا نذكر بعض ما لـم نذكر من الـخبر هنالـك إن شـاء الله.

21257ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عـن ابـن عبـاس, قـوله: يُخْـرِجُ الـحَيّ مِـنَ الـمَيّتِ, ويُخْرِجُ الـمَيّتَ مِنَ الـحَيّ قال: يخـرج مـن الإنسـان مـاء ميتـا فـيخـلق منـه بشرا, فذلك الـميت من الـحيّ, ويخرج الـحيّ من الـميت, فـيعنـي بذلك أنه يخـلق من الـماء بشرا, فذلك الـحيّ من الـميت.

21258ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتـادة, عـن الـحسن, قوله يُخْرِجُ الـحَيّ مِنَ الـمَيّتِ, ويُخْرِجُ الـمَيّتَ مِنَ الـحَيّ الـمؤمن من الكافر, والكافر من الـمؤمن.

21259ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش, عـن إبراهيـم, عن عبد الله يُخْرِجُ الـحَيّ مِنَ الـمَيّتِ, ويُخْـرِجُ الـمَيّتَ مِـنَ الـحَيّ قال: النّطْفة ماء الرجل ميتة وهو حيّ, ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة.

الآية : 20

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مّن تُرَابٍ ثُمّ إِذَآ أَنتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: ومن حُججه علـى أنه القادر علـى ما يشاء أيها الناس من إنشاء وإفناء, وإيجاد وإعدم, وأن كل موجود فخـلقه خـلقة أبـيكم مـن تراب, يعنـي بذلك خـلق آدم من تراب, فوصفهم بأنه خـلقهم مـن تـراب, إذ كان ذلك فعله بأبـيهم آدم كنـحو الـذي قـد بـيّنا فـيـما مضى مـن خطـاب العرب من خاطبت بـما فعلت بسلفه من قولهم: فعلنا بكم وفعلنا.

وقوله: ثُمّ إِذَا أَنْتُـمْ بَشَرٌ تَنْتَشِـرُونَ يقـول: ثـم إذا أنتـم معشـر ذرّيـة مـن خـلقناه من تراب بشر تنتشرون, يقول: تتصرّفون. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21260ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتـادة وَمِـنْ آياتِهِ أنْ خَـلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ خـلق آدم علـيه السلام من تراب ثُمّ إذا أنْتُـمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ يعنـي ذرّيته.

الآية : 21

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمِـنْ آيَـاتِهِ أَنْ خَلَـقَ لَكُـم مّـنْ أَنفُسِـكُمْ أَزْوَاجاً لّتَسْكُنُوَاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُـم مّـوَدّةً وَرَحْمَـةً إِنّ فِـي ذَلِـكَ لاَيَـاتٍ لّقَـوْمٍ يَتَفَكّرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: ومن حججه وأدلته علـى ذلك أيضا خـلقه لأبـيكم آدم من نفسه زوجة لـيسكن إلـيها, وذلك أنه خـلق حـوّاء مـن ضـلع مـن أضـلاع آدم. كما:

21261ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتـادة وَمِـنْ آياتِهِ أنْ خَـلَقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْوَاجا خـلقها لكم من ضلع من أضلاعه.

وقوله: وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدّةً وَرَحْمَةً يقول: جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودّة تتوادّون بها, وتتواصلون من أجلها, ورحمة رحمكم بها, فعطف بعضكم بذلك على بعض إنّ فِي ذلكَ لآيَاتٍ لقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ يقول تعالى ذكره: إن في فعله ذلك لعبرا وعظات لقوم يتذكرون في حجج الله وأدلته, فيعلمون أنه الإله الذي لا يُعجزه شيء أراده, ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّلْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن حججه وأدلته أيضا على أنه لا يُعجزه شيء, وأنه إذا شاء أمات من كان حيا من خلقه, ثم إذا شاء أنشره وأعاده كما كان قبل إماتته إياه خلقه السموات والأرض من غير شيء أحدث ذلك منه, بل بقدرته التي لا يمتنع معها عليه شيء أراده وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ يقول: واختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها وأَلْوَانِكُمْ يقول: واختلاف ألوان أجسامكم إنّ فِي ذلكَ لآيَاتٍ للْعالَمِينَ يقول: إن في فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة لخلقه الذين يعقلون أنه لا يعيبه إعادتهم لهيئتهم التي كانوا بها قبل مماتهم من بعد فنائهم. وقد بيّنا معنى العالمين فيما مضى قبل.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللّيْلِ وَالنّهَارِ وَابْتِغَآؤُكُمْ مّن فَضْلِهِ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها القوم تقديره الساعات والأوقات, ومخالفته بين الليل والنهار, فجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه, وتنامون فيه, وجعل النهار مضيئا لتصرّفكم في معايشكم والتماسكم فيه من رزق بكم إنّ فِي ذلكَ لآيَاتٍ لقَوْمٍ يَسْمَعُونَ يقول تعالى ذكره: إن في فعل الله ذلك كذلك, لعبرا وذكرى وأدلة على أن فاعل ذلك لا يُعجزه شيء أراده لقوم يسمعون مواعظ الله, فيتعظون بها, ويعتبرون فيفهمون حجج الله عليهم.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزّلُ مِنَ السّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِي بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن حججه يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفا لكم إذا كنتم سفرا, أن تمطروا فتتأذّوا به وطَمَعا لكم, إذا كنتم في إقامة أن تمطروا, فتحيوا وتخصبوا وَيُنَزّلُ منَ السّماءِ ماءً يقول: وينزّل من السماء مطرا, فيحيي بذلك الماء الأرض الميتة, فتنبت ويخرج زرعها بعد موتها, يعني جدوبها ودروسها إن فِي ذلكَ لآيَاتٍ يقول: إن في فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ عن الله حججه وأدلته. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفا وَطَمَعا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21262ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, في قوله وَمِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفا وَطَمَعا قال: خوفا للمسافر, وطمعا للمقيم.

واختلف أهل العربية في وجه سقوط «أن» في قوله: يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفا وَطَمَعا فقال بعض نحويي البصرة: لم يذكر ههنا «أن» لأن هذا يدلّ على المعنى وقال الشاعر:

ألا أيّهَذَا الزّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَىوأنْ أشْهَدَ اللّذّاتِ هَل أنْتَ مُخْلِدي

قال: وقال:

لَوْ قُلْتُ ما فِي قَوْمِها لَمْ تِيتَمِيَفْضُلُها في حَسَبٍ وَمِيسمِ

وقال: يريد: ما في قومها أحد. وقال بعض نحويي الكوفيين: إذا أظهرت «أن» فهي في موضع رفع, كما قال: وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السّمَوَاتِ وَالأرْضِ وَمَنَامُكُمْ فإذا حذفت جعلت «من» مؤدّية عن اسم متروك, يكون الفعل صلة, كقول الشاعر:

وَما الدّهْرُ إلاّ تارَتانِ فَمِنْهُماأموتُ وأُخْرَى أبْتَغي العَيْشَ أكْدحُ

كأنه أراد: فمنهما ساعة أموتها, وساعة أعيشها, وكذلك: ومن آياته يريكم آية البرق, وآية لكذا, وإن شئت أردت: ويريكم من آياته البرق, فلا تضمر «أن» ولا غيره. وقال بعض من أنكر قول البصري: إنما ينبغي أن تحذف «أن» من الموضع الذي يدلّ على حذفها, فأما في كلّ موضع فلا, فأما مع أحضر الوغى فلما كان زجرتك أن تقوم, وزجرتك لأن تقوم, يدلّ على الاستقبال جاز حذف «أن», لأن الموضع معروف لا يقع في كلّ الكلام, فأما قوله: ومن آياته أنك قائم, وأنك تقوم, وأن تقوم, فهذا الموضع لا يحذف, لأنه لا يدلّ على شيء واحد.

والصواب من القول في ذلك أن «من» في قوله وَمِنْ آياتِهِ تدل على المحذوف, وذلك أنها تأتي بمعنى التبعيض. وإذا كانت كذلك, كان معلوما أنها تقتضي البعض, فلذلك تحذف العرب معها الاسم لدلالتها عليه.

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السّمَآءُ وَالأرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مّنَ الأرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن حججه أيها القوم على قُدرته على ما يشاء, قيام السماء والأرض بأمره خضوعا له بالطاعة بغير عمد ترى ثُمّ إذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأرْضِ إذَا أنْتُمْ تَخْرَجُونَ يقول: إذا أنتم تخرجون من الأرض, إذا دعاكم دعوة مستجيبين لدعوته إياكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21263ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة وَمِنْ آياتِهِ أنْ تَقُومَ السّماءُ والأرْضُ بأمْرِهِ قامتا بأمره بغير عمد ثُمّ إذَا دَعاكمْ دَعْوَةً مِنَ الأرْضِ إذَا أنْتُمْ تَخْرُجُونَ قال: دعاهم فخرجوا من الأرض.

21264ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: إذَا أنْتُمْ تَخْرُجُونَ يقول: من الأرض.

الآية : 26 -27

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَهُ مَن فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ كُلّ لّهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأعْلَىَ فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: ولله من في السموات والأرض من ملك وجنّ وإنس عبيد وملك كُلّ لَهُ قانِتُونَ يقول: كلّ له مطيعون, فيقول قائل: وكيف قيل

كُلّ لَهُ قانِتُونَ وقد علم أن أكثر الإنس والجنّ له عاصون؟ فنقول: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فنذكر اختلافهم, ثم نبين الصواب عندنا في ذلك من القول, فقال بعضهم: ذلك كلام مخرجه مخرج العموم, والمراد به الخصوص, ومعناه: كلّ له قانتون في الحياة والبقاء والموت, والفناء والبعث والنشور, لا يمتنع عليه شيء من ذلك, وإن عصاه بعضهم من غير ذلك. ذكر من قال ذلك:

21265ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَمِنْ آياتِهِ أنْ تَقُومَ السّماءُ والأرْضُ بأمْرِهِ... إلى كُلّ لَهُ قانِتُونَ يقول: مطيعون, يعني الحياة والنشور والموت, وهم عاصون له فيما سوى ذلك من العبادة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كلّ له قانتون بإقرارهم بأنه ربهم وخالقهم. ذكر من قال ذلك:

21266ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة كُلّ لَهُ قانِتُونَ: أي مطيع مقرّ بأن الله ربه وخالقه.

وقال آخرون: هو على الخصوص, والمعنى: وله من في السموات والأرض من ملك وعبد مؤمن لله مطيع دون غيرهم. ذكر من قال ذلك:

21267ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: كُلّ لَهُ قانِتُونَ قال: كلّ له مطيعون. المطيع: القانت, قال: وليس شيء إلاّ وهو مطيع, إلاّ ابن آدم, وكان أحقهم أن يكون أطوعهم لله. وفي قوله وَقُومُوا لِلّهِ قانِتِينَ قال: هذا في الصلاة, لا تتكلموا في الصلاة كما يتكلم أهل الكتاب في الصلاة, قال: وأهل الكتاب يمشي بعضهم إلى بعض في الصلاة, قال: ويتقابلون في الصلاة, فإذا قيل لهم في ذلك, قالوا: لكي تذهب الشحناء من قلوبنا تسلم قلوب بعضنا لبعض, فقال الله: وقوموا لله قانتين لا تزولوا كم يزولون. قانتين: لا تتكلموا كما يتكلمون. قال: فأما ما سوى هذا كله في القرآن من القنوت فهو الطاعة, إلاّ هذه الواحدة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن عباس, وهو أن كلّ من في السموات والأرض من خلق لله مطيع في تصرّفه فيما أراد تعالى ذكره من حياة وموت, وما أشبه ذلك, وإن عصاه فيما يكسبه بقوله, وفيما له السبيل إلى اختياره وإيثاره على خلافه.

وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك, لأن العصاة من خلقه فيما لهم السبيل إلى اكتسابه كثير عددهم, وقد أخبر تعالى ذكره عن جميعهم أنهم له قانتون, فغير جائز أن يخبر عمن هو ع اص أنه له قانت فيما هو له عاص. وإذا كان ذلك كذلك, فالذي فيه عاص هو ما وصفت, والذي هو له قانت ما بينت.

وقوله: وَهُوَ الّذِي يَبْدَأ الخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ يقول تعالى ذكره: والذي له هذه الصفات تبارك وتعالى, هو الذي يبدأ الخلق من غير أصل فينشئه ويوجده, بعد أن لم يكن شيئا, ثم يفنيه بعد ذلك, ثم يعيده, كما بدأه بعد فنائه, وهو أهون عليه.

اختلف أهل التأويل, في معنى قوله: وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ فقال بعضهم: معناه: وهو هين عليه. ذكر من قال ذلك:

21268ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن سعيد العطار, عن سفيان عمن ذكره, عن منذر الثوريّ, عن الربيع بن خَيْثم وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ قال: ما شيء عليه بعزيز.

21269ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَهُوَ الّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ, وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ يقول: كلّ شيء عليه هين.

وقال آخرون: معناه: وإعادة الخلق بعد فنائهم أهون عليه من ابتداء خلقهم. ذكر من قال ذلك:

21270ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ قال: يقول: أيسر عليه.

21271ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ قال: الإعادة أهون عليه من البداءة, والبداءة عليه هين.

21272ـ حدثني ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سماك, عن عكرِمة قرأ هذا الحرف وَهُوَ الّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ, وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ قال: تعجب الكفار من إحياء الله الموتى, قال: فنزلت هذه الآية وَهُوَ الّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ, وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ إعادة الخلق أهون عليه من إبداء الخلق.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا غندر, عن شعبة, عن سماك, عن عكرمة بنحوه, إلاّ أنه قال: إعادة الخلق أهون عليه من ابتدائه.

21273ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ: يقول: إعادته أهون عليه من بدئه, وكلّ على الله هين. وفي بعض القراءة: وكلٌّ على الله هين.

وقد يحتمل هذا الكلام وجهين, غير القولين اللذين ذكرت, وهو أن يكون معناه: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده, وهو أهون على الخلق: أي إعادة الشيء أهون على الخلق من ابتدائه. والذي ذكرنا عن ابن عباس في الخبر الذي حدثني به ابن سعد, قول أيضا له وجه.

وقد وجّه غير واحد من أهل العربية قول ذي الرّمة:

أخي قَفَرَاتٍ دَبّبَتْ فِي عِظامهشُفافاتُ أعْجاز الكَرَى فهْوَ أخْضَعُ

إلى أنه بمعنى خاضع وقول الآخر:

لَعَمْرُكَ إنّ الزّبْرَقانَ لَباذِلٌلِمَعْروفِه عِنْدَ السّنِينَ وأفْضَلُ
كَرِيمٌ لَه عَنْ كُلّ ذَمّ تَأُخّرٌوفِي كُلّ أسْبابِ المَكارِمِ أوّلُ

إلى أنه بمعنى: وفاضل وقول معن:

لَعَمْرُكَ ما أدْرِي وإنّي لأَوْجَلُعلى أيّنا تَعْدُو المَنِيّةُ أوّلُ

إلى أنه بمعنى: وإني لوجل وقول الآخر:

تَمَنّى مُرَيْءُ القَيْسِ مَوْتي وإنْ أُمُتْفَتِلكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيها بأوْحَدِ

إلى أنه بمعنى: لست فيها بواحد وقول الفرزدق:

إنّ الّذِي سَمَكَ السّماءَ بَنى لَنابَيْتا دَعائمُهُ أعَزّ وأطْوَلُ

إلى أنه بمعنى: عزيزة طويلة. قالوا: ومنه قولهم في الأذان: الله أكبر, بمعنى: الله كبير وقالوا: إن قال قائل: إن الله لا يوصف بهذا, وإنما يوصف به الخلق, فزعم أنه وهو أهون على الخلق, فإن الحجة عليه

قول الله: وكانَ ذلـكَ علـى اللّـهِ يَسِـيرا, وقـوله: وَلا يَئُـودُهُ حِفْظُهُمـا: أي لا يثقله حفظهما.

وقوله: وَلَهُ الـمَثَلُ الأعْلَـى يقـول: ولله الـمثل الأعلـى فـي السـموات والأرض, وهو أنه لا إله إلاّ هو وحده لا شريك له, لـيس كمثله شـيء, فـذلك الـمثل الأعلـى, تعالـى ربنا وتقدّس. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلـك ق ال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21274ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: ثنـي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله وَلَهُ الـمَثَلُ الأعْلَـى فِـي السّمَوَاتِ يقول: لـيس كمثله شيء.

21275ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله وَلَهُ الـمَثَلُ الأعْلَـى فِـي السّـمَوَاتِ والأرْضِ مثلـه أنـه لا إلـه إلاّ هـو, ولا ربّ غيره.

وقوله: وَهُوَ العَزِيزُ الـحَكِيـمُ يقول تعالـى ذكره: وهو العزيز فـي انتقـامه من أعدائه, الـحكيـم فـي تدبـيره خـلقه, وتصـريفهم فـيـما أراد مـن إحيـاء وإماتة, وبعث ونشر, وما شاء.

الآية : 28

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {ضَرَبَ لَكُمْ مّثَلاً مّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لّكُمْ مّن مّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مّن شُـرَكَآءَ فِـي مَـا رَزَقْنَـاكُمْ فَـأَنتُمْ فِيـهِ سَـوَآءٌ تَخَـافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: مثل لكم أيها القوم ربكم مثلاً من أنفسكم, هل لكم مـما ملكت أيـمانكم يقول: من مـمالـيككم من شركاء, فـيـما رزقنـاكم مـن مال, فأنتـم فـيه سواء وهم. يقول: فإذا لـم ترضـوا بـذلك لأنفسـكم فكيـف رضيتـم أن تكون آلهتكـم التـي تعبـدونها لـي شـركاء فـي عبـادتكم إيـاي, وأنتـم وهم عبـيدي ومـمالـيكي, وأنا مالك جميعكم. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21276ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أنْفُسكمْ هَلْ لَكُمْ مِـمّا مَلَكَتْ أيـمَانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِـيـما رَزَقْناكُمْ, فأنْتُـمْ فِـيهِ سَوَاءٌ قال: مثل ضـربه اللـه لـمن عـدل بـه شـيئا مـن خـلقه, يقول: أكان أحدكم مشاركا مـملوكه فـي فراشـه وزوجتـه, فكـذلكم الله لا يرضى أن يعدل به أحد من خـلقه.

21277ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مـمّا مَلَكَتْ أيـمَانُكُمْ مِـنْ شُـرَكاءَ فِـيـما رَزَقْناكُمْ, فأنْتُـمْ فِـيهِ سَوَاءٌ قال: هل تـجد أحدا يجعل عبده هكذا فـي ماله, فكيف تعمد أنـت وأنـت تشـهد أنهـم عبـيدي وخـلقـي, وتـجعل لهـم نصيبـا فـي عبـادتـي, كيف يكون هذا؟ قال: وهذا مثل ضربه الله لهم, وقـرأ: كَذلكَ نُفَصّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.

واختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله: تَـخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أنْفُسَكُمْ فقال بعضهم: معنى ذلك: تـخافون هؤلاء الشركاء مـما ملكت أيـمانكم أن يرثوكم أموالكم من بعد وفـاتكم, كما يرث بعضكم بعضا. ذكر من قال ذلك:

21278ـ حُدثت عن حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطـاء الـخراسانـي, عـن ابن عبـاس, قال: فـي الآلهة, وفـيه يقول: تـخافونهم أن يرثـوكم كمـا يـرث بعضكم بعضا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تـخافون هؤلاء الشركاء مـما ملكت أيـمانكم أن يقاسموكم أموالكم, كما تقاسم بعضكم بعضا. ذكر من قال ذلك:

21279ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قـال: حـدثنا الـمعتـمر, قـال: سـمعت عمران قـال: قـال أبـو مـجلز: إن مـملوكك لا تـخاف أن يقاسـمك مالـك, ولـيس له ذلك, كذلك الله لا شريك له.

وأولـى القولـين بـالصواب فـي تأويـل ذلك القول الثانـي, لأنـه أشـبههما بـما دلّ علـيه ظاهرالكلام, وذلك أن الله جـلّ ثنـاؤه وبـخ هـؤلاء الـمشركين الذين يجعلون له من خـلقه آلهة يعبـدونها, وأشـركوهم فـي عبـادتهم إيـاه, وهم مع ذلك يقرّون بأنها خـلقه وهم عبـيده, وعيرهـم بفعلهـم ذلـك, فقـال لهم: هل لكم من عبـيدكم شـركاء فـيـما خوّلنـاكم مـن نعمنـا, فهـم سـواء, وأنتـم فـي ذلك تـخافون أن يقاسموكم ذلك الـمال الذي هو بـينكم وبـيـنهم, كخيفة بعضكم بعضا أن يقاسمه ما بـينه وبـينه من الـمال شـركة فـالـخيفة التـي ذكرها تعالـى ذكره بأن تكون خيفة مـما يخاف الشـريك مـن مقاسـمة شريكه الـمال الذي بـينهما إياه أشبه من أن تكون خيفة منـه بـأن يرثـه, لأن ذكـر الشـركة لا يـدلّ علـى خيفـة الوراثـة, وقـد يـدلّ علـى خيفـة الفـراق والـمقاسمة.

وقوله: كذلكَ نُفَصّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يقول تعالـى ذكره: كما بـيّنا لكم أيها القوم حججنا فـي هذه الآيات من هـذه السـورة علـى قـدرتنا علـى مـا نشاء من إنشاء ما نشاء, وإفناء ما نـحبّ, وإعادة ما نريد إعـادته بعـد فنـائه, ودللنا علـى أنه لا تصلـح العبـادة إلاّ للواحد القهار, الـذي بـيده ملكـوت كـلّ شـيء, كـذلك نبـين حججنـا فـي كـل حـقّ لقـوم يعقلـون, فـيتدبرونها إذا سمعوها, ويعتبرون فـيتعظون بها.

الآية : 29

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {بَلِ اتّبَعَ الّذِينَ ظَلَمُوَاْ أَهْوَآءَهُمْ بِغَيْـرِ عِلْـمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلّ اللّهُ وَمَا لَهُمْ مّن نّاصِرِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: ما ذلـك كـذلك, ولا أشـرك هـؤلاء الـمشركون فـي عبـادة اللـه الآلهـة والأوثـان, لأن لهـم شـركا فـيـما رزقهـم اللـه مـن ملـك أيـمانهم, فهم وعبـيدهم فـيه سواء, يخافون أن يقاسموهم ما هم شركاؤهم فـيه, فرضوا لله من أجـل ذلـك بـما رضـوا بـه لأنفسـهم, فأشـركوهم فـي عبـادته, ولكن الذين ظلـموا أنفسهم فكفـروا بـالله, اتبعـوا أهـواءهم, جهلاً منهم لـحقّ الله علـيهم, فأشركوا الآلهة والأوثان فـي عبـادته فَمَنْ يهْدِي مَنْ أَضَلّ اللّهُ يقول: فمن يسدّد للصواب مـن الطـرق, يعنـي بـذلك مـن يوفـق للإسلام من أضلّ الله عن الاستقامة والرشاد؟ وَما لَهُمْ مِـنْ ناصِـرِينَ يقـول: وما لـمن أضلّ الله من ناصرين ينصرونه, فـينقذونه من الضلال الذي يبتلـيه به تعالـى ذكره.

الآية : 30

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللّهِ الّتِـي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ ذَلِكَ الدّينُ الْقَيّمُ وَلَـكِنّ أَكْثَـرَ النّـاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: فسدّد وجهك نـحو الوجه الذي وجهـك إلـيه ربـك يـا مـحمد لطاعته, وهي الدين, حنـيفـا يقول: مستقـيـما لدينه وطاعته, فطـرة الله التـي فطر الناس علـيها يقـول: صـنعةَ اللـه التــي خــلق النـاس علــيها

ونصبت فطرة على المصدر من معنى قوله فَ أَقِمْ وَجْهَكَ للدّينِ حَنِيفا وذلك أن معنى ذلك: فطر الله الناس على ذلك فطرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21280ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله فِطْرَةَ اللّهِ التي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها قال: الإسلام مذ خلقهم الله من آدم جميعا, يقرّون بذلك, وقرأ: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّتَهُمْ, وأشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ, ألَسْتُ برَبّكُمْ؟ قالُوا بَلَى شَهِدْنا قال: فهذا قول الله: كانَ النّاسُ أُمّةً وَاحِدَةً, فَبَعَثَ اللّهُ النّبِيّينَ بعد.

21281ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فِطْرَةَ اللّهِ قال: الإسلام.

21282ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا يونس بن أبي صالح, عن يزيد بن أبي مريم, قال: مرّ عمر بمُعاذ بن جبل, فقال: ما قِوام هذه الأمة؟ قال مُعاذ: ثلاث, وهنّ المنجيات: الإخلاص, وهو الفطرة فِطْرَةَ اللّهِ التي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها. والصلاة وهي الملة والطاعة وهي العصمة, فقال عمر: صدقت.

حدثني يعقوب, قال: ثني ابن عُلَية, قال: حدثنا أيوب, عن أبي قِلابة أن عمر قال لمعاذ: ما قِوام هذه الأمة؟ ثم ذكر نحوه.

وقوله لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ يقول: لا تغيير لدين الله: أي لا يصلح ذلك, ولا ينبغي أن يفعل.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك. ذكر من قال ذلك:

21283ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ قال: لدينه.

21284ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن ليث, قال: أرسل مجاهد رجلاً يقال له قاسم إلى عكرِمة يسأله عن قول الله: لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ (قال): إنما هو الدين, وقرأ لا تَبْدِيلَ لخَلْقِ اللّهِ ذلكَ الدّينُ القَيّمُ.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا زيد بن حباب, عن حسين بن واقد, عن يزيد النحوي, عن عكرِمة فطْرَةَ اللّهِ التي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها قال: الإسلام.

قال: ثني أبي, عن نضر بن عربي, عن عكرمة لا تَبْدِيلَ لخَلْقِ اللّهِ قال: لدين الله.

قال: ثني أبي, عن سفيان, عن ليث, عن مجاهد, قال: لدين الله.

قال: ثنا أبي, عن عبد الجبار بن الورد, عن القاسم بن أبي بزّة, قال: قال مجاهد, فسل عنها عكرِمة, فسألته, فقال عكرمة: دين الله تعالى ماله أخزاه الله؟ ألم يسمع إلى قوله فِطْرَةَ اللّهِ التي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها, لا تَبْدِيلَ لخَلْقِ اللّهِ؟.

21285ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة لا تَبْدِيلَ لخَلْقِ اللّهِ: أي لدين الله.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حفص بن غياث, عن ليث, عن عكرمة, قال: لدين الله.

21286ـ قال: ثنا ابن عيـينة, عن حميد الأعرج, قال: قال سعيد بن جُبَـير لا تَبْدِيـلَ لـخَـلْقِ اللّهِ قال: لدين الله.
21287ـ قال: ثنا الـمـحاربـي, عن جويبر, عن الضحاك لا تَبْدِيـلَ لـخَــلْقِ اللّهِ قال: لدين الله.
21288ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله لا تَبْدِيـلَ لـخَـلْقِ الله قال: دين الله.
21289ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي عن مسعر وسفـيان, عن قـيس بن مسلـم, عن إبراهيـم, قال لا تَبْدِيـلَ لـخَـلْقِ اللّهِ قال: لدين الله.
قال: ثنا أبـي عن جعفر الرازي, عن مغيرة, عن إبراهيـم, قال: لدين الله.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تغيـير لـخـلق الله من البهائم بأن يخصـى الفحول منها. ذكر من قال ذلك:
21290ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيـل, عن مطرف, عن رجل, سأل ابن عبـاس, عن خصاء البهائم, فكرهه, وقال: لا تَبْدِيـل لـخَـلْقِ اللّهِ.
21291ـ قال: ثنـا ابـن عيــينة, عـن حميـد الأعـرج, قـال: قـال عكرمـة: الإخصاء.
21292ـ قال: ثنا حفص بن غياث, عن لـيث, عن مـجاهد, قال: الإخصاء.
وقوله: ذلكَ الدّينُ القَـيّـمُ يقول تعالــى ذكـره: إن إقامتـك وجهـك للـدين حنـيفـا غير مغير ولا مبدّل هو الدين القـيـم, يعنـي الـمستقـيـم الذي لا عـوج فـيه عن الاستقامة من الـحنـيفـية إلـى الـيهودية والنصرانـية, وغير ذلك من الضلالات والبدع الـمـحدثة.
وقد وجّه بعضهم معنى الدين فـي هذا الـموضع إلـى الـحساب. ذكـر مـن قال ذلك:
21293ـ حدثنـي مـحمد بن عمارة, قال: حدثنا عبد الله بن موسى, قال: أخبرنا أبو لـيـلـي, عن بريدة ذلكَ الدّينُ القَـيّـمُ قال: الـحساب القـيـم وَلَكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَـمُونَ يقول تعالـى ذكره: ولكن أكـثر النـاس لا يعلــمون أن الدين الذي أمرتك يا مـحمد به بقولـي فأقمِ وَجْهَكَ للدّينِ حَنِـيفــا هـو الـدين الـحقّ دون سائر الأديان غيره.

الآية : 31 -32

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {مُنِيبِينَ إِلَيْـهِ وَاتّقُـوهُ وَأَقِيمُـواْ الصّـلاَةَ وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الّذِينَ فَرّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً كُلّ حِـزْبٍ بِمَـا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ }.
يعنـي تعالـى ذكره بقوله: مُنِـيبِـينَ إلَـيْهِ تائبـين راجعين إلـى الله مقبلـين, كما:
21294ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: مُنـيبِـينَ إلـيْهِ قال: الـمنـيب إلـى الله: الـمطيع لله, الـذي أنـاب إلــى طاعة الله وأمره, ورجع عن الأمور التـي كان علـيها قبـل ذلـك. كـان القـوم كفـارا, فنزعوا ورجعوا إلـى الإسلام.
وتأويـل الكلام: فأقم وجهك يا مـحمد للدين حنـيفـا منـيبـين إلـيه إلـى الله فـالـمنـيبون حال من الكاف التـي فـي وجهك.
فإن قال قائل: وكيف يكون حالاً منها, والكاف كناية عن واحد, والـمنـيبون صفة لـجماعة؟ قـيـل: لأن الأمر من الكاف كناية اسـمه مـن اللـه فــي هـذا

الـموضع أمر منه له ولأمته, فكأنه قـيـل له: فأقم وجهك أنـت وأمتـك للـدين حنـيفـا لله, منـيبـين إلـيه.

وقوله: وَاتّقُوهُ يقول جـلّ ثنـاؤه: وخـافوا اللـه وراقبـوه أن تفرّطـوا فـي طاعته, وتركبوا معصيته. وَلا تَكُونُوا مِـنَ الـمُشْرِكِينَ يقـول: ولا تكونـوا مـن أهل الشرك بـالله بتضيـيعكم فرائضه, وركـوبكم معاصـيه, وخلافكـم الـدين الذي دعاكم إلـيه.

وقـوله: مِـنَ الّـذِينَ فَرّقُـوا دِينَهُـمْ وكـانُوا شِـيَعا يقـول: ولا تكونـوا مـن الـمشركين الذين بدّلوا دينهم, وخالفوه ففـارقوه وكانوا شِيَعا يقول: وكـانوا أحزابـا فرقا كالـيهود والنصارى.وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21295ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة الّذِينَ فَرّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعا: وهم الـيهود والنصارى.

21296ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله الّذِينَ فَرّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعا إلـى آخر الآية, قـال: هـؤلاء يهـود, فلـو وجّه قوله مِنَ الّذِينَ فَرّقُوا دِينَهُمْ إلـى أنه خبر مستأنف منقطع عن قوله: وَلا تَكُونُوا مِـنَ الـمُشْرِكِينَ وأن معنـاه: مـن الـذين فرّقـوا دِينَهُـم وكـانُوا شِـيَعا أحزابـا كُلّ حِزْبٍ بِـمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ كان وجها يحتـمله الكلام.

وقوله: كُلّ حِزْبٍ بِـمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ يقول: كل طائفـة وفرقـة مـن هـؤلاء الذين فـارقوا دينهم الـحقّ, فأحدثوا البدع التـي أحدثوا بـما لـديهم فرحـون. يقول: بـما هم به متـمسكون من الـمذهب, فرحـون مسـرورون, يحسـبون أن الصواب معهم دون غيرهم.

الآية : 33

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذَا مَسّ النّاسَ ضُرّ دَعَـوْاْ رَبّهُـمْ مّنِيبِيـنَ إِلَيْهِ ثُمّ إِذَآ أَذَاقَهُمْ مّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مّنْهُمْ بِرَبّهِمْ يُشْرِكُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: وإذا مسّ هؤلاء الـمشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر ضُرّ, فأصابتهم شدة وجدوب وقحوط دَعَوْا رَبّهُمْ يقول: أخـلصوا لربهـم التوحيد, وأفردوه بـالدعاء والتضرّع إلـيه, واستغاثوا به منـيبـين إلـيه, تائبـين إلـيه من شركهم وكفرهم ثُمّ إذَا أذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً يقول: ثم إذا كشف ربهـم تعالـى ذكره عنهم ذلك الضرّ وفرّجه عنهم وأصـابهم برخـاء وخصـب وسـعة, إذا فريق منهم يقول: إذا جماعة منهم بربهم يشـركون يقـول: يعبـدون معـه الآلهة والأوثان.

الآية : 34

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {لِيَكْفُـرُواْ بِمَـآ آتَيْنَـاهُمْ فَتَمَتّعُـواْ فَسَـوْفَ تَعْلَمُونَ }.

يقول تعالـى ذكره متوعدا لهؤلاء الـمشركين الـذين أخـبر عنهـم أنـه إذا كشف الضرّ عنهم كفروا به, لـيكفروا بـما أعطينـاهم, يقـول: إذا هـم بربهـم يشركون, كي يكفـروا: أي يجحـدوا النعمـة التـي أنعمتهـا علـيهم بكشفـي عنهم الضرّ الذي كانوا فـيه, وإبدالـي ذلك لهم بـالرخاء والـخصب والعافـية, وذلك الرخاء والسعة هو الذي آتاهم تعالـى ذكره, الذي قـال: بـما آتـيناهم. وقوله فَتَـمَتّعُوا يقول: فتـمتعوا أيها القوم بـالذي آتـيناكم من الرخاء والسعة فـي هذه الدنـيا فَسَوْف تَعْلَـمُونَ إذا وردتـم علـى ربكم ما تلقون من عـذابه, وعظيـم عقابه علـى كفركـم بـه فـي الدنـيا. وقـد قـرأ بعضـهم: «فَسَـوْفَ

يَعْلَمُونَ» بالياء, بمعنى: ليكفروا بما آتيناهم, فقد تمتعوا على وجه الخبر, فسوف يعلمون.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِ يُشْرِكُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أم أنزلنا على هؤلاء الذين يشركون في عبادتنا الآلهة والأوثان, كتابا بتصديق ما يقولون, وبحقيقة ما يفعلون فَهُوَ يَتَكَلّمُ بِمَا كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ يقول: فذلك الكتاب ينطق بصحة شركهم وإنما يعني جلّ ثناؤه بذلك: أنه لم يُنْزل بما يقولون ويفعلون كتابا, ولا أرسل به رسولاً, وإنما هو شيء افتعلوه واختلقوه, اتباعا منهم لأهوائهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21297ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله أمْ أنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطانا فَهُوَ يَتَكَلّمُ بِمَا كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ يقول: أم أنزلنا عليهم كتابا فهو ينطق بشركهم.

الآية : 36

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَآ أَذَقْنَا النّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيّئَةٌ بِمَا قَدّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا أصاب الناس منا خصب ورخاء, وعافية في الأبدان والأموال, فرحوا بذلك, وإن تصبهم منا شدّة من جدب وقحط وبلاء في الأموال والأبدان بِمَا قَدّمَتْ أيْدِيهِمْ يقول: بما أسلفوا من سيىء الأعمال بينهم وبين الله, وركبوا من المعاصي إذَا هُمْ يَقْنَطُونَ يقول: إذا هم ييأسون من الفرج والقنوط: هو الإياس ومنه قول حميد الأرقط.

قَدْ وَجَدُوا الحَجّاجَ غيرَ قانِطِ

وقوله: إذَا هُمْ يَقْنَطُونَ هو جواب الجزاء, لأن «إذا» نابت عن الفعل بدلالتها عليه, فكأنه قيل: وإن تصبهم سيئة بما قدّمت أيديهم وجدتهم يقنطون, أو تجدهم, أو رأيتهم, أو تراهم. وقد كان بعض نحويي البصرة يقول: إذا كانت «إذا» جوابا لأنها متعلقة بالكلام الأوّل بمنزلة الفاء.

الآية : 37

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنّ اللّهَ يَبْسُطُ الرّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أوَ لم ير هؤلاء الذين يفرحون عند الرخاء يصيبهم والخصب, ويياسون من الفرج عند شدّة تنالهم, بعيون قلوبهم, فيعلموا أن الشدّة والرخاء بيد الله, وأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسعه عليه, ويقدر على من أراد فيضيقه عليه إنّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقَوْم يُؤْمِنُونَ يقول: إن في بسطه ذلك على من بسطه عليه, وقدره على من قدره عليه, ومخالفته بين من خالف بينه من عباده في الغنى والفقر, لدلالة واضحة لمن صدّق حجج الله وأقرّ بها إذا عاينها ورآها.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى: {فَآتِ ذَا الْقُرْبَىَ حَقّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لّلّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فأعط يا محمد ذا القرابة منك حقه عليك من الصلة والبرّ والمسكين وابن السبيل, ما فرض الله لهما في ذلك, كما:

21298ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا غندر, عن عوف, عن الحسن فآت ذَا القُرْبَى حَقّهُ وَالمِسكين وَابْنَ السّبِيلِ قال: هو أن توفيهم حقهم إن كان عند يسر, وإن لم يكن عندك فقل لهم قولاً ميسورا, قل لهم الخير.

وقوله: ذلكَ خَيْرٌ للّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللّهِ يقول تعالى ذكره: إيتاء هؤلاء حقوقهم التي ألزمها الله عباده, خير للذين يريدون الله بإتيانهم ذلك وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ يقول: ومن يفعل ذلك مبتغيا وجه الله به, فأولئك هم المنجحون, المدركون طلباتهم عند الله, الفائزون بما ابتغوا والتمسوا بإيتائهم إياهم ما آتوا.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ آتَيْتُمْ مّن رّباً لّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِندَ اللّهِ وَمَآ آتَيْتُمْ مّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللّهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وما أعطيتم أيها الناس بعضكم بعضا من عطية لتزداد في أموال الناس برجوع ثوابها إليه, ممن أعطاه ذلك, فلا يربو عند الله يقول: فلا يزداد ذلك عند الله, لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغيا به وجهه. وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ يقول: وما أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله, فأولئك يعني الذين يتصدّقون بأموالهم ملتمسين بذلك وجه الله هم المضعفون يقول: هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب, من قول العرب: أصبح القوم مسمِنين معطِشين, إذا سمنت إبلهم وعطشت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21299ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللّهِ قال: هو ما يعطي الناس بينهم بعضهم بعضا, يعطي الرجل الرجل العطية, يريد أن يُعطى أكثر منها.

21300ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور بن صفية, عن سعيد بن جُبَير وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النّاسِ قال: هو الرجل يعطي الرجل العطية ليثيبه.

قال: ثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن منصور بن صفية, عن سعيد بن جُبَير, مثله.

حدثنا ابن وكيع, قال: ثني أبي, عن سفيان, عن منصور بن صفية, عن سعيد بن جُبَير وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ في أمْوَالِ النّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللّهِ قال: الرجل يعطى ليثاب عليه.

21301ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُو فِي أمْوَالِ النّاسِ قال: الهدايا.

حدثنا ابن وكيع, قال: ثني أبي, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: هي الهدايا.

21302ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا,

عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد وَما آتَـيْتُـمْ مِنْ رِبـا لِـيَرْبُو فِـي أمْوَالِ النّـاسِ قال: يعطي ماله يبتغي أفضل منه.

21303ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيـل, عن ابن أبـي خالد, عـن إبراهيـم, قال: هو الرجل يهدي إلـى الرجل الهدية, لـيثـيبه أفضل منها.

21304ـ قال: ثنا مـحمد بن حميد الـمعمري, عن معمر, عن ابن طاوس, عن أبـيه: هو الرجل يعطي العطية ويهدي الهدية, لــيثاب أفضـل مـن ذلـك, لـيس فـيه أجر ولا وزر.

21305ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قَتـادة وَمـا آتَـيْتُـمْ مِنْ رِبـا لِـيَرْبُوَ فِـي أمْوَالِ النّاس فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللّـهِ قـال: مـا أعطيـت من شيء تريد مثابة الدنـيا, ومـجازاة الناس ذاك الربــا الـذي لا يقبلـه اللـه, ولا يجزي به.

21306ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول, فـي قوله وَما آتَـيْتُـمْ مِنْ رِبـا لِـيَرْبُوَ فِـي أمْوَالِ النّاسِ فهو ما يتعاطى الناس بـينهم ويتهادون, يعطى الرجل العطية لـيصيب منه أفضل منها, وهذا للناس عامة.

وأما قوله: وَلا تَـمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ فهذا للنبـيّ خاصة, لـم يكن له أن يعطـي إلاّ لله, ولـم يكن يعطي لـيعطى أكثر منه.

وقال آخرون: إنـما عنى بهذا: الرجلَ يعطي ماله الرجـلَ لــيعينه بنفسـه, ويخدمه ويعود علـيه نفعه, لا لطلب أجر من الله. ذكر من قال ذلك:

21307ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي ومـحمد بن فضيـل, عن زكريـا عن عامر وَما آتَـيْتُـمْ مِنْ رِبـا لِـيَرْبُوَ فـي أمْوَالِ النّاسِ قال: هو الرجل يــلزق بـالرجل, فـيخفّ لـه ويخـدمه, ويسـافر معـه, فــيجعل لـه ربـح بعـض مـاله لـيجزيه, وإنـما أعطاه التـماس عونه, ولـم يرد وجه الله.

وقال آخرون: هو إعطاء الرجل ماله لـيكثر بـه مـال مـن أعطـاه ذلـك, لا طلب ثواب الله. ذكر من قال ذلك:

21308ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن أبـي حصين, عن ابن عبـاس وَما آتَـيْتُـمْ منْ رِبـا لِـيَرْبُو فـي أمْـوَالِ النّـاسِ قـال: ألــم تـر إلـى الرجل يقول للرجل: لأموّلَنـك, فــيعطيه, فهـذا لا يربـو عنـد اللـه, لأنـه يعطيه لغير الله لـيثري ماله.

21309ـ قال: ثنا عمرو بن عبد الـحميد الآمـلي, قال: حـدثنا مـروان بـن معاوية, عن إسماعيـل بن أبـي خالد, قال: سمعت إبراهيـم النــخعي يقـول فـي قوله: وَما آتَـيْتُـمْ مِنْ رِبـا لِـيَرْبُوَ فـي أمْـوَالِ النّـاس, فَلا يَرْبُـو عِنْـدَ اللّـهِ قال: كان هذا فـي الـجاهلـية يعطي أحدهم ذا القرابة الـمال يكثر به ماله.

وقال آخرون: ذلك للنبـيّ صلى الله عليه وسلم خاصة, وأما لغيره فحلال. ذكر من قال ذلك:

21310ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن أبـي روّاد, عن الضحاك وَما آتَـيْتُـمْ مِنْ رِبـا لِـيَرْبُوَ فِـي أمْوَالِ النّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللّـهِ هـذا للنبــيّ صـلى الله عليه وسلم, هذا الربـا الـحلال.

وإنـما اخترنا القول الذي اخترناه فـي ذلك لأنه أظهر معانـيه.

واختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة وبعض أهل مكة: لِـيَرْبُوَ بفتـح الـياء من يربو, بـمعنى: ومـا آتيتــم مـن ربــا لــيربوَ ذلك الربـا فـي أموال الناس. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهـل الــمدينة: «لِتَرْبُـوا»

بـالتاء من تُربوا وضمها, بـمعنى: وما آتـيتـم من ربـا لتُربوا أنتـم فــي أمـوال الناس.
والصواب من القول فـي ذلك عندنا, أنهما قراءتان مشهورتان فــي قـرّاء الأمصار مع تقارب معنـيـيهما, لأن أربـاب الـمال إذا أربـوا ربــا الــمال, وإذا ربـا الـمالُ فبإربـاء أيـاه ربــا. فـإذا كـان ذلـك كـذلك, فبـأيّ القراءتــين قـرأ القارىء فمصيب.
وأما قوله: وَما آتَـيْتُـمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللّهِ فَأُولَئِكَ هُـمُ الــمُضعِفُونَ فإن أهل التأويـل قالوا فـي تأويـله نـحو الذي قلنا. ذكر من قال ذلك:
21311ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَما آتَـيْتُـمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدون وَجْـهَ اللّـهِ, فَأُولَئِـكَ هُـمُ الــمُضْعِفُونَ قـال: هـذا الذي يقبله الله ويضعفه لهم عشر أمثالها, وأكثر من ذلك.
21312ـ حُدثت عن عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, قال: قال ابن عبـاس, قوله وَما آتَـيْتُـمْ مِنْ رِبـا لِـيَرْبُوَ فِـي أمْوَالِ النّـاسِ فَلا يَرْبُـو عِنْـدَ اللّهِ قال: هي الهبة, يهب الشيء يريد أن يُثاب علـيه أفضل منه, فذلك الذي لا يربو عند الله, لا يؤجر فـيه صاحبه, ولا إثم علـيه وَما آتَـيْتُـمْ مِنْ زَكاةٍ قـال: هي الصدقة تريدون وجه الله فَأُولَئِكَ هُمُ الـمُضْعِفونَ.
21313ـ قال معمر, قال ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثل ذلك.

الآية : 40

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {اللّهُ الّذِي خَلَقَكُمْ ثُمّ رَزَقَكُمْ ثُمّ يُمِيتُكُمْ ثُمّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُمْ مّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُمْ مّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ عَمّـا يُشْرِكُونَ }.
يقول تعالـى ذكره للـمشركين به, معرّفهم قبح فعلهم, وخبث صنـيعهم: الله أيها القوم الذي لا تصلـح العبـادة إلاّ له, ولا ينبغ ي أن تكـون لغيـره, هـو الذي خـلقكم ولـم تكونوا شيئا, ثم رزقكم وخـوّلكم, ولــم تكونـوا تــملكون قبل ذلك, ثم هو يـميتكم مـن بعـد أن خــلقكم أحيـاء, ثـم يحيـيكم مـن بعـد مـماتكم لبعث القـيامة, كما:
21314ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: اللّهُ الّذِي خَـلَقَكُمْ ثُمّ رَزَقَكُمْ ثُمّ يُـمِيتُكُمْ ثُمّ يُحْيِـيكُمْ للبعث بعد الـموت.
وقوله: هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ يقول تعالـى ذكره: هل من آلهتكم وأوثانكم التـي تـجعلونهم لله فـي عبـادتكم إيـاه شـركاء مـن يفعل من ذلكم من شيء, فـيخـلق أو يرزق, أو يــميت, أو ينشـر وهـذا مـن الله تقريع لهؤلاء الـمشركين. وإنـما معنى الكلام أن شركاءهم لا تفعل شيئا من ذلك, فكيف يُعبد من دون الله من لا يفعل شيئا من ذلك؟ ثـم بـرأ نفسـه تعالـى ذكره عن الفرية التـي افتراها هـؤلاء الــمشركون علــيه بزعمهـم أن آلهتهم له شركاء, فقـال جـلّ ثنـاؤه سـبحانه أي تنزيهـا للـه وتبرئـة وَتَعالــى يقول: وعلوّا له عَمّا يُشْرِكُونَ يقول: عن شرك هؤلاء الـمشركين به. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
21315ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ لا والله سُبْحانَهُ وَتَعالـى عَمّا يُشْرِكُونَ يسبح نفسه إذ قـيـل علـيه البهتان.

الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الّذِي عَمِلُوا لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ظهرت المعاصي في برّ الأرض وبحرها بكسب أيدي الناس ما نهاهم الله عنه.

واختلف أهل التأويل في المراد من قوله: ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ فقال بعضهم: عنى بالبَرّ: الفلوات, وبالبحر: الأمصار والقُرى التي على المياه والأنهار. ذكر من قال ذلك:

21316ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا عَثّام, قال: حدثنا النضْر بن عربيّ, عن مجاهد وَإِذَا تَوَلّى سَعَى فِي الأرْض لِيُفْسِدَ فِيها... الآية, قال: إذا ولي سعى بالتعدّي والظلم, فيحبس الله القطر, ف يُهْلِكَ الحَرْثَ والنّسْلَ, وَاللّهُ لا يُحِبّ الفَسادَ قال: ثم قرأ مجاهد: ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ... الآية قال: ثم قال: أما والله ما هو بحرُكم هذا, ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر.

21317ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن النضْر بن عربيّ, عن عكرمة ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ قال: أمَا إني لا أقول بحرُكم هذا, ولكن كلّ قرية على ماء جار.

21318ـ قال: ثنا يزيد بن هارون, عن عمرو بن فَرّوخ, عن حبيب بن الزبير, عن عكرمة ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ قال: إن العرب تسمي الأمصار بحرا.

21319ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أيْدِي النّاسِ قال: هذا قبل أن يَبعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم, امتلأت ضلالة وظلما, فلما بعث الله نبيه, رجع راجعون من الناس.

قوله: ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ أما البرّ فأهل العمود, وأما البحر فأهل القُرَى والريف.

21320ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ قال: الذنوب, وقرأ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الّذِي عَمِلُوا لَعلّهُمْ يَرْجِعُونَ.

21321ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا قرة, عن الحسن, في قوله ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أيْدِي النّاسِ قال: أفسدهم الله بذنوبهم, في بحر الأرض وبرها, بأعمالهم الخبيثة.

وقال آخرون: بل عُنِي بالبرّ: ظهر الأرض, الأمصار وغيرها, وبالبحر البحر المعروف. ذكر من قال ذلك:

21322ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن ليث, عن مجاهد ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ: قال: في البرّ: ابن آدم الذي قتل أخاه, وفي البحر: الذي كان يأخذ كلّ سفينة غصبا.

21323ـ حدثني يعقوب, قال: قال أبو بشر: يعني ابن عُلَيّة, قال: سمعت ابن أبي نجيح, يقول في قوله ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أيْدِي النّاسِ قال: بقتل ابن آدم, والذي كان يأخذ كل سفينة غصبا.

21324ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن فضيل بن مرْزوق, عن عطية ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ قال: قلت: هذا البرّ والبحر أيّ فساد فيه؟ قال: فقال: إذا قلّ المطر, قل الغَوْص.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ قال: قتل ابن آدم أخاه, والبحر: قال: أخذ الملك السفن غَصْبا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن الله تعالى ذكره, أخبر أن الفساد قد ظهر في البرّ والبحر عند العرب في الأرض القفار, والبحر بحران: بحر ملح, وبحر عذب, فهما جميعا عندهم بحر, ولم يخصص جلّ ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر, فذلك على ما وقع عليه اسم بحر, عذبا كان أو ملحا. وإذا كان ذلك كذلك, دخل القرى التي على الأنهار والبحار.

فتأويل الكلام إذن إذ كان الأمر كما وصفت, ظهرت معاصي الله في كل مكان, من برّ وبحر بِمَا كَسَبَتْ أيْدِي النّاسِ: أي بذنوب الناس, وانتشر الظلم فيهما.

وقوله: ولِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الّذِي عَمِلُوا يقول جلّ ثناؤه: ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوا, ومعصيتهم التي عَصَوا لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ يقول: كي ينيبوا إلى الحقّ, ويرجعوا إلى التوبة, ويتركوا معاصيَ الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21325ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيل, عن أشعث, عن الحسن لَعلّهُم يَرْجِعُونَ قال: يتوبون.

21326ـ قال: ثنا ابن مهديّ, عن سفيان, عن السديّ, عن أبي الضحى, عن مسروق, عن عبد الله لَعلّهُمْ يَرْجِعُونَ يوم بدر, لعلهم يتوبون.

21327ـ قال: ثنا أبو أسامة, عن زائدة, عن منصور عن إبراهيم لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ قال: إلى الحقّ.

21328ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الّذِي عَمِلُوا لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ: لعلّ راجعا أن يرجع, لعل تائبا أن يتوب, لعلّ مستعتبا أن يستعتب.

21329ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا قرة, عن الحسن, لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ قال: يرجع مَنْ بعدَهم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: لِيُذِيقَهمْ فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار لِيُذِيقَهُمْ بالياء, بمعنى: ليذيقهم الله بعض الذي عملوا, وذُكر أن أبا عبد الرحمن السّلَمي قرأ ذلك بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه بذلك.

الآية : 42

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ سِيرُواْ فِي الأرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أكْثَرُهُمْ مّشْرِكِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: سِيروا في البلاد, فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم, وكذّبوا رسلَه, كيف كان آخر أمرهم, وعاقبة تكذيبهم رسُلَ الله وكفرهم ألم نهلكهم بعذاب منا, ونجعلهم عبرة لمن بعدهم؟ كان أكثرهم مشركين يقول: فَعَلنا ذلك بهم, لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلَهم.

الآية : 43

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدّينَ الْقِيّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاّ مَرَدّ لَهُ مِنَ اللّهِ يَوْمَئِذٍ يَصّدّعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فوجّه وجْهَك يا محمد نحوَ الوجه الذي وجّهك إليه ربك للدّين القَيّم لطاعة ربك, والمِلةِ المستقيمةِ التي لا اعوجاج فيها عن الحقّ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدّ لَهُ مِنَ اللّهِ يقول تعالى ذكره: من قبل مجيءِ يومٍ من أيام الله لا مردّ له لمجيئه, لأن الله قد قضى بمجيئه فهو لا محالة جاء يَوْمَئِذٍ يَصّدّعُونَ يقول: يوم يجيء ذلك اليومُ يصدّع الناسُ, يقول: يتفرّق الناس فرقتين من قولهم: صَدَعتُ الغنم صدعتين: إذا فرقتها فرقتين: فريق في الجنة, وفريق في السعير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21330ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: فَأقِمْ وَجْهَكَ للدّينِ القَيّمِ الإسلام مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدّ لَهُ مِنَ اللّهِ يَوْمَئِذٍ يَصّدّعُونَ فريق في الجنة, وفريق في السعير.

21331ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله يَوْمَئِذٍ يَصّدّعُونَ يقول: يتفرّقون.

21332ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله يَصّدّعُونَ قال: يتفرّقون إلى الجنة, وإلى النار.

الآية : 44

القول في تأويل قوله تعالى: {مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: من كفر بالله فعليه, أو زاد كفره, وآثام جحوده نِعَمَ ربه, وَمَنْ عَمِلَ صَالِحا يقول: ومن أطاع الله, فعمل بما أمره به في الدنيا, وانتهى عما نهاه عنه فيها فَلاِءَنْفُسِهِمْ يَمْهَدونَ يقول: فلأنفسهم يستعدون, ويسوّون المضجع ليسلموا من عقاب ربهم, وينجوا من عذابه, كما قال الشاعر:

امْهَدْ لنَفْسِكَ حانَ السّقْمُ والتّلَفُوَلا تُضِيعَنّ نَفْسا ما لَهَا خَلَفُ

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21333ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فَلاِءَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ قال: يسوّون المضاجع.

21334ـ حدثنا ابن المثنى والحسين بن يزيد الطحان وابن وكيع وأبو عبد الرحمن العلائي, قالوا: حدثنا يحيى بن سليم, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فَلاِءَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ قال: في القبر.

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري, قال: حدثنا يحيى بن سليم, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَلاِءَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ قال: للقبر.

حدثنا نصر بن عليّ, قال: حدثنا يحيى بن سليم, قال: حدثنا ابن أبي نجيح, قال: سمعت مجاهدا يقول: في قوله فَلاِءَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ قال: في القبر.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {لِيَجْزِيَ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنّهُ لاَ يُحِبّ الْكَافِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: يومئذ يصّدّعون... لِيَجزيَ الّذِينَ آمَنُوا بالله ورسوله وعَمِلُوا الصّالِحاتِ يقول: وعملوا بما أمرهم الله مِنْ فَضْلِهِ الذي وعد من أطاعه في الدنيا أن يجزيه يوم القيامة إنّهُ لا يُحِبّ الكافِرِينَ يقول تعالى ذكره: إنما خصّ بجزائه من فضله الذين آمنوا وعملوا الصالحات دون من كفر بالله, إنه لا يحبّ أهل الكفر به. واستأنف الخبر بقوله إنّه لا يُحِبّ الكافِرِينَ وفيه المعنى الذي وصفت.

الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرّيَاحَ مُبَشّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مّن رّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن أدلته على وحدانيته وحججه عليكم على أنه إله كلّ شيء أنْ يُرْسِلَ الرّياحَ مُبَشّراتٍ بالغيث والرحمة وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ يقول: ولينزّل عليكم من رحمته, وهي الغيث الذي يحيي به البلاد, ولتجري السفن في البحار بها بأمره إياها وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ يقول: ولتلتمسوا من أرزاقه ومعايشكم التي قسمها بينكم وَلَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ يقول: ولتشكروا ربكم على ذلك أرسل هذه الرياح مبشرات. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21335ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد الرّياحَ مُبَشّراتٍ قال: بالمطر.

وقالوا في قوله: وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ مثل الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

21336ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ قال: المطر.

21337ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ: المطر.

الآية : 47

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىَ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره مسليا نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يلقى من قومه من الأذى فيه بما لقي من قبله من رسله من قومهم, ومعلمه سنته فيهم وفي قومهم, وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم, وفي أممهم: ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك رسلاً إلى قومهم الكفرة, كما أرسلناك إلى قومك العابدي الأوثان من دون الله فجاءُوهُمْ بالبّيّناتِ يعني: بالواضحات من الحجج على صدقهم وأنهم لله رسل كما جئت أنت قومك بالبينات فكذّبوهم كما كذّبك قومك, وردّوا عليهم ما جاءوهم به من عند الله, كما ردّوا عليك ما جئتهم به من عند ربك فانْتَقَمْنا مِنَ الّذِينَ أجْرَمُوا يقول: فانتقمنا من الذين أجرموا الآثام, واكتسبوا السيئات من قومهم, ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمي قومك وكانَ حَقّا عَلَيْنا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ يقول: ونجّينا الذين آمنوا بالله وصدّقوا رسله, إذ جاءهم بأسنا, وكذلك

نفعل بك وبـمن آمن بك من قومك وكانَ حَقّا عَلَـيْنا نَصْـرُ الـمُؤْمِنِـينَ علـى الكافرين, ونـحن ناصروك ومن آمن بك علـى مَن كفر بك, ومظفروك بهم.

الآية : 48

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {اللّـهُ الّـذِي يُرْسِـلُ الرّيَـاحَ فَتُثِيـرُ سَـحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِـنْ خِلاَلِـهِ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: الله يرسل الريـاح فتثـير سحابـا, يقـول: فتنشـىء الرياحُ سحابـا, وهي جمع سحابة, فـيبسطه فـي السماء كيـف يشـاء يقـول: فـينشره الله, ويجمعه فـي السـماء كيـف يشـاء, وقـال: فـيبسطه, فوحـد الهاء, وأخرج مخرج كناية الـمذكر, والسـحاب جمـع كمـا وصـفت ردّا علـى لفظ السحاب, لا علـى معناه, كما يقال: هذا تـمر جيـد. وبنـحو الـذي قلنـا فـي تأويـل قوله فَـيَبْسُطُهُ قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21338ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة فَـيَبْسُطُهُ فِـي السّماءِ كَيْفَ يَشاءُ ويجمعه.

وقوله: ويَجْعَلُهُ كِسفَـا: يقول: ويجعل السحاب قِطعا. متفرّقة, كما:

21339ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة ويَجْعَلُهُ كِسفَـا: أي قطعا.

وقوله فتَرَى الـوَدْقَ يعنـي: الـمطر يَخْـرُجُ مِـنْ خِلالِـهِ يعنـي: مـن بـين السحاب. كما:

21340ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة فتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ.

21341ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن قطـن, عـن حبـيب, عـن عبـيد بن عمير يُرْسِلُ الرّياحَ فَتُثِيرُ سَحَابـا قال: الرياح أربع: يبعث الله ريحـا فتقمّ الأرض قما, ثم يبعث الله الريح الثانـية فتثـير سحابـا, فـيجعله فـي السماء كِسفَـا, ثم يبعث الله الريح الثالثة, فتؤلف بـينه فـيجعله ركامـا, ثـم يبعث الريح الرابعة فتـمطر.

21342ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثَنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقـاء جميعـا, عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد فَتَرَى الوَدقَ قال: القطر.

وقوله: فإذَا أصَابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبـادِهِ إذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ يقول: فـإذا صرف ذلك الودق إلـى أرض من أراد صرفه إلـى أرضـه مـن خـلقه رأيتهـم يستبشرون بأنه صرف ذلك إلـيهم ويفرحون.

الآية : 49

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِن كَانُواْ مِـن قَبْـلِ أَن يُنَـزّلَ عَلَيْهِـمْ مّـن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عبـاده من قبل أن ينزل علـيهم هذا الغيث من قبـل هـذا الغيـث لـمبلسين, يقـول: لـمكتئبـين حزنـين بـاحتبـاسه عنهم, كما:

21343ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قَتـادة وَإنْ كانُوا مِنْ قَبْلِ أنْ يُنَزّلَ عَلَـيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَـمُبْلِسِينَ: أي قانطين.

واختلف أهل العربـية فـي وجه تكرير «من قبلـه», وقـد تقـدم قبـل ذلـك قوله: مِنْ قَبْلِ أنْ يُنَزّلَ عَلَـيْهِمْ فق ال بعـض نـحويـي البصـرة: ردّ مـن قبلـه

على التوكيد نحو قوله: فَسَجَدَ المَلائكَةُ كُلّهُمْ أجمَعُونَ وقال غيره: ليس ذلك كذلك, لأن مع مِنْ قَبْلِ أنْ يُنَزّلَ عَلَيْهِمْ حرفا ليس مع الثانية, قال: فكأنه قال: من قبل التنزيل من قبل المطر فقد اختلفتا, وأما كُلّهُمْ أجمَعُونَ وكد بأجمعين لأن كلاً يكون اسما ويكون توكيدا, وهو قوله أجمعون. والقول عندي في قوله: مِنْ قَبْلِهِ على وجه التوكيد.

الآية : 50

القول في تأويل قوله تعالى: {فَانظُرْ إِلَىَ آثَارِ رَحْمَةِ اللّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىَ وَهُوَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

اختلفت القرّاء في قوله: فَانْظُرْ إلى آثَارِ رَحْمَةِ اللّهِ فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: إلى أثَرِ رَحْمَةِ اللّهِ على التوحيد, بمعنى: فانظر يا محمد إلى أثر الغيث الذي أصاب الله به من أصاب من عباده, كيف يحيي ذلك الغيث الأرض من بعد موتها. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «فانْظُرْ إلى آثارِ رَحْمَةِ اللّهِ» على الجماع, بمعنى: فانظر إلى آثاء الغيث الذي أصاب الله به من أصاب كيف يحيي الأرض بعد موتها.

والصواب من القول في ذلك, أنهما قراءتان مشهورتان في قَرَأَة الأمصار, متقاربتا المعنى وذلك أن الله إذا أحيا الأرض بغيث أنزله عليها, فإن الغيث أحياها بإحياء الله إياها به, وإذا أحياها الغيث, فإن الله هو المحيي به, فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب. فتأويل الكلام إذن: فانظر يا محمد إلى آثار الغيث الذي ينزّل الله من السحاب, كيف يحيي بها الأرض الميتة, فينبتها ويعشبها من بعد موتها ودثورها. إن ذلك لمحيي الموتى يقول جلّ ذكره: إن الذي يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث, لمحيي الموتى من بعد موتهم, وهو على كلّ شيء مع قدرته على إحياء الموتى قدير, لا يعزّ عليه شيء أراده, ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه سبحانه.

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لّظَلّواْ مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولئن أرسلنا ريحا مفسدة ما أنبته الغيث الذي أنزلناه من السماء, فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذي حييت به أرضوهم, وأعشبت ونبتت به زروعهم, ما أنبتته أرضوهم بذلك الغيث من الزرع مصفرّا, قد فسد بتلك الريح التي أرسلناها, فصار من بعد خضرته مصفرا, لظلوا من بعد استبشارهم وفرحتهم به يكفرون بربهم.

الآية : 52 - 53

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِنّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَىَ وَلاَ تُسْمِعُ الصّمّ الدّعَآءَ إِذَا وَلّوْاْ مُدْبِرِينَ * وَمَآ أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مّسْلِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فإنّكَ يا محمد لا تُسْمِعُ المَوْتَى يقول: لا تجعل لهم أسماعا يفهمون بها عنك ما تقول لهم, وإنما هذا مثل معناه: فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم, فسلبهم فهم ما يُتلى عليهم من مواعظ تنزيله, كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين قد سلبهم الله أسماعهم, بأن تجعل لهم أسماعا.

وقوله: وَلا تُسْمِعُ الصّمّ الدّعاءَ يقول: وكما لا تقدر أن تُسمع الصمّ الذين قد سلبوا السمع الدعاء, إذا هم وَلّوا عنك مدبرين, كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهمَ آيات كتابه, لسماع ذلك وفهمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21344ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: فإنّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى: هذا مَثَل ضربه الله للكافر فكما لا يسمع الميت الدعاء, كذلك لا يسمع الكافر. وَلا تُسْمِعُ الصّمّ الدّعاءَ إذَا وَلّوْا مُدْبِرِينَ يقول: لو أن أصمّ ولّى مدبرا ثم ناديته لم يسمع, كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع.

وقوله: وَما أنْتَ بِهادِ العُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ يقول تعالى ذكره: وما أنت يا محمد بمسدّد من أعماه الله عن الاستقامة, وَمَحجة الحقّ, فلم يوفقه لإصابة الرشد, فصارِفه عن ضلالته التي هو عليها, وركوبه الجائر من الطرق, إلى سبيل الرشاد, يقول: ليس ذلك بيدك ولا إليك, ولا يقدر على ذلك أحد غيري, لأني القادر على كل شيء. وقيل: بهادي العمي عن ضلالتهم, ولم يقل: من ضلالتهم. لأن معنى الكلام ما وَصَفْت, من أنه: وما أنت بصارفهم عنه, فحمل على المعنى. ولو قيل: من ضلالتهم كان صوابا. وكان معناه: ما أنت بمانعهم من ضلالتهم.

وقوله: إنْ تُسْمِعُ إلاّ مَنْ يُؤْمِنُ بآياتِنا يقول تعالى ذكره لنبيه: ما تسمع السماع الذي ينتفع به سامعه فيعقله, إلاّ من يؤمن بآياتنا, لأن الذي يؤمن بآياتنا إذا سمع كتاب الله تدبّره وفهمه وعقَله, وعمل بما فيه, وانتهى إلى حدود الله, الذي حدّ فيه, فهو الذي يسمع السماع النافع.

وقوله: فَهُمْ مُسْلِمُونَ يقول: فهم خاضعون لله بطاعته, متذللون لمواعظ كتابه.

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {اللّهُ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن ضَعْفٍ ثُمّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوّةٍ ثُمّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ }.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث من مشركي قريش, محتجا عليهم بأنه القادر على ذلك وعلى ما يشاء: اللّهُ الّذِي خَلَقَكُمْ أيها الناس مِنْ ضَعْفٍ يقول: من نُطْفة وماء مَهِين, فأنشأكم بَشَرا سويّا ثُمّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوّةً يقول: ثم جعل لكم قوّة على التصرّف, من بعد خلقه إياكم من ضعف, ومن بعد ضعفكم, بالصغر والطفولة ثُمّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ ضَعْفا وَشَيْبَةً يقول: ثم أحدث لكم الضعف بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوياء في شبابكم وشيبة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21345ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: الّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ أي من نطفة ثُمّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوّةً, ثُمّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ ضَعْفا الهرم وَشَيْبَةً الشّمَط.

وقوله: يَخْلُقُ ما يَشاءُ يقول تعالى ذكره: يخلق ما يشاء من ضعف وقوّة وشباب وشيب وَهُوَ العَلِيمُ بتدبير خلقه القَدِيرُ على ما يشاء, لا يمتنع عليه شيء أراده, فكما فعل هذه الأشياء, فكذلك يميت خلقه ويحييهم إذا

شاء. يقول: واعلموا أن الذي فعل هذه الأفعال بقدرته يحيي الموتى إذا شاء.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء ساعة البعث, فيبعث الخلق من قبورهم, يقسم المجرمون, وهم الذين كانوا يكفرون بالله في الدنيا, ويكتسبون فيه الآثام, وإقسامهم: حلفهم بالله. ما لَبِثُوا غيرَ ساعَةٍ: يقول: يقسمون بأنهم لم يلبثوا في قبورهم غير ساعة واحدة. يقول الله جلّ ثناؤه: كذلك في الدنيا كانوا يُؤْفَكُون: يقول: كذبوا في قيلهم وقَسَمِهِم ما لبثنا غير ساعة, كما كانوا في الدنيا يكذبون ويحلفون على الكذب وهم يعلمون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21346ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمونَ ما لَبِثُوا غيرَ ساعَةٍ كَذلكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ أي يكذبون في الدنيا, وإنما يعني بقوله: يُؤْفَكُونَ عن الصدق, ويَصُدّون عنه إلى الكذب.

الآية : 56

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ الّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللّهِ إِلَىَ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَـَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَـَكِنّكُمْ كُنتمْ لاَ تَعْلَمُونَ }.

كان قَتادة يقول: هذا من المقدّم الذي معناه التأخير.

21347ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَقالَ الّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ والإيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كتابِ اللّهِ إلى يَوْمِ البَعْثِ قال: هذا من مقاديم الكلام. وتأويلها: وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم: لقد لبثتم في كتاب الله.

وذُكر عن ابن جُرَيج أنه كان يقول: معنى ذلك: وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله, والإيمان بالله وكتابه.

وقوله: فِي كِتابِ اللّهِ يقول: فيما كتب الله مما سبق في علمه أنكم تلبثونه فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ يقول: فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم وَلَكِنّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمونَ يقول: ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه يكون, وأنكم مبعوثون من بعد الموت, فلذلك كنتم تكذبون.

الآية : 57

القول في تأويل قوله تعالى: {فَيَوْمَئِذٍ لاّ ينفَعُ الّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ }. يقول تعالى ذكره: فيوم يبعثون من قبورهم لا يَنْفَعُ الّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ يعني المكذّبين بالبعث في الدنيا معذرتهم, وهو قولهم: ما علمنا أنه يكون, ولا أنا نُبعث. وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ يقول: ولا هؤلاء الظلمة يُستَرجعون يومئذٍ عما كانوا يكذّبون به في الدنيا.

الآية : 58

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنّاسِ فِي هَـَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لّيَقُولَنّ الّذِينَ كَفَرُوَاْ إِنْ أَنتُمْ إِلاّ مُبْطِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد مثلنا للناس في هذا القرآن من كل مثل احتجاجا عليهم, وتنبيها لهم عن وحدانية الله. وقوله وَلِئنْ جِئْتَهُمْ بآيَةٍ يقول: ولئن جئت يا محمد هؤلاء القوم بآية; يقول: بدلالة على صدق ما تقول لَيَقُولَنّ الّذِينَ كَفَرُوا إنْ أنْتُمْ إلاّ مُبْطِلُونَ يقول: ليقولنّ الذين جحدوا رسالتك, وأنكروا نبوّتك: إن أنتم أيها المصدّقون محمدا فيما أتاكم به إلاّ مبطلون فيما تَجيئوننا به من هذه الأمور.

الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: كذلك يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العِبر والعظات, والآيات البيّنات, فلا يفقهون عن الله حُجة, ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آي كتابه, فهم لذلك في طغيانهم يتردّدون.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {فَاصْبِرْ إنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ وَلاَ يَسْتَخِفّنّكَ الّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم, وبلغهم رسالة ربك, فإن وعد الله الذي وعدك من النصر عليهم, والظفر بهم, وتمكينك وتمكين أصحابك وتُبّاعك في الأرض حقّ وَلا يسْتَخِفّنّكَ الّذِينَ لا يُوقِنُونَ يقول: ولا يستخفنّ حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد ولا يصدّقون بالبعث بعد الممات, فيثبطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلّفك من تبليغهم رسالته.

21348ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سعيد بن جُبَير, عن عليّ بن ربيعة, أن رجلاً من الخوارج, قرأ خلف عليّ رضي الله عنه: لَئِنْ أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنّ مِنَ الخاسِرِينَ فقال عليّ: فاصْبِرْ إنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ, وَلا يَسْتَخِفّنّكَ الّذِينَ لا يُوقِنُونَ.

قال: ثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن عثمان بن أبي زرعة عن عليّ بن ربيعة قال: نادى رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه, وهو في صلاة الفجر, فقال وَلَقَدْ أُوحِيَ إلَيْكَ وَإلى الّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنّ مِنَ الخاسِرِينَ فأجابه عليّ رضي الله عنه وهو في الصلاة: فاصْبِرْ إنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ, وَلا يَسْتَخِفّنّكَ الّذِينَ لا يُوقِنُونَ.

21349ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فاصْبِرْ إنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ, وَلا يَسْتَخِفّنّكَ الّذِينَ لا يُوقِنُونَ قال: قال رجل من الخوارج خلف عليّ في صلاة الغداة: وَلَقَدْ أُوحِيَ إلَيْكَ وَإلى الّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أشركْت لَيَحْبَطَنّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنّ مِنَ الخاسِرِينَ فأنصت له عليّ رضي الله عنه حتى فهم ما قال, فأجابه وهو في الصلاة: فاصْبِرْ إنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ, وَلا يَسْتَخِفّنّكَ الّذِينَ لا يُوقِنُونَ.

آخر تفسير سورة الروم

سورة لقمان

سورة لقمان مكية
وآياتها أربع وثلاثون

بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1-4

القول في تأويـل قوله تعالـى: {الـَمَ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُـدًى وَرَحْمَةً لّلْمُحْسِنِينَ * الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزّكَاةَ وَهُمْ بِـالآخِرَةِ هُـمْ يُوقِنُونَ }.

وقد تقدّم بياننا تأويـل قول الله تعالـى ذكـره الـم. وقـوله: تِلـكَ آيـاتُ الكِتابِ الـحَكِيـمِ يقول جل ثناؤه: هذه آيات الكتاب الـحكيـم بـيانا وتفصـيلاً. وقوله هُدًى ورَحْمَةً يقول: هذه آيات الكتاب بـيانا ورحمة من اللـه, رحـم بـه من اتبعه, وعمل به من خـلقه وبنصب الهدى والرحمة علـى القطع من آيات الكتاب قرأت قـرّاء الأمصـار غيـر حمـزة, فـإنه قـرأ ذلـك رفعـا علـى وجـه الاستئناف, إذ كان منقطعا عن الآية التـي قبلهـا بـأنه ابتـداء آيـة وأنـه مـدح, والعرب تفعل ذلك مـما كان من نعوت الـمعارف, وقع موقع الـحال إذا كـان فـيه معنى مدح أو ذمّ. وكلتا القراءتـين صواب عندي, وإن كنت إلـى النصب أميـل, لكثرة القراء به.

وقوله: للْـمُـحْسِنِـينَ وهم الذين أحسنوا فـي العمل بـما أنزل الله فـي هذا القـرآن, يقـول تعالـى ذكـره: هـذا الكتـاب الـحكيـم هـدى ورحمـة للـذين أحسنوا, فعملوا بـما فـيه من أمر الله ونهيه الّذِينَ يُقِيـمُونَ الصّـلاةَ يقـول: الذين يقـيمون الصّلاةَ الـمفروضة بحدودها وَيُؤْتُونَ الزّكاةَ من جعلها الله له الـمفروضة فـي أموالهم وَهُمْ بـالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ يقول: يفعلون ذلـك وهـم بجزاء الله وثوابه لـمن فعل ذلك فـي الآخرة يوقنون.

الآية : 5

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أُوْلَـئِكَ عَلَىَ هُدًى مّن رّبّهِـمْ وَأُوْلَـئِكَ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم علـى بـيان من ربهم ونور وأُولَئِكَ هُمُ الـمُفْلـحونَ يقول: وهؤلاء هم الـمنْـجِحون الـمدركون مـا رَجَـوا وأملوا من ثواب ربهم يوم القـيامة.

الآية : 6

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمِـنَ النّـاسِ مَـن يَشْـتَرِي لَهْـوَ الْحَـدِيثِ لِيُضِلّ عَن سَبِيلِ اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتّخِذَهَا هُزُواً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مّهِينٌ }.

اختلف أهل التأويـل, فـي تأويـل قـوله: وَمِـنَ النّـاسِ مَـنْ يَشْـتَرِي لَهْـوَ الـحَدِيث فقال بعضهم: من يشتري الشراء الـمعروف بـالثمن, ورووا بـذلك خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما:

21350ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن خلاد الصفـار, عـن عبـيد الله بن زَحْر, عن علـيّ بن يزيد, عن القاسم, عـن أبـي أمامـة, قـال: قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَحِلّ بَـيْعُ الـمُغَنّـياتِ, وَلا شِرَاؤُهُنّ, وَلا التّـجارَةُ فِـيهِنّ, وَلا أثمَـانُهُنّ, وفـيهنّ نزلـت هـذه الآيـة: وَمِـنَ النّـاسِ مَـنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الـحَدِيثِ».

حدثنا ابن وكيع, قال: ثنـي أبـي, عن خَلاد الصفـار, عن عبـيد الله بن زَحْر, عن علـيّ بن يزيد, عن القاسم, عن أبـي أمامة, عن النبـيّ صلى اللـه عليـه وسلم بنـحوه, إلاّ أنه قال: «أكْلُ ثَمَنِهِنّ حَرَامٌ» وقال أيضـا: «وفِـيهِنّ أنْـزَلَ

اللّهُ علـيّ هَـذِهِ الآيَـةَ: وَمِـنَ النّـاسِ مَـنْ يَشْـتَرِي لَهْـوَ الـحَدِيثِ لِـيُضِلّ عَـنْ سَبِـيـلِ اللّهِ».

حدثنـي عبـيد بن آدم بن أبـي إياس العسقلانـي, قال: حدثنا أبـي, قـال: حدثنا سلـيـمان بن حيان, عن عمرو بن قـيس الكلابـي, عن أبــي الـمهلّب, عن عبـيد الله بن زَحْر, عن علـيّ بن يزيـد, عـن القاسـم, عـن أبــي أمامـة. قال: وثنا إسماعيـل بن عَياش, عن مُطَرّح بن يزيد, عن عبـيد الله بن زَحْــر, عن علـيّ بن زيد, عن القاسـم, عـن أبــي أمامـة البـاهلــي, قـال: سـمعت رسول الله صلى الله عليـه وسـلم يقـول: «لا يحـلّ تَعْلِـيـمُ الـمُغَنّــياتِ, وَلا بَـيْعُهُنّ وَلا شِرَاؤُهُنّ, وثَمَنُهُنّ حَرامٌ, وقَدْ نَزَلَ تَصْـدِيقُ ذلـكَ فِــي كِتـابِ اللّـهِ وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الـحَدِيثِ إلـى آخر الآية».

وقال آخرون: بل معنى ذلك: من يختار لهو الـحديث ويستـحبه. ذكـر مـن قال ذلك:

21351ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الـحَدِيثِ لِـيُضِلّ عَنْ سَبِـيـلِ اللّهِ بغَيْرِ عِلْـمٍ والله لعله أن لا ينفق فـيه مالاً, ولكـن اشـتراؤه استـحبــابه, بحسـب الــمرء مـن الضلالة أن يختار حديث البـاطل علـى حديث الـحقّ, وما يضرّ علـى ما ينفع.

21352ـ حدثنـي مـحمد بن خـلف العسقلانـي, قال: حدثنا أيوب بن سويد, قال: حدثنا ابن شوذب, عن مطر, فـي قول الله وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الـحَدِيثِ قال: اشتراؤه: استـحبـابه.

وأولـى التأويـلـين عندي بـالصواب تأويـل من قال: معناه: الشراء, الـذي هو بـالثمن, وذلك أن ذلك هو أظهر معنـيـيه.

فإن قال قائل: وكيـف يشـتري لهـو الــحديث؟ قـيــل: يشـتري ذات لهـو الـحديث, أو ذا لهو الـحديث, فـيكون مشتريا لهو الـحديث.

وأما الـحديث, فإن أهل التأويـل اختلفوا فــيه, فقـال بعضـهم: هـو الغنـاء والاستـماع له. ذكر من قال ذلك:

21353ـ حدثنـي يونس بن عبد الأعلــى, قـال: أخبرنـا ابـن وهـب, قـال: أخبرنـي يزيد بن يونس, عن أبـي صخر, عن أبـي معاوية البجلـي, عن سعيد بن جُبَـير, عن أبـي الصهبـاء البكري, أنـه سـمع عبـد اللـه بـن مسـعود وهـو يُسأل عن هذه الآية وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الـحَدِيثِ لِـيُضِلّ عَنْ سَبِـيــلِ اللّهِ بغَيْرِ عِلْـمٍ فقـال عبـد اللـه: الغنـاء, والـذي لا إلـه إلاّ هـو, يردّدهـا ثلاث مرّات.

حدثنا عمرو بن علـيّ, قال: حدثنا صفوان بن عيسى, قال: أخبرنا حميـد الـخراط, عن عمار, عن سعيد بن جُبَـير, عن أبـي الصهبــاء, أنـه سـأل ابـن مسعود, عن قول الله وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الـحَدِيثِ قال: الغناء.

21354ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا علـيّ بن عـابس, عـن عطـاء, عـن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْـوَ الــحَدِيثِ قـال: الغِناء.

21355ـ حدثنا عمرو بن علـيّ, قال: حدثنا عمران بن عيـينة, قال: حدثنا عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبَــير, عـن ابـن عبــاس وَمِـنَ النّـاسِ مَـنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الـحَدِيثِ قال: الغناء وأشبـاهه.

حدثنا ابن وكيع, والفضل بن الصباح, قالا: حدثنا محمد بن فضيل, عن عطاء, عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس, في قوله: وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ قال: هو الغناء ونحوه.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلم, عن عمرو بن أبي قيس, عن عطاء, عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس, مثله.

حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطي, قال: حدثنا عبيد الله, قال: حدثنا ابن أبي ليلى, عن الحكم, عن مقسم, عن ابن عباس, قال: هو الغناء والاستماع له, يعني قوله: وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ.

21356ـ حدثنا الحسن بن عبد الرحيم, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: حدثنا سفيان, عن قابوس بن أبي ظبيان, عن أبيه, عن جابر, في قوله: وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ قال: هو الغناء والاستماع له.

21357ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن ابن أبي ليلى, عن الحكم أو مقسم, عن مجاهد, عن ابن عباس قال: شراء المغنية.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حفص والمحاربي, عن ليث, عن الحكم, عن ابن عباس, قال: الغناء.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ قال: باطل الحديث: هو الغناء ونحوه.

21358ـ حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن حبيب, عن مجاهد وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ قال: الغناء.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن بن مهدي, عن شعبة, عن الحكم, عن مجاهد أنه قال في هذه الآية وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ قال: الغناء.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن حبيب عن مجاهد قال: الغناء.

قال: ثنا أبي, عن شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, مثله.

21359ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا الأشجعي, عن سفيان, عن عبد الكريم, عن مجاهد وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ قال: هو الغناء, وكلّ لعب لهو.

حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطي, قال: حدثنا عليّ بن حفص الهمداني, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ قال: الغناء والاستماع له وكل لهو.

21360ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ قال: المغني والمغنية بالمال الكثير, أو استماع إليه, أو إلى مثله من الباطل.

حدثني يعقوب وابن وكيع, قالا: حدثنا ابن علية, عن ليث, عن مجاهد, في قوله وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ قال: هو الغناء أو الغناء منه, أو الاستماع له.

21361ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا عثام بن عِلـيّ, عـن إسماعيــل بـن أبـي خالد, عن شعيب بن يسار, عن عكرمة قال: لَهْوَ الـحَدِيثِ: الغناء.

21362ـ حدثنـي عبـيد بن إسماعيــل الهَبّــاريّ, قـال: حـدثنا عَثّـام, عـن إسماعيـل بن أبـي خالد, عن شعيب بن يسار هكذا قال عكرمـة, عـن عبــيد مثله.

حدثنا الـحسين بن الزبرقان النـخعي, قال: حدثنا أبو أسامة وعبـيد الله, عن أسامة, عن عكرمة, فـي قوله وَمِـنَ النّـاسِ مَـنْ يَشْـتَرِي لَهْـوَ الــحَدِيثِ قال: الغناء.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن أسامة بن زيد, عن عكرمة, قـال: الغناء.

وقال آخرون: عنى بـاللهو: الطّبل. ذكر من قال ذلك:

21363ـ حدثنـي عبـاس بن مـحمد, قال: حدثنا حجـاج الأعـور, عـن ابـن جُرَيج, عن مـجاهد, قال: اللهو: الطبل.

وقال آخرون: عنى بلهو الـحديث: الشرك. ذكر من قال ذلك:

21364ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ, يقول: أخبرنا عبـيد, قـال: سـمعت الضـحاك يقـول, فــي قـوله: وَمِـنَ النّـاسِ مَـنْ يَشْـتَرِي لَهْـوَ الـحَدِيثِ يعنـي الشرك.

21365ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْـتَرِي لَهْـوَ الــحَدِيثِ لِـيُضِلّ عَـنْ سَبِـيــلِ اللّـهِ بِغَيْـرِ عِلْـمٍ, ويَتّـخِذها هُزُوا قال: هؤلاء أهل الكفر, ألا ترى إلــى قــوله: وَإذا تُتْلَــى عَلَـيْهِ آياتُنا وَلّـى مُسْتَكْبِرا كأنْ لَـمْ يَسْـمَعْها, كـأنّ فِــي أُذُنَــيْهِ وَقْـرا فلــيس هكذا أهل الإسلام, قال: وناس يقولون: هي فـيكم, ولـيس كذلك, قال: وهو الـحديث البـاطل الذي كانوا يَـلْغَون فـيه.

والصواب من القول فـي ذلك أن يقال: عنى به كلّ ما كان مـن الــحديث ملهيا عن سبـيـل اللـه, مــما نهـى اللـه عـن استــماعه أو رسـولُه, لأن اللـه تعالـى عَمّ بقوله لَهْوَ الـحَدِيثِ ولـم يخصـص بعضـا دون بعـض, فـذلك علــى عمومه, حتـى يأتـي ما يدلّ علـى خصوصه, والغناء والشرك من ذلك.

وقوله: لِـيُضِلّ عَنْ سَبِـيـلِ اللّهِ يقول: لـيصدّ ذلك الـذي يشـتري مـن لهـم الـحديث عن دين الله وطاعته, وما يقرّب إلـيه من قراءة قرآن, وذكـر اللـه. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21366ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي قال: ثنـي عمي, قـال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس لِـيُضِلّ عَنْ سَبِـيــلِ اللّـهِ قـال: سبـيــل الله: قراءة القرآن, وذكر الله إذا ذكره, وهو رجل من قريش اشترى جاريــة مغنـية.

وقوله: بغَيْرِ عِلْـمٍ يقول: فعل ما فعل من اشترائه لهو الـحديث, جهلاً منه بـما له فـي العاقبـةَ عنـد اللـه مـن وزر ذلـك وإثمـه. وقـوله وَيَتّــخِذَها هُـزُوا اختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الـمدينة والبصرة, وبعض أهل الكوفة: «وَيَتّـخِذُها» رفعا, عطفـا به علــى قـوله: يَشْـتَرِي كـأن معنـاه عندهم: ومن الناس من يشتري لهو الـحديث, ويتـخذ آيات الله هـزوا. وقـرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: وَيَتّـخِذَها نصبـا عطفـا علـى يضلّ, بــمعنى: لــيضلّ عن سبـيـل الله, ولـيتـخذَها هُزُوا.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان معروفتان في قرّاء الأمصار, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء, فمصيب الصواب في قراءته, والهاء والألف في قوله: ويَتّخِذَها من ذكر سبيل الله. ذكر من قال ذلك:
21375حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَيَتّخِذَها هُزُوا قال: سبيل الله.
وقال آخرون: بل ذلك من ذِكر آيات الكتاب.
21367ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: بِحَسْب المرء من الضلالة, أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ, وما يضرّ على ما ينفع.
ويَتّخِذَها هُزُوا يستهزىء بها ويكذّب بها. وهما من أن يكونا من ذكر سبيل الله أشبه عندي لقربهما منها, وإن كان القول الآخر غير بعيد من الصواب. واتخاذه ذلك هُزُوا هو استهزاؤه به.
وقوله: أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا أنهم يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله, لهم يوم القيامة عذاب مُذِلّ مخزٍ في نار جهنم.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَىَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلّىَ مُسْتَكْبِراً كَأَن لّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنّ فِيَ أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }.
يقول تعالى ذكره: وإذا تُتلى على هذا الذي اشترى لهو الحديث للإضلال عن سبيل الله, آيات كتاب الله, فقرئت عليه ولّى مُسْتَكْبرا يقول: أدبر عنها, واستكبر استكبارا, وأعرض عن سماع الحقّ والإجابة عنه كأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كأنّ فِي أُذُنَيهِ وَقْرا يقول: ثقلاً, فلا يطيق من أجله سماعه, كما:
21368ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: فِي أُذُنَيْهِ وَقْرا قال: ثِقْلاً.
وقوله فَبَشّرْهُ بعَذَابٍ أَلِيمٍ يقول تعالى ذكره: فبشر هذا المعرض عن آيات الله إذا تُلِيت عليه استكبارا بعذاب له من الله يوم القيامة مُوجع, وذلك عذاب النار.

الآية : 8-9

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ لَهُمْ جَنّاتُ النّعِيمِ * خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللّهِ حَقّاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }.
يقول تعالى ذكره: إنّ الّذِينَ آمَنُوا بالله فوحدوه, وصدّقوا رسوله واتبعوه وعَمِلُوا الصّالِحَاتِ يقول: فأطاعوا الله, فعملوا بما أمرهم في كتابه وعلى لسان رسوله, وانتهوا عما نهاهم عنه لَهُمْ جَنّاتُ النّعِيمِ يقول: لهؤلاء بساتين النعيم خالدين فِيها يقول: ماكثين فيها إلى غير نهاية وَعْدَ اللّهِ حَقّا يقول: وعدهم الله وعدا حقا, لا شكّ فيه ولا خلف له وَهُوَ العَزِيزُ يقول: وهو الشديد في انتقامه من أهل الشرك به, والصادّين عن سبيله, الحَكِيمُ في تدبير خلقه.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {خَلَقَ السّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثّ فِيهَا مِن كُلّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلّ زَوْجٍ كَرِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: ومن حكمته أنه خَلَقَ السّمَوَاتِ السبع بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها. وقد ذكرت فيما مضى اختلاف أهل التأويل في معنى قوله بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وبيّنا الصواب من القول في ذلك عندنا. وقد:

21369ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا معاذ بن معاذ, عن عمران بن حدير, عن عكرمة, عن ابن عباس بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها قال: لعلها بعمد لا ترونها.

21370ـ وقال: ثنا العلاء بن عبد الجبار, عن هماد بن سلمة, عن حميد, عن الحسن بن مسلم, عن مجاهد, قال: إنها بعمد لا ترونها.

قال: ثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: لعلها بعمد لا ترونها.

21371ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد, عن سماك, عن عكرمة في هذا الحرف خَلَقَ السّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها قال: ترونها بغير عمد, وهي بَعمد.

21372ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة خَلَقَ السّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها قال: قال الحسن وقتادة: إنها بغير عمد ترونها, ليس لها عمد.

وقال ابن عباس بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا قال: لها عمد لا ترونها.

وقوله: وألْقَى فِي الأرْضِ رَوَاسِيَ أنْ تَمِيدَ بِكُمْ يقول: وجعل على ظهر الأرض رواسي, وهي ثوابت الجبال أن تميد بكم أن لا تميد بكم. يقول: أن لا تضطرب بكم, ولا تتحرّك يمنة ولا يسرة, ولكن تستقرّ بكم, كما:

21373ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة وألْقَى فِي الأرْضِ رَوَاسِي: أي جبالاً أنْ تَمِيدَ بِكُمْ أثبتها بالجبال, ولولا ذلك ما أقرّت عليها خلقا, وذلك كما قال الراجز:

(والمُهْرُ يَأْبَى أنْ يَزَالَ مُلَهّبا)

بمعنى: لا يزال.

وقوله: وَبَثّ فِيها مِنْ كُلّ دَابّةٍ يقول: وفرّق في الأرض من كلّ أنواع الدوابّ. وقيل الدوابّ اسم لكلّ ما أكل وشرب, وهو عندي لكلّ ما دبّ على الأرض. وقوله: وأنْزَلْنا مِنَ السّماءِ ماءً, فأنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلّ زَوْجٍ كَرِيمٍ يقول تعالى ذكره: وأنزلنا من السماء مطرا, فأنبتنا بذلك المطرَ في الأرض من كلّ زوج, يعني: من كل نوع من النبات كريم, وهو الحسن النّبتة, كما:

21374ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة مِنْ كُلّ زَوْجٍ كَرِيمٍ: أي حسن.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {هَـَذَا خَلْقُ اللّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظّالِمُونَ فِي ضَلاَلٍ مّبِينٍ }.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعددت عليكم أيها الناس أني خلقته في هذه الآية خلق الله الذي له ألوهة كل شيء, وعبادة كل خلق, الذي لا تصلح العبادة لغيره, ولا تنبغي لشيء سواه, فأروني أيها المشركون في عبادتكم إياه مَن دونه من الآلهة والأوثان, أيّ شيء خلق الذين من دونه

من آلهتكم وأصنامكم, حتى استحقت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه, كما استحقّ ذلك عليكم خالقكم, وخالق هذه الأشياء التي عددتها عليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21375ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: هَذَا خَلْقُ اللّهِ ما ذكر من خلق السموات والأرض, وما بثّ من الدوابّ, وما أنبت من كلّ زوج كريم, فأروني ماذا خلق الذين من دونه الأصنام الذين تدعون من دونه.

وقوله: بَلِ الظّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ يقول تعالى ذكره: ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيئا, ولكنهم دعاهم إلى عبادتها ضلالهم, وذهابهم عن سبيل الحقّ, فهم في ضلال. يقول: فهم في جور عن الحقّ, وذهاب عن الاستقامة مبين يقول: يبين لمن تأمله, ونظر فيه وفكّر بعقل أنه ضلال لا هدى.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنّ اللّهَ غَنِيّ حَمِيدٌ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين, والعقل, والإصابة في القول. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21376ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمان الحِكْمَةَ قال: الفقه والعقل والإصابة في القول من غير نُبوّة.

21377ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الحِكْمَةَ أي الفقه في الإسلام. قال قَتادة: ولم يكن نبيا, ولم يُوح إليه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا يونس, عن مجاهد, في قوله وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الحِكْمَةَ قال: الحكمة: الصواب. وقال غير أبي بشر: الصواب في غير النبوّة.

حدثنا ابن المثنى, حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, أنه قال: كان لقمان رجلاً صالحا, ولم يكن نبيا.

21378ـ حدثني نصر بن عبد الرحمن الأَوْديّ وابن حميد, قالا: حدثنا حَكّام, عن سعيد الزبيديّ, عن مجاهد, قال: كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا, غليظ الشفتين, مصفح القدمين, قاضيا على بني إسرائيل.

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرمليّ, قال: حدثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش, عن مجاهد, قال: كان لقمان عبدا أسود, عظيم الشفتين, مُشقّق القدمين.

21379ـ حدثني عباس بن محمد, قال: حدثنا خالد بن مخلد, قال: حدثنا سليمان بن بلال, قال: ثني يحيى بن سعيد قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: كان لقمان الحكيم أسود من سودان مصر.

21380ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أشعث, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: كان لقمان عبدا حبشيا.

21381ـ حدثنا العباس بن الوليد, قال: أخبرنا أبي, قال: حدثنا الأوزاعيّ, قال: حدثنا عبد الرحمن بن حَرْملة, قال: جاء أسود إلى سعيد بن

الـمسيب يسأل, فقال له سعيد: لا تـحزن من أجل أنك أسود, فإنه كان مـن خير النـاس ثلاثـة م ن السـودان: بِلال, ومهجّـع مولـى عمـر بـن الـخطاب, ولُقمان الـحكيـم, كان أسود نوبـيا ذا مشافر.

21382ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن أبـي الأشـهب, عـن خالـد الرّبَعِيّ, قال: كان لقمان عبدا حبشيا نـجارا, فقال له مـولاه: اذبـح لنـا هـذه الشاة, فذبحها. قال: أخرج أطيب مُضْغَتـين فـيها, فأخرج اللسـان والقلـب. ثم مكث ما شاء الله, ثم قال: اذبح لنـا هـذه الشـاة, فـذبحها. فقـال: أخـرج أخبث مضغتـين فـيها, فأخرج اللسان والقلـب, فقـال لـه مـولاه: أمرتـك أن تـخرج أطيب مضغتـين فـيها فأخرجتهما, وأمرتك أن تـخرج أخبث مضغتــين فـيها فأخرجتهما فقال له لقمان: إنه لـيس من شيء أطيب منهما إذا طابــا, ولا أخبث منهما إذا خَبثا.

21383ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الـحكم, قال: حدثنا عمرو بن قـيس, قال: كان لقمان عبدا أسود, غلـيظ الشفتـين, مصفح القدمين, فأتاه رجـل, وهو فـي مـجلس أناس يحدّثهم, فقال لـه: ألسـت الـذي كنـت ترعـى معـي الغنـم فـي مكان كذا وكذا؟ قال: نعم, قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: صـدق الـحديث, والصمت عما لا يعنـينـي.

21384ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عـن رجـل, عـن مـجاهد وَلَقَدْ آتَـيْنا لُقْمانَ الـحِكْمَةَ قال: القرآن.

21385ـ قال: ثنا أبـي, عن سفـيان, عن ابن أبــي نــجيح, عـن مــجاهد, قال: الـحكمة: الأمانة.

وقال آخرون: كان نبـيا. ذكر من قال ذلك:

21386ـ حدثنا ابن وكيع, قال: ثنـي أبـي, عن إسرائيـل, عـن جـابر, عـن عكرمة, قال: كان لقمان نبـيا.

وقوله: أنِ اشْكُرْ لِلّهِ: يقول تعالـى ذكره: ولقد آتـينا لقمـان الــحكمة, أن احمد الله علـى ما آتاك من فضله وجعل قوله أنِ اشْكُرْ ترجمة عن الـحكمة, لأن من الـحكمة التـي كان أوتـيها, كان شـكره الله علــى مـا آتـاه. وقـوله: وَمَنْ يَشْكُرْ فإنّـمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ يقول: ومـن يشـكر اللـه علــى نعمـه عنـده فإنـما يشكر لنفسه, لأن الله يُجزل له علـى شكره إياه الثـواب, وينقـذه بـه من الهلكة. وَمَنْ كَفَرَ فإنّ اللّهَ غَنِـيّ حَمِيدٌ يقول: ومن كفر نعمة الله علــيه, إلـى نفسه أساء, لأن الله معاقبُه علـى كفرانه إياه, والله غنــيّ عـن شـكره إياه علـى نعمه, لا حاجة به إلـيه, لأن شكره إيـاه لا يزيـد فــي سـلطانه, ولا ينقص كفرانه إياه مِن ملكه. ويعنـي بقوله حَمِيدٌ مـحمود علـى كلّ حـال, لـه الـحمد علـى نعمه, كفـر العبـد نعمتـه أو شـكره علــيها وهـو مصـروف مـن مفعول إلـى فَعِيـل.

الآية : 13

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِـهِ وَهُـوَ يَعِظُـهُ يَبُنَـيّ لاَ تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا مـحمد إذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَـيّ لا تُشْرِكْ بـاللّهِ, إنّ الشّرْكَ لَظُلْـمٌ عَظِيــمٌ يقول: لـخطأ من القول عظيـم.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {وَوَصّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمّهُ وَهْناً عَلَىَ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيّ الْمَصِيرُ }.

يقول تعالى ذكره: وأمرنا الإنسان ببرّ والديه حَمَلَتْهُ أُمّهُ وَهْنا عَلى وَهْنٍ يقول: ضعفا على ضعف, وشدّة على شدّة ومنه قول زهير:

فَلَنْ يَقُولُوا بِحَبْلٍ وَاهِنٍ خَـلَقٍلَوْ كانَ قَوْمُكَ فِـي أسْبـابِه هَلَكُوا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, غير أنهم اختلفوا في المعنيّ بذلك, فقال بعضهم: عنى به الحمل. ذكر من قال ذلك:

21387ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَوَصّيْنا الإنْسانَ بِوَالِـدَيْهِ حَمَلَتْـهُ أُمّهُ وَهْنا عَلى وَهْنٍ يقول: شدّة بعد شدّة, وخلقا بعد خلق.

21388ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: وَهْنا عَلى وَهْنٍ يقول: ضعفا على ضعف.

21389ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: حَمَلَتْهُ أُمّهُ وَهْنا عَلى وَهْنٍ أي جهدا على جهد.

وقال آخرون: بل عنى به: وهن الولد وضعفه على ضعف الأمّ. ذكر من قال ذلك:

21390ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَهْنا عَلى وَهْنٍ قال: وهن الولد على وهن الوالدة وضعفها.

وقوله: وَفِصَالُهُ فِي عامَيْنِ يقول: وفطامه في انقضاء عامين. وقيل: وَفِصَالُهُ فِي عامَيْنِ وترك ذكر «انقضاء» اكتفاء بدلالة الكلام عليه, كما قيل: وَاسأَلِ القَرْيَةَ التي كُنّا فِيهَا يراد به أهل القرية.

وقوله: أنِ اشْكُرْ لي وَلِوَالِدَيْكَ يقول: وعهدنا إليه أن اشكر لي على نعمي عليكَ, ولوالديك تربيتهما إياك, وعلاجهما فيك ما عالجا من المشقة حتى استحكم قواك. وقوله: إلَيّ الـمَصِيرُ يقول: إلى الله مصيرك أيها الإنسان, وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك, وعما كان من شكرك لوالديك, وبرّك بهما على ما لقيا منك من العناء والمشقة في حال طفوليتك وصباك, وما اصطنعا إليك في برّهما بك, وتحننهما عليك.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص وأمه. ذكر الرواية الواردة في ذلك:

21391ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك بن حرب, عن مصعب بن سعد, قال: حلفت أمّ سعد أن لا تأكل ولا تشرب, حتى يتحوّل سعد عن دينه. قال: فأبى عليها. فلم تزل كذلك حتى غشي عليها. قال: فأتاها بنوها فسقوها. قال: فلما أفاقت دعت الله عليه, فنزلت هذه الآية: وَوَصيْنا الإنْسانَ بِوَالِدَيْهِ... إلى قوله: فِي الدّنْيا مَعْرُوفا.

21392ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة, عن سماك بن حرب, عن مصعب بن سعد, عن أبيه, قال: قالت أمّ سعد لسعد: أليس الله قد أمر بالبرّ, فوالله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا

حتى أموت أو تكفر قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها بعصا, ثم أوجروها, فنزلت هذه الآية: وَوَصّيْنا الإنْسانَ بِوَالِدَيْهِ.

21393ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن سماك بن حرب, قال: قال سعد بن مالك: نزلت فيّ: وَإنْ جاهَدَاكَ عَلى أنْ تُشْرِكَ بِي م ا لَيْسَ لَ كَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُم ا, وَصَ احِبْهُما فِ ي الدّنْيا مَعْرُوفا قال: لما أسلمت, حلفت أمي لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا, قال: فناشدتها أوّل يوم, فأبت وصبرت فلما كان اليوم الثاني ناشدتها, فأبت فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت, فقلت: والله لو كانت لك مئة نفس لخرجت قبل أن أدع ديني هذا فلما رأت ذلك, وعرفت أني لست فاعلاً أكلت.

21394ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, قال: سمعت أبا هبيرة يقول: قال: نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص وَإنْ جاهَداكَ عَلى أنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا... الآية.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىَ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَاوَصَاحِبْهُمَا فِي الدّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيّ ثُمّ إِلَيّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وإن جاهدك أيها الإنسان والداك على أن تشرك بي في عبادتك إياي معي غيري مما لا تعلم أنه لي شريك, ولا شريك له تعالى ذكره علوّا كبيرا, فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي, وَصَاحِبْهُما فِي الدّنْيا مَعْرُوفا يقول: وصاحبهما في الدنيا بالطاعة لهما فيما لا تبعة عليك فيه فيما بينك وبين ربك ولا إثم. وقوله: وَاتّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أنابَ إلَيّ يقول: واسلك طريق من تاب من شركه, ورجع إلى الإسلام, واتبع محمدا صلى الله عليه وسلم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21395ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَاتّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أنابَ إلَيّ: أي من أقبل إليّ.

وقوله: إلَيّ مَرْجِعُكُمْ فأُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فإن إليّ مصيركم ومعادكم بعد مماتكم فأخبركم بجميع ما كنتم في الدنيا تعملون من خير وشرّ, ثم أجازيكم على أعمالكم, المحسن منكم بإحسانه, والمسيء بإساءته.

فإن قال لنا قائل: ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتي لقمان ابنه؟ قيل ذلك أيضا, وإن كان خبرا من الله تعالى ذكره عن وصيته عباده به, وأنه إنما أوصى به لقمان ابنه, فكان معنى الكلام: وَإذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: يا بُنَيّ لا تُشْرِكْ باللّهِ إنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ولا تطع في الشرك به والديك وَصَاحِبْهُمَا فِي الدّنْيا مَعْرُوفا فإن الله وصّى بهما, فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله, وفيه هذا المعنى, فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {يَبُنَيّ إِنّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبّةٍ مّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللّهُ إِنّ اللّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ }.

اختلف أهل العربية في معنى الهاء والألف اللتين في قوله إنّها فقال بعض نحويي البصرة: ذلك كناية عن المعصية والخطيئة. ومعنى الكلام عنده: يا بنيّ إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل, أو إن الخطيئة. وقال بعض نحويي الكوفة: وهذه الهاء عماد. وقال: أنّث تك, لأنه يراد بها الحبة, فذهب بالتأنيث إليها, كما قال الشاعر:

وَتَشْرَقُ بالقَوْلِ الّذِي قَدْ أذَعْتَهُكمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَناةِ مِنَ الدّمِ

وقال صاحب هذه المقالة: يجوز نصب المثقال ورفعه قال: فمن رفع رفعه بتك, واحتملت النكرة أن لا يكون لها فعل في كان وليس وأخواتها, ومن نصب جعل في تكن اسما مضمرا مجهولاً مثل الهاء التي في قوله إنّها إنْ تَكُ قال: ومثله قوله: فإنّها لا تَعْمَى الأبْصَارُ قال: ولو كان إن يك مثقال حبة كان صوابا, وجاز فيه الوجهان. وأما صاحب المقالة الأولى, فإن نصب مثقال في قوله, على أنه خبر, وتمام كان, وقال: رفع بعضهم فجعلها كان التي لا تحتاج إلى خبر.

وأولى القولين بالصواب عندي, القول الثاني: لأن الله تعالى ذكره لم يعد عباده أن يوفيهم جزاء سيئاتهم دون جزاء حسناتهم, فيقال: إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل يأت الله بها, بل وعد كلا العاملين أن يوفيه جزاء أعمالهما. فإذا كان ذلك كذلك, كانت الهاء في قوله إنّها بـ أن تكون عمادا أشبه منها بأن تكون كناية عن الخطيئة والمعصية. وأما النصب في المثقال, فعلى أن في «تك» مجهولاً, والرفع فيه على أن الخبر مضمر, كأنه قيل: إن تك في موضع مثقال حبة, لأن النكرات تضمر أخبارها, ثم يترجم عن المكان الذي فيه مثقال الحبة.

وعنى بقوله: مِثْقالَ حَبّةٍ: زنة حبة. فتأويل الكلام إذن: إن الأمر إن تك زنة حبة من خردل من خير أو شرّ عملته, فتكن في صخرة, أو في السموات, أو في الأرض, يأت بها الله يوم القيامة, حتى يوفيك جزاءه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21396ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: يا بُنَيّ إنّها إنْ تَكُ مِثْقالَ حَبّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ من خير أو شرّ.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ فقال بعضهم: عنى بها الصخرة التي عليها الأرض وذلك قول رُوي عن ابن عباس وغيره, وقالوا: هي صخرة خضراء. ذكر من قال ذلك:

21397ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن الأعمش, عن المنهال, عن عبد الله بن الحارث, قال: الصخرة خضراء على ظهر حوت.

21398ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ في خبر ذكره عن أبي مالك عن أبي صالح, عن ابن عباس, وعن مرّة, عن عبد الله, وعن ناس من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم: خلق الله الأرض على حوت, والحوت هو النون الذي ذكر الله في القرآن نَ والقلم وما يسطرون والحوت في الماء, والماء على ظهر صفاة, والصفاة على ظهر ملك, والملك على صخرة, والصخرة في الريح, وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء, ولا في الأرض.

وقال آخرون: عنى بها الجبال, قالوا: ومعنى الكلام: فتكن في جبل. ذكر من قال ذلك:
21399ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, في قوله: فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ: أي جبل.
وقوله: يَأْتِ بِها اللّهُ كان بعضهم يوجه معناه إلى يعلمه الله, ولا أعرف يأتي به, بمعنى يعلمه, إلاّ أن يكون قائل ذلك أراد أن لقمان, إنما وصف الله بذلك, لأن الله يعلم أماكنه, لا يخفى عليه مكان شيء منه فيكون وجها. ذكر من قال ذلك:
21400ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن ويحيى, قالا: حدثنا أبو سفيان, عن السديّ, عن أبي مالك فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أوْ فِي السّمَوَاتِ, أوْ فِي الأرْضِ يَأتِ بِها اللّهُ قال: يعلمها الله.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن مهدي, عن سفيان, عن السديّ, عن أبي مالك, مثله.
وقوله: إنّ اللّهَ لَطيفٌ خَبِيرٌ يقول: إن الله لطيف باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت خبير بموضعها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
21401ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة إنّ اللّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ: أي لطيف باستخراجها خبير بمستقرّها.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {يَبُنَيّ أَقِمِ الصّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىَ مَآ أَصَابَكَ إِنّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}.
يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لقمان لابنه يا بُنَيّ أقِمِ الصّلاةَ بحدودها وأْمُرْ بالمَعْرُوفِ يقول: وأمر الناس بطاعة الله, واتباع أمره وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ يقول: وانه الناس عن معاصي الله ومواقعة محارمه وَاصْبِرْ عَلَى ما أصَابَكَ يقول: واصبر على ما أصابك من الناس في ذات الله إذا أنت أمرتهم بالمعروف, ونهيتهم عن المنكر, ولا يصدّنك عن ذلك ما نالك منهم إنّ ذلكَ مِنْ عَزْمِ الأمُورِ يقول: إن ذلك مما أمر الله به من الأمور عزما منه. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
21402ـ حدثني حجاج, عن ابن جُرَيج, في قوله: يا بُنَي أقِمِ الصلاةَ وأْمُرْ بالمَعْروفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ وَاصْبِرْ على ما أصَابَكَ قال: اصبر على ما أصابك من الأذى في ذَلك إنّ ذَلكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ قال: إن ذلك مما عزم الله عليه من الأمور, يقول: مما أمر الله به من الأمور.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تُصَعّرْ خَدّكَ لِلنّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحاً إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ كُلّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}.
اخْتلفت القرّاء في قراءة قوله: وَلا تُصَعّرْ فقرأه بعض قراء الكوفة والمدنيين والكوفيين: ولا تصعر على مثال تفعل. وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة: «وَلا تُصَاعِرْ» على مثال تفاعل.
والصواب من القول في ذلك أن يقال إنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وتأويل الكلام: ولا تعرض بوجهك عمن كلمته تكبرا واستحقارا لمن تكلمه وأصل الصعر داء

يأخذ الإبل فـي أعناقها أو رؤوسها حتـى تلفت أعناقها عن رؤوسـها, فــيشبه به الرجل الـمتكبر علـى الناس, ومنه قول عمرو بن حُنَـيَ الثّعلبِـيّ:

وكُنّا إذَا الـجَبّـارُ صَعّرَ خَدّهُأقَمْنا لَهُ مِنْ مَيْـلِهِ فَتَقَوّما

واختلف أهل التأويـل فـي تأويـله, فقال بعضهم نـحو الذي قلنا فـيه. ذكـر من قال ذلك:

21403ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس وَلا تُصَعّرْ خَدّكَ للنّاس يقـول: ولا تتكـبر فتــحقر عبــاد اللــه, وتعرض عنهم بوجهك إذا كلـموك.

حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنــي عمـي, قـال: ثنــي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله وَلا تُصَعّرْ خَدّكَ للنّاسِ يقول: لا تعرض بوجهك عن الناس تكبرا.

21404ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد وَلا تُصَعّرْ قال: الصـدود والإعـراض بــالوجه عن الناس.

21405ـ حدثنـي علـيّ بن سهل, قال: حدثنا زيد بـن أبــي الزرقـاء, عـن جعفر بن برقان, عن يزيد فــي هـذه الآيـة وَلا تُصَـعّرْ خَ دّكَ للنّـاسِ قـال: إذا كلـمك الإنسان لويت وجهك, وأعرضت عنه مـحقرة له.

21406ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا خالد بن حيان الرقـي, عن جعفر بن ميـمون بن مهران, قال: هو الرجل يكلـم الرجل فـيـلوي وجهه.

21407ـ حدثنا عبد الرحمن بن الأسود, قال: حدثنا مـحمد بن ربـيعة, قال: حدثنا أبو مكين, عن عكرمة, فـي قوله وَلا تُصَعّرْ خَدّكَ للنّاسِ قال: لا تُعْرض بوجهك.

21408ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضـحاك يقـول, فــي قـوله وَلا تُصَـعّرْ خَـدّكَ للنّـاس يقـول: لا تعرض عن الناس, يقول: أقبل علـى الناس بوجهك وحسن خـلقك.

21409ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله وَلا تُصَعّرْ خَدّكَ للنّاسِ قال: تصعير الـخدّ: التـجبر والتكبر علــى النـاس ومـحقرتهم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عـن أبــي مكيـن, عـن عكرمـة, قـال: الإعراض.

وقال آخرون: إنـما نهاه عن ذلك أن يفعله لـمن بـينه وبـينه صعر, لا علـى وجه التكبر. ذكر من قال ذلك:

21410ـ حدثنا ابن وكيع وابن حميد, قالا: حدثنا جرير, عـن منصـور, عـن مـجاهد وَلا تُصَعّرْ خَدّكَ للنّاسِ قال: الرجل يكـون بــينه وبــين أخيـه الــحنة, فـيراه فـيعرض عنه.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان, عن منصـور, عن مـجاهد, فـي قوله وَلا تُصَعّرْ خَدّكَ للنّاس قـال: هـو الرجـل بــينه وبــين أخيه حنة فـيعرض عنه.

وقال آخرون: هو التشديق. ذكر من قال ذلك:

21411ـ حدثنا ابن وكيع, قال: ثنـي أبـي, عن جعفر الرازي, عن مغيـرة, عن إبراهيـم, قال: هو التشديق.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن المغيرة, عن إبراهيم, قال: هو التشديق أو التشدّق «الطبري يشكّ».
حدثنا يحيى بن طلحة, قال: حدثنا فضيل بن عياض, عن منصور, عن إبراهيم بمثله.
وقوله وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحا يقول: ولا تمش في الأرض مختالاً. كما:
21412ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك, يقول فِي قوله وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحا يقول: بالخيلاء.
21413ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله وَلا تُصَعِّرْ خَدّكَ للنّاسِ ولا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحا إنّ اللّهَ لا يُحِبّ كُلّ مُخْتالٍ فَخُورٍ قال: نهاه عن التكبر.
وقوله إنّ اللّهَ لا يُحِبّ كُلّ مُخْتالٍ متكبر ذي فخر. كما:
21414ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: كُلّ مُخْتالٍ فَخُورٍ قال: متكبر. وقوله: فخور: قال: يعدّد ما أعطى الله, وهو لا يشكر الله.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }.
يقول: وتواضع في مشيك إذا مشيت, ولا تستكبر, ولا تستعجل, ولكن اتئد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, غير أن منهم من قال: أمره بالتواضع في مشيه, ومنهم من قال: أمره بترك السرعة فيه. ذكر من قال: أمره بالتواضع في مشيه:
21415ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا أبو حمزة, عن جابر, عن مجاهد وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ قال: التواضع.
21416ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ قال: نهاه عن الخيلاء. ذكر من قال: نهاه عن السرعة:
21417ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا ابن المبارك, عن عبد الله بن عقبة, عن يزيد بن أبي حبيب, في قوله: وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ قال: من السرعة.
قوله: وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ يقول: واخفض من صوتك, فاجعله قصدا إذا تكلمت, كما:
21418ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ قال: أمره بالاقتصاد في صوته.
21419ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ قال: أخفض من صوتك.
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: إنّ أنْكَرَ الأصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ فقال بعضهم: معناه: إن أقبح الأصوات. ذكر من قال ذلك:
21420ـ حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة وأبان بن تغلب, قالا: حدثنا أبو معاوية عن جُوَيبر, عن الضحاك إنّ أنْكَرَ الأصْوَاتِ قال: إن أقبح الأصوات لَصَوْتُ الحَمِيرِ.

21421ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّ أَنْكَرَ الأصْوَاتِ لَصَوْتُ الـحَمِيرِ أي أقبح الأصوات لصوت الحمير, أوّله زفير, وآخره شهيق أمره بالاقتصاد في صوته.
21422ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, قال: سمعت الأعمش يقول: إنّ أَنْكَرَ الأصْوَاتِ صوت الحمير.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن أشرّ الأصوات. ذكر من قال ذلك:
21423ـ حُدثت عن يحيى بن واضح, عن أبي حمزة, عن جابر, عن عكرمة والحكم بن عُتيبة إنّ أَنْكَرَ الأصْوَاتِ قال: أشرّ الأصوات.
قال جابر: وقال الحسن بن مسلم: أشدّ الأصوات.
21424ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله إنّ أَنْكَرَ الأصْوَاتِ لَصَوْتُ الـحَمِيرِ قال: لو كان رفع الصوت هو خيرا ما جعله للحمير.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إن أقبح أو أشرّ الأصوات, وذلك نظير قولهم, إذا رأوا وجها قبيحا, أو منظرا شنيعا: ما أنكر وجه فلان, وما أنكر منظره.
وأما قوله: لَصَوْتُ الـحَمِيرِ فأضيف الصوت وهو واحد إلى الحمير وهي جماعة, فإن ذلك لوجهين إن شئت, قلت: الصوت بمعنى الجمع, كما قيل لَذَهَبَ بسَمْعهمْ وإن شئت قلت: معنى الحمير: معنى الواحد, لأن الواحد في مثل هذا الموضع يؤدّي عما يؤدّي عنه الجمع.

الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَوْاْ أَنّ اللّهَ سَخّرَ لَكُمْ مّا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مّنِيرٍ}.
يقول تعالى ذكره: أَلَمْ تَرَوْا أيها الناس أنّ اللّهَ سَخّرَ لَكُمْ ما فِي السّمَوَاتِ من شمس وقمر ونجم وسحاب وَما فِي الأرْضِ من دابة وشجر وماء وبحر وفلك وغير ذلك من المنافع, يجري ذلك كله لمنافعكم ومصالحكم لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذّكم, تتمتعون ببعض ذلك كله, وتنتفعون بجميعه, وأسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وبَاطِنَةً.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه بعض المكيين وعامة الكوفيين: «وأسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً» على الواحدة, ووجهوا معناها إلى أنه الإسلام, أو إلى أنها شهادة أن لا إله إلاّ الله. وقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: نِعَمَهُ على الجماع, ووجّهوا معنى ذلك, إلى أنها النعم التي سخرها الله للعباد مما في السموات والأرض, واستشهدوا لصحة قراءتهم ذلك كذلك بقوله: شاكِرا لاِءَنْعُمِهِ قالوا: فهذا جمع النعم.
والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار متقاربتا المعنى, وذلك أن النعمة قد تكون بمعنى الواحدة, ومعنى الجماع, وقد يدخل في الجماع الواحدة. وقد قال جلّ ثناؤه وَإنْ تَعُدّوا نِعْمَةَ اللّهِ لا تُحْصُوها فمعلوم أنه لم يعن بذلك نعمة واحدة. وقال في موضع آخر: ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه, فجمعها, فبأيّ القراءتين قرأ القارىء ذلك فمصيب.
ذكر بعض من قرأ ذلك على التوحيد, وفسّره على ما ذكرنا عن قارئيه أنهم يفسرونه:

21425ـ حدثني أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم بن سلام, قال: حدثنا حجاج, قال: ثني مستور الهنائي, عن حميد الأعرج, عن مجاهد, عن ابن عباس أنه قرأها: «وأسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهِرَةً وبَاطِنَةً» وفسّرها الإسلام.

حُدثت عن الفرّاء قال: ثني شريك بن عبد الله, عن خصيف, عن عكرمة, عن ابن عباس, أنه قرأ: «نِعْمَةً» واحدة. قال: ولو كانت نعمه, لكانت نعمة دون نعمة, أو نعمة فوق نعمة الشكّ من الفراء.

21426ـ حدثني عبد الله بن محمد الزهري, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا حميد, قال: قرأ مجاهد وأسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهرَةً وبَاطنَةً قال: لا إله إلاّ الله.

حدثني العباس بن أبي طالب, قال: حدثنا ابن أبي بكير, عن شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وأسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً قال: كان يقول: هي لا إله إلاّ الله.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن حميد الأعرج, عن مجاهد وأسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً قال: لا إله إلاّ الله.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عُيينة, عن حميد الأعرج, عن مجاهد, قال: لا إله إلاّ الله.

21427ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن سفيان, عن عيسى, عن قَيْس, عن ابن عباس نِعَمَةً ظاهِرَةً وَباطِنَةً قال: لا إله إلاّ الله.

وقوله: ظاهِرَةً يقول: ظاهرة على الألسن قولاً, وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملاً. وقوله: وَباطِنَةً يقول: وباطنة في القلوب اعتقادا ومعرفة.

وقوله: وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يخاصم في توحيد الله, وإخلاص الطاعة والعبادة له بغير علم عنده بما يخاصم, ولا هدى يقول: ولا بيان يبين به صحة ما يقول وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ يقول: ولا بتنزيل من الله جاء بما يدعى, يبين حقية دعواه, كما:

21428ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّهِ بغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ ليس معه من الله برهان ولا كتاب.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىَ عَذَابِ السّعِيرِ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله جهلاً منهم بعظمة الله: اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله, وصدّقوا به, فإنه يفرق بين المحقّ منا والمبطل, ويفصل بين الضّالّ والمهتدى, فقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان, فإنهم كانوا أهل حقّ. قال الله تعالى ذكره أوَ لَوْ كانَ الشّيْطانُ يَدْعُوهُمْ بتزيينه لهم سوء أعمالهم, واتباعهم إياه على ضلالتهم, وكفرهم بالله وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه إلى عَذَابِ السّعِيرِ يعني: عذاب النار التي تتسعر وتلتهب.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ وَإِلَىَ اللّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ }.

يقول تعالى ذكره: ومن يعبد وجهه متذللاً بالعبودة, مقرّا له بالألوهة وَهُوَ مُحْسِنٌ يقول: وهو مطيع لله في أمره ونهيه فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بـ العُرْوَةِ الوُثْقَى يقول: فقد تمسك بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه من تمسك به وهذا مثل إنما يعني بذلك أنه قد تمسك من رضا الله بإسلامه وجهه إليه وهو محسن, ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21429ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أبي السوداء, عن جعفر بن أبي المغيرة, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إلى اللّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى قال: لا إله إلاّ الله.

وقوله وَإلى اللّهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ يقول: وإلى الله مرجع عاقبة كلّ أمر خيره وشرّه, وهو المسائل أهله عنه, ومجازيهم عليه.

الآية : 23-24

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَن كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصّدُورِ * نُمَتّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمّ نَضْطَرّهُمْ إِلَىَ عَذَابٍ غَلِيظٍ }.

يقول تعالى ذكره: ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره, ولا تذهب نفسك عليهم حسرة, فإنّ مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة إلينا, ونحن نخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا, ثم نجازيهم عليها جزاءهم إنّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصّدُرِ يقول: إن الله ذو علم بما تكنه صدورهم من الكفر بالله, وإيثار طاعة الشيطان. وقوله: نُمَتّعُهُمْ قَلِيلاً يقول: نمهلهم في هذه الدنيا مهلاً قليلاً يتمتعون فيها ثُمّ نَضْطَرّهُمْ إلى عَذَاب غَلِيظٍ يقول: ثم نوردهم على كره منهم عذابا غليظا, وذلك عذاب النار, نعوذ بالله منها, ومن عمل يقرّب منها.

الآية : 25-26

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مّنْ خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ لَيَقُولُنّ اللّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * لِلّهِ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ إِنّ اللّهَ هُوَ الْغَنِيّ الْحَمِيدُ }.

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك مَنْ خَلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضِ لَيَقُولُنّ اللّهُ, قُلِ الحَمْدُ لِلّهِ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد, فإذا قالوا ذلك, فقل لهم: الحمد لله الذي خلق ذلك, لا لمن لا يخلق شيئا وهم يخلقون. ثم قال تعالى ذكره: بَلْ أكْثَرُهُمْ لا يعْلَمون يقول: بل أكثر هؤلاء المشركون لا يعلمون من الذي له الحمد, وأين موضع الشكر. وقوله: لِلّهِ ما فِي السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول تعالى ذكره: لله كلّ ما في السموات والأرض من شيء ملكا كائنا ما كان ذلك الشيء من وثن وصنم وغير ذلك, مما يعبد أو لا يعبد إنّ الله هُوَ الغَنِيّ الحَمِيدُ يقول: إن الله هو الغنيّ عن عبادة هؤلاء المشركين به الأوثان والأنداد, وغير ذلك منهم ومن جميع خلقه, لأنهم ملكه وله, وبهم الحاجة إليه. الحميد يعني المحمود على نعمه التي أنعمها على خلقه.

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللّهِ إِنّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

يقول تعالى ذكره: ولو أن شجر الأرض كلها بريت أقلاما والبَحْرُ يَمُدّهُ يقول: والبحر له مداد, والهاء في قوله يَمُدّهُ عائدة على البحر. وقوله مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه منه, وهو يكتب كلام الله بتلك الأقلام وبذلك المداد, لتكسرت تلك الأقلام, ولنفد ذلك المداد, ولم تنفد كلمات الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21430ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, قال: سألت الحسن عن هذه الآية وَلَوْ أنّ ما فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ قال: لو جعل شجر الأرض أقلاما, وجعل البحور مدادا, وقال الله: إن من أمري كذا, ومن أمري كذا, لنفد ماء البحور, وتكسّرت الأقلام.

21431ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم, قال: حدثنا عمرو, في قوله وَلَوْ أنّ ما في الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ قال: لو بريت أقلاما والبحر مدادا, فكتب بتلك الأقلام منه ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ ولو مدّه سبعة أبحر.

21432ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله وَلَوْ أنّ ما فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ, والبَحْرُ يَمُدّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ قال: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد, قال: لو كان شجر البرّ أقلاما, ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه.

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب مجادلة كانت من اليهود له. ذكر من قال ذلك:

21433ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا يونس بن بكير, قال: حدثنا ابن إسحاق, قال: ثني رجل من أهل مكة, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة: يا محمد أرأيت قوله وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلاّ», فقالوا: ألست تتلو فيما جاءك: أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كلّ شيء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّها في عِلْمِ اللّهِ قَلِيلٌ وَعِنْدَكُمْ مِنْ ذلكَ ما يكْفِيكُمْ», فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه من ذلك: وَلَوْ أنّ ما في الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ: أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل.

21434ـ حدثنا ابن المثنى, قال: ثني ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عكرمة, قال: سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح, فأنزل الله وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ, قُلِ الرّوحُ مِنْ أمْرِ رَبّي, وَما أُتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً فقالوا: تزعم أنا لم نؤت من العلم إلاّ قليلاً, وقد أوتينا التوراة, وهي الحكمة وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرا كَثِيرا قال: فنزلت وَلَوْ أنّ ما فِي الأرْضِ من شَجَرَةٍ أقْلامٌ والبَحْرُ يَمُدّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ قال: ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار وأدخلكم الجنة, فهو كثير طيب, وهو في علم الله قليل.

21435ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن بعض أصحابه, عن عطاء بن يسار, قال: لما نزلت بمكة وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً يعني اليهود فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة, أتاه أحبار يهود, فقالوا: يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً أفتعنينا أم قومك؟ قال: «كُلاّ قَدْ عَنَيتُ», قالوا: فإنك تتلو: أنا قد أوتينا التوراة, وفيها تبيان كلّ شيء, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هِيَ فِي عِلمِ اللّهِ قَلِيلٌ, وَقَدْ آتاكُمُ اللّهُ ما إنْ عَمِلْتُمْ بِهِ انْتَفَعْتُمْ», فأنزل الله وَلَوْ أنّ ما فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ, والبَحْرُ يَمُدّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ... إلى قوله إنّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله والبَحْرُ يَمُدّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ فقرأته عامّة قرّاء المدينة والكوفة والبحر رفعا على الابتداء, وقرأته قرّاء البصرة نصبا, عطفا به على «ما» في قوله: وَلَوْ أنّ ما فِي الأرْضِ وبأيتهما قرأ القارىء فمصيب عندي. وقوله: إنّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يقول: إنّ الله ذو عزّة في انتقامه ممن أشرك به, وادّعى معه إلها غيره, حكيم في تدبيره خلقه.

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: {مّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: ما خلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله إلاّ كخلق نفس واحدة وبعثها, وذلك أن الله لا يتعذّر عليه شيء أراده, ولا يمتنع منه شيء شاءه إنّما أمْرُهُ إذَا أرَادَ شَيْئا أنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فسواء خَلْق واحد وبعثه, وخلق الجميع وبعثهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21436ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: ثني أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ يقول: كن فيكون, للقليل والكثير.

21437ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إلاّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ قال: يقول: إنما خَلْقُ الله الناسَ كلّهم وبعثُهم كخلق نفس واحدة وبعثها, وإنما صلح أن يقال: إلاّ كنفس واحدة, والمعنى: إلاّ كخلق نفس واحدة, لأن المحذوف فعل يدلّ عليه قوله ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ والعرب تفعل ذلك في المصادر, ومنه قول الله: تَدُورُ أعْيُنُهُمْ كالّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ والمعنى: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت, فلم يذكر الدوران والعين لما وصفت.

وقوله: إنّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ يقول تعالى ذكره: إن الله سميع لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم, من ادّعائهم له الشركاء والأنداد وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم, بصير بما يعملونه وغيرهم من الأعمال, وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ يُولِجُ الْلّيْلَ فِي النّهَارِ وَيُولِجُ النّهَارَ فِي الْلّيْلِ وَسَخّرَ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلّ يَجْرِيَ إِلَىَ أَجَلٍ مّسَمّى وَأَنّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: أَلَمْ تَرَ يا محمد بعينك أنّ اللّهَ يُولِجُ اللّيْلَ فِي النّهارِ يقول: يزيد من نقصان ساعات الليل في ساعات النهار وَيُولِجُ النّهارَ فِي اللّيْلِ يقول: يزيد ما نقص من ساعات النهار في ساعات اللّيل. كما:

21438ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: أَلَمْ تَرَ أنّ اللّهَ يُولِجُ اللّيْلَ فِي النّهارِ نقصان الليل في زيادة النهار وَيُولِجُ النّهار فِي اللّيْلِ نقصان النهار في زيادة الليل.

وقوله: وَسَخّرَ الشّمْسَ والقَمَرَ, كُلّ يَجْرِي إلى أجَل مُسَمّى يقول تعالى ذكره: وسخر الشمس والقمر لمصالح خلقه ومنافعهم, كلّ يجري يقول: كلّ ذلك يجري بأمره إلى وقت معلوم, وأجل محدود إذا بلغه, كوّرت الشمس والقمر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21439ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَسَخّرَ الشّمْسَ والقَمَرَ كُلّ يَجْرِي إلى أجَلٍ مُسَمّى يقول: لذلك كله وقت, وحدّ معلوم, لا يجاوزه ولا يعدوه.

وقوله: وَأنّ اللّهَ بمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يقول: وإن الله بأعمالكم أيها الناس من خير أو شرّ ذو خبرة وعلم, لا يخفى عليه منها شيء, وهو مجازيكم على جميع ذلك, وخرج هذا الكلام خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم, والمعنيّ به المشركون, وذلك أنه تعالى ذكره, نبّه بقوله: أنّ اللّهَ يُولِجُ اللّيْلَ في النّهارِ, وَيُولِجُ النّهارَ فِي اللّيْلِ على موضع حجته من جهل عظمته, وأشرك في عبادته معه غيره, يدلّ على ذلك قوله: ذلكَ بأنّ اللّهَ هُوَ الحَقّ, وأنّ ما يَدْعُونَ منْ دُونهِ الباطِلُ.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنّ اللّهَ هُوَ الْحَقّ وَأَنّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنّ اللّهَ هُوَ الْعَلِيّ الْكَبِيرُ }.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتك يا محمد أن الله فعله من إيلاجه الليل في النهار, والنهار في الليل, وغير ذلك من عظيم قُدرته, إنما فعله بأنه الله حقا, دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به, وأنه لا يقدر على فعل ذلك سواه, ولا تصلح الألوهة إلاّ لمن فعل ذلك بقُدرته. وقوله: وأنّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الباطِلُ يقول تعالى ذكره: وبأن الذي يعبد هؤلاء المشركون من دون الله الباطل الذي يضمحلّ, فيبيد ويفني وأنّ اللّهَ هُوَ العَلِيّ الكَبِيرُ يقول تعالى ذكره: وبأن الله هو العليّ, يقول: ذو العلوّ على كلّ شيء, وكلّ ما دونه فله متذلل منقاد, الكبير الذي كل شيء دونه, فله متصاغر.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللّهِ لِيُرِيَكُمْ مّنْ آيَاتِهِ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّكُلّ صَبّارٍ شَكُورٍ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تر يا محمد أن السفن تجري في البحر نعمة من الله على خلقه لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ يقول: ليريكم من عبره وحججه عليكم إنّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِكُلّ صَبّارٍ شَكُورٍ

يقول: إن في جري الفلك في البحر دلالة على أن الله الذي أجراها هو الحقّ, وأنّ ما يدعون من دونه الباطللكُلّ صَبّارٍ شَكُورٍ يقول: لكلّ من صبر نفسه عن محارم الله, وشكره على نعمه فلم يكفره.

21440ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قال: كان مطرف يقول: إنّ من أحبّ عباد الله إليه: الصبّار الشّكور.

21441ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, قال: الصبر نصف الإيمان, والشكر نصف الإيمان, واليقين: الإيمان كله, ألم تر إلى قوله: إنّ فِي ذلك لآيَاتٍ لكُلّ صَبّارٍ شَكُورٍ, إنّ في ذلكَ لآيَاتٍ للْمُوقِنينَ إنّ فِي ذلكَ لآيَاتٍ للْمُؤْمِنينَ.

21442ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن مغيرة, عن الشعبيّ إنّ فِي ذلكَ لآيَاتٍ لكُلّ صَبّارٍ شَكُور قال: الصبر: نصف الإيمان, واليقين: الإيمان كله.

إن قال قائل: وكيف خصّ هذه الدلالة بأنها دلالة للصبّار الشّكور دون سائر الخلق؟ قيل: لأنّ الصبر والشكر من أفعال ذوي الحجى والعقول, فأخبر أن في ذلك لآيات لكلّ ذي عقل, لأن الآيات جعلها الله عبرا لذوي العقول والتمييز.

الآية : 32

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مّوْجٌ كَالظّلَلِ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ فَلَمّا نَجّاهُمْ إِلَى الْبَرّ فَمِنْهُمْ مّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَآ إِلاّ كُلّ خَتّارٍ كَفُورٍ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا غشى هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والأوثان في البحر, إذا ركبوا في الفُلك, موج كالظّلل, وهي جمع ظُلّة, شبّه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء قال نابغة بني جعدة في صفة بحر:

يُماشِيهِنّ أخْضَرُ ذُو ظِلالٍعَلى حافاتِهِ فِلَق الدّنانِ

وشبه الموج وهو واحد بالظلل, وهي جماع, لأن الموج يأتي شيء منه بعد شيء, ويركب بعضه بعضا كهيئة الظلل. وقوله: دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ يقول تعالى ذكره: وإذا غشى هؤلاء موج كالظلل, فخافوا الغرق, فزعوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة, لا يشركون به هنالك شيئا, ولا يدعون معه أحدا سواه, ولا يستغيثون بغيره. قوله: فَلَمّا نَجّاهُمْ إلى البَرّ مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك إلى البرّ. فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ يقول: فمنهم مقتصد في قوله وإقراره بربه, وهو مع ذلك مضمر الكفر به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21443ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ قال: المقتصد في القول وهو كافر.

21444ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ قال: المقتصد الذي على صلاح من الأمر.

وقوله: وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاّ كُلّ خَتّارٍ كَفُورٍ يقول تعالى ذكره: وما يكفر بأدلتنا وحججنا إلاّ كلّ غدّار بعهده, والختر عند العرب: أقبح الغدر ومنه قول عمرو بن معدي كرب:

وَإنّكَ لَوْ رأيْتَ أبا عُمَيْرٍمَلأْتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرِ

وقوله: كَفُورٌ يعني: جحودا للنّعم, غير شاكر ما أسدى إليه من نعمة. وبنحو الذي قلنا في معنى الختار قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
21445ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن ليث, عن مجاهد كُلّ خَتّارٍ كَفُورٍ قال: كلّ غدّار.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله كُلّ خَتّارٍ قال: غدّار.
21446ـ حدثني يعقوب وابن وكيع, قالا: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاّ كُلّ خَتّارٍ كَفُورٍ قال: غدّار.
21447ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة قوله وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاّ كُلّ خَتّارٍ كَفُورٍ الختار: الغدار, كلّ غدار بذمته كفور بربه.
21448ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاّ كُلّ خَتّارٍ كَفُورٍ قال: كلّ جحاد كفور.
21449ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاّ كُلّ خَتّارٍ كَفُورٍ قال: الختار: الغدّار, كما تقول: غدرني.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن مسعر, قال: سمعت قَتادة قال: الذي يغدر بعهده.
21450ـ قال: ثنا المحاربي, عن جُوَيبر, عن الضحاك, قال: الغدّار.
21451ـ قال: ثنا أبي: عن الأعمش, عن سمر بن عطية الكاهلي, عن عليّ رضي الله عنه قال: المكر غدر, والغدر كفر.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمْ وَاخْشَوْاْ يَوْماً لاّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ فَلاَ تَغُرّنّكُمُ الْحَيَاةُ الدّنْيَا وَلاَ يَغُرّنّكُم بِاللّهِ الْغَرُورُ }. يقول تعالى ذكره: أيها المشركون من قريش, اتقوا الله, وخافوا أن يحلّ بكم سخطه في يوم لا يغنى والد عن ولده, ولا مولود هو مغن عن والده شيئا, لأن الأمر يصير هنالك بيد من لا يغالب, ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل, إلاّ وسيلة من صالح الأعمال التي أسلفها في الدنيا. وقوله: إنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ يقول: اعلموا أن مجيء هذا اليوم حقّ, وذلك أن الله قد وعد عباده ولا خلف لوعده فَلا تَغُرّنّكُمُ الحَياةُ الدّنْيا يقول: فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذّاتها, فتميلوا إليها, وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم. وقوله: وَلا يَغُرّنّكُمْ بالله الغَرُورِ يقول: ولا يخدعنّكم بالله خادع. والغَرور بفتح الغين: هو ما غرّ الإنسان من شيء, كائنا ما كان شيطانا كان أو إنسانا, أو دنيا وأما الغُرور بضمّ الغين: فهو مصدر من قول القائل: غررته غرورا. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله وَلا يَغُرّنّكُمْ باللّهِ الغَرُور قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
21452ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله الغَرُور قال: الشيطان.

21453ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة قـوله وَلا يَغُرّنكُمْ بِـاللّهِ الغَرُورُ ذاكم الشيطان.
21454ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سـمعت أبـا معاذ الفضـل بـن خالـد الـمروزي, يقول: أخبرنا عبـيد, قـال: سـمعت الضـحاك يقـول, فـي قـوله الغَرُورُ قال: الشيطان.
وكان بعضهم يتأوّل الغَرور بـما:
21455ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا ابن الـمبـارك, عن ابن لهيعـة, عـن عطاء بن دينار, عن سعيد بن جُبَـير, قوله: وَلا يَغُرّنّكُمْ بـاللّهِ الغَرُورُ قـال: إن تعمل بـالـمعصية وتتـمنى الـمغفرة.

الآية : 34

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِنّ اللّهَ عِندَهُ عِلْمُ السّـاعَةِ وَيُنَـزّلُ الْغَيْـثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَـدْرِي نَفْـسٌ بِـأيّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنّ اللّهَ عَلَيمٌ خَبِيرٌ }.
يقول تعالـى ذكره: يا أيّها النّاسُ اتّقُوا رَبّكُمْ, وَاخْشَوْا يَوْما لا يَجْزِي وَالـدٌ عَنْ وَلَدِهِ, وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئا هو آتيكم علـم إتيانه إياكم عنـد ربكم, لا يعلـم أحد متـى هو جائيكم, لا يأتـيكم إلاّ بغتة, فـاتقوه أن يفجـأكم بغتة, وأنتـم علـى ضلالتكم لـم تنـيبوا منها, فتصيروا من عذاب اللـه وعقـابه إلـى ما لا قِبل لكم به وابتدأ تعالـى ذكره الـخبر عن علـمه بـمـجيء الساعة. والـمعنى: ما ذكرت لدلالة الكلام علـى الـمراد منـه, فقـال: إنّ اللّـهَ عِنْـدَهُ عِلْـمُ السّاعَةِ التـي تقوم فـيها القـيامة, لا يعلـم ذلك أحد غيره وينزّلُ الغَيْـثَ من السماء, لا يقدر علـى ذلـك أحـد غيـره وَيَعْلَـمُ مـا فـي الأرْحـام أرحـام الإناث وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَدا يقول: وما تعلـم نفس حيّ ماذا تعمل فـي غد, وَما تَدْرِي نَفْسٌ بأيّ أرْض تَـمُوتُ يقول: وما تعلـم نفـس حـيّ بـأيّ أرض تكون منـيتها إنّ اللّهَ عَلِـيـمٌ خَبِـيرٌ يقول: إن الذي يعلـم ذلـك كلـه, هـو الله دون كلّ أحد سواه, إنه ذو علـم بكلّ شيء, لا يخفـى علـيه شيء, خبـير بـما هو كائن, وما قـد كـان. وبنـحو الـذي قلنـا فـي تأويـل ذلـك قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
21456ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد إنّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْـمُ السّاعَةِ قال: جاء رجـل قـال قال أبو جعفر: أحسبه أنا, قال إلـى النبـيّ صلى الله عليـه وسـلم فقـال: إنّ امرأتـي حُبلـى, فأخبرنـي ماذا تلد؟ وبلادنا مـحل جدبة, فأخبرنـي متـى ينزل الغيث؟ وقد علـمت متـى وَلدت, فأخبرنـي متـى أموت, فأنزل الله: إنّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْـمُ السّاعَةِ, وَيُنَزّلُ الغَيْثَ... إلـى آخر السورة, قـال: فكـان مـجاهد يقول: هنّ مفـاتـح الغيب التـي قال الله وَعِنْدَهُ مَفـاتِـحُ الغَيْـبِ لا يَعْلَـمُها إلاّ هُوَ.
21457ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة إنّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْـمُ السّاعَةِ... الآية, أشياء من الغيب, استأثر اللـه بهـنّ, فلـم يطلـع علـيهنّ ملَكا مقرّبـا, ولا نبـيا مرسلاً إنّ اللّهَ عِندَهُ عِلْـمُ السّاعَةِ فلا يدري أحد من الناس متـى تقوم الساعة, فـي أيّ سنة, أو فـي أيّ شـهر, أو لـيـل, أو نهار ويُنزّلُ الغَيْـثَ فلا يعلـم أحـد متـى ينـزل الغيـث, لـيلاً أو نهـارا ينـزل؟ وَيَعْلَـمُ ما فِـي الأرْحامِ فلا يعلـم أحد ما فِـي الأرحام, أذكر أو أنثى, أحمـر أو

أسود, أو ما هو؟ وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَدا خيـر أم شـرّ, ولا تـدري يـا ابن آدم متـى تـموت؟ لعلك الـميت غدا, لعلك الـمصاب غدا وَما تَدْرِي نَفْسٌ بأيّ أرْضٍ تَـمُوتُ لـيس أحد من الناس يـدري أيـن مضـجعه مـن الأرض فــي بحر أو برّ أو سهل أو جبل, تعالـى وتبـارك.

21458ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عـن مغيـرة, عـن الشعبــيّ, قال: قـالت عائشـة: مـن قـال: إن أحـدا يعلــم الغيـب إلاّ اللـه فقـد كـذب, وأعظمَ الفريةَ علـى الله. قـال اللـه: لاَ يَعْلَــمُ مَـنْ فِــي السّـمَوَاتِ وَالأرْضِ الْغَيْبَ إلاّ اللّهُ.

21459ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, عن يونس بن عبـيد, عن عمرو بن شُعيب أن رجلاً قال: يا رسول الله, هل من العلـم علـم لـم تـؤته؟ قال: «لَقَدْ أُوتِـيتُ عِلْـما كَثِـيرا, وَعِلْـما حَسَنا», أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيـة: إنّ اللّــهَ عِنْدَهُ عِلْـمُ السّاعَةِ وَيُنَزّلُ الغَيْثَ... إلـى إنّ اللّهَ عَلِـيـمٌ خَبِـيرٌ «لا يَعْلَـمُهُنّ إلاّ اللّهُ تَبـارَكَ وَتَعالـى».

21460ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنـا ابـن وهـب, قـال: ثنــي عمـرو بـن مـحمد, عن أبـيه, عن عبد الله بـن عمـرو أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم قال: «مَفـاتِـحُ الغَيْبِ خَمْسَةٌ, ثم قرأ هؤلاء الآيات إنّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْــمُ السّاعَةِ... إلـى آخرها».

21461ـ حدثنـي علـيّ بن سهل, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفــيان, عن عبد الله بن دينار, أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم: «مَفـاتِـحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَـمُهُنّ إلاّ اللّهُ, إنّ اللّــهَ عِنْـدَهُ عِلْــمُ السّاعَةِ, ويُنزّلُ الغَيْثَ, ويَعْلَـمُ ما فِـي الأرْحام... الآية, ثم قـال: لا يَعْلَــمُ مـا فِـي غَد إلاّ اللّهُ, وَلا يَعْلَـمُ أحَدٌ مَتـى يَنْزِلُ الغَيْثَ إلاّ اللّهُ, وَلا يَعْلَـمُ أحَدٌ مَتـى قِـيامُ السّاعَةِ إلاّ اللّهُ, وَلا يَعْلَـمُ أحَدٌ ما فِـي الأرْحامِ إلاّ اللّهُ, وَلا تَدْرِي نَفْـسٌ بأيّ أرْض تَـمُوتُ.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن عبد الله بن دينار, عن ابن عمر, قال: قال رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «مَفـاتِــحُ الغَيْـبِ خَمْسٌ لا يَعْلَـمُها إلاّ اللّهُ: إنّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْـمُ السّاعَةِ, ويُنَزّلُ الغَيْـثَ, وَيَعْلَــمُ ما فِـي الأرْحامِ, وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَدا, وَما تَدْرِي نَفْسٌ بـأيّ أرْضٍ تَـمُوتُ, إنّ اللّهَ عَلِـيـمٌ خَبِـيرٌ».

21462ـ حدثنا ابن وكيع, قال: ثنـي أبـي, عن مسعر, عن عمرو بن مرّة, عن عبد الله بن سلـمة, عن ابن مسعود قال: كلّ شيء أوتـيه نبــيكم صـلى الله عليه وسـلم, إلاّ علــم الغيـب الــخمس: إنّ اللّــهَ عِنْـدَهُ عِلْــمُ السّـاعَةِ, ويُنَزّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَـمُ ما فـي الأرْحامِ, وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسِـبُ غَـدا, وَمـا تَدْرِي نَفْسٌ بأيّ أرْضٍ تَـمُوتُ.

21463ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن ابن أبـي خالد, عن عـامر, عن مسروق, عن عائشة, قالت: من حدّثك أنه يعلـم ما فـي غد فقـد كـذب, ثم قرأت: وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسبُ غَدا.

21464ـ قال: ثنا جرير وابن علـية, عن أبـي خبـاب, عن أبـي زُرعة, عـن أبـي هريرة, عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم قـال: «خَمْـسٌ لا يَعْلَــمُهُنّ إلاّ اللّهُ: إنّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْـمُ السّاعَةِ, ويُنَزّلُ الغَيْثَ... الآية».

حدثني أبو شُرَحبيل, قال: حدثنا أبو اليمان, قال: حدثنا إسماعيل, عن جعفر, عن عمرو بن مرّة, عن عبد الله بن سلمة, عن ابن مسعود, قال: كلّ شيء قد أوتي نبيكم غير مفاتح الغيب الخمس, ثم قرأ هذه الآية إنّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ... إلى آخرها.

وقيل: بأيّ أرض تموت. وفيه لغة أخرى: «بأيّةِ أرْضٍ» فمن قال: بأيّ أرْضٍ اجتزأ بتأنيث الأرض من أن يظهر في أيّ تأنيث آخَر, ومن قال «بأيّة أرْضٍ» فأنث, أي قال: قد تجتزىء بأي مما أضيف إليه, فلا بدّ من التأنيث, كقول القائل: مررت بامرأة, فيقال له: بأية, ومررت برجل, فيقال له بأيّ ويقال: أيّ امرأة جاءتك وجاءك, وأية امرأة جاءتك.

سورة السجدة

سورة السجدة مكية
وآياتها ثلاثون
بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1 -3

القول في تأويل قوله تعالى: {الَمَ * تَنزِيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رّبّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقّ مِن رّبّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مّآ أَتَاهُم مّن نّذِيرٍ مّن قَبْلِكَ لَعَلّهُمْ يَهْتَدُونَ }.

قال أبو جعفر: قد مضى البيان عن تأويل قوله الم بما فيه الكفاية. وقوله: تَنزِيلُ الكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ يقول تعالى ذكره: تنزيل الكتاب الذي نزّل على محمد صلى الله عليه وسلم, لا شكّ فيه من ربّ العالمين: يقول: من ربّ الثقلين: الجنّ, والإنس. كما:

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: الم تَنْزِيلُ الكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ لا شكّ فيه. وإنما معنى الكلام: أن هذا القرآن الذي أنزل على محمد لا شكّ فيه أنه من عند الله, وليس بشعر ولا سجع كاهن, ولا هو مما تخرّصه محمد صلى الله عليه وسلم, وإنما كذّب جلّ ثناؤه بذلك قول الذين قالوا أساطِيرُ الأوّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأصِيلاً وقول الذين قالوا: إنْ هَذَا إلاّ إفْكٌ افْتَرَاهُ وأعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ.

وقوله: أمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ يقول تعالى ذكره: يقول المشركون بالله: اختلق هذا الكتاب محمد من قِبل نفسه, وتكذّبه و «أم» هذه تقرير, وقد بيّنا في غير موضع من كتابنا, أن العرب إذا اعترضت بالاستفهام في أضعاف كلام قد تقدّم بعضه أن يستفهم بـ أم. وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: ويقولون. وقال: أم بمعنى الواو, بمعنى بل في مثل هذا الموضع, ثم أكذبهم تعالى ذكره فقال: ما هو كما تزعمون وتقولون من أن محمدا افتراه, بل هو الحقّ والصدق من عند ربك يا محمد, أنزله إليك, لتنذر قوما بأس الله وسطوته, أن يحلّ بهم على كفرهم به ما أتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلكَ يقول: لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد إليهم, وهم قومه من قريش, نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك. وقوله: لَعَلّهُمْ يَهْتَدُونَ يقول: ليتبّينوا سبيل الحقّ فيعرفوه ويؤمنوا به. وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21465ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة لِتُنْـذِرَ قَوْما ما أتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلّهُـمْ يَهْتَـدُونَ قـال: كـانوا أمّـة أُمّيّـة, لـم يأتهم نذير قبل مـحمد صلى الله عليه وسلم.

الآية : 4

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {اللّهُ الّـذِي خَلَـقَ السّـمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَـا بَيْنَهُمَا فِي سِتّةِ أيّامٍ ثُمّ اسْتَوَىَ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُـمْ مّـن دُونِـهِ مِـن وَلِـيّ وَلاَ شَفِيعٍ أَفَلاَ تَتَذَكّرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: الـمعبود الذي لا تصلـح العبـادة إلاّ له أيها الناس الّذِي خَـلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضَ وَما بَـيْنَهُما مـن خـلق فِـي سِـتّةِ أيّـامٍ ثـم اسـتوى علـى عرشه فـي الـيوم السابع بعـد خـلقه السـموات والأرض ومـا بـينهما. كما:

21466ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قَتـادة اللّـهُ الّذِي خَـلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضَ وَما بَـيْنَهُما فِـي سِـتّةِ أيّـامٍ ثُـمّ اسْـتَوَى عَلَـى العَرْشِ فـي الـيوم السابع. يقول: مالكم أيهـا النـاس إلـهٌ إلاّ مـن فعـل هـذا الفعل, وخـلق هذا الـخَـلْق العجيب فـي ستة أيام.

وقوله: ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلـيّ وَلا شَفِـيعٍ يقول: ما لكم أيها الناس دونه ولـيّ يـلـي أمركم وينصركم منـه إن أراد بكـم ضـرّا, ولا شفـيع يشـفع لكـم عنده إن هو عاقبكم علـى معصيتكم إياه, يقول: فإيـاه فـاتـخذوا ولـيا, وبـه وبطاعته فـاستعينوا علـى أموركم فإنه يـمنعكم إذا أراد منعكم مـمن أرادكم بسوء, ولا يقدر أحد علـى دفعه عمـا أراد بكـم هـو, لأنـه لا يقهـره قـاهر, ولا يغلبه غالب أفَلا تَتَذَكّرُونَ يقـول تعالـى ذكـره: أفلا تعتـبرون وتتفكّـرون أيهـا الناس, فتعلـموا أنه لـيس لكم دونه ولـيّ ولا شفـيع, فتفـردوا لـه الألوهـة, وتـخـلصوا له العبـادة, وتـخـلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة.

الآية : 5

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يُـدَبّرُ الأمْـرَ مِـنَ السّـمَآءِ إِلَـى الأرْضِ ثُـمّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مّمّا تَعُدّونَ }.

يقول تعالـى ذكره: الله هو الذي يدبر الأمر من أمر خـلقه من السماء إلـى الأرض, ثم يعرُج إلـيه.

واختلف أهل التأويـل فـي الـمعنـيّ بقوله ثُـمّ يَعْـرُجُ إِلَـيْهِ فِـي يَـوْمٍ كـانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَـنَةٍ مِـمّا تَعُـدّونَ فقـال بعضـهم: معنـاه: أن الأمـر ينـزل مـن السماء إلـى الأرض, ويصعد من الأرض إلـى السماء فـي يـوم واحـد, وقـدر ذلك ألف سنة مـما تعدّون من أيام الدنـيا, لأن ما بـين الأرض إلـى السـماء خمس مئة عام, وما بـين السماء إلـى الأرض مثـل ذلـك, فـذلك ألـف سـنة. ذكر من قال ذلك:

21467ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو بن معـروف, عـن لـيث, عن مـجاهد فِـي يَوْمٍ كان مقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ يعنـي بـذلك نـزول الأمـر من السماء إلـى الأرض, ومن الأرض إلـى السـماء فـي يـوم واحـد, وذلـك مقداره ألف سنة, لأن ما بـين السماء إلـى الأرض مسيرة خمس مئة عام.

21468ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتـادة يُـدَبّرُ الأَمْرَ مِنَ السّماءِ إلـى الأرْض ثُمّ يَعْرُجُ إِلَـيْهِ فِـي يَوْمٍ من أيامكم كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سنة مِـمّا تَعُدّونَ يقول: مقدار مسيره فـي ذلكَ الـيوم ألـف سـنة مــما

تعدّون من أيامكم من أيام الدنيا خمس مئة سنة نزوله, وخمس مئة صعوده فذلك ألف سنة.

21469ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, عن جُوَيبر, عن الضحاك ثُمّ يَعْرُجُ إلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ ألْفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ قال: تعرج الملائكة إلى السماء, ثم تنزل في يوم من أيامكم هذه, وهو مسيرة ألف سنة.

21470ـ قال: ثنا أبي, عن سفيان, عن سماك, عن عكرمة ألْفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ قال: من أيام الدنيا.

21471ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن أبي الحارث, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قوله: يُدَبّرُ الأمْرَ مِنَ السّماءِ إلى الأرْضِ ثُمّ يَعْرُجُ إلَيْهِ فِي يَوْمٍ من أيامكم هذه, مسيرة ما بين السماء إلى الأرض خمس مئة عام.

وذكر عن عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة قال: تنحدر الأمور وتصعد من السماء إلى الأرض في يوم واحد, مقداره ألف سنة, خمس مئة حتى ينزل, وخمس مئة حتى يعرُج.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض, ثم يعرج إليه في يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ الخلق, كان مقدار ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم. ذكر من قال ذلك:

21472ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس ألْفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ قال: ذلك مقدار المسير قوله كألف سنة مما تعدّون, قال: خلق السموات والأرض في ستة أيام, وكلّ يوم من هذه كألف سنة مما تعدّون أنتم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ ألْفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدونَ قال: الستة الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض.

21473ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ ألْفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدونَ يعني هذا اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ السموات والأرض وما بينهما.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض بالملائكة, ثم تعرج إليه الملائكة, في يَوْمٍ كان مقداره ألف سنة من أيام الدنيا. ذكر من قال ذلك:

21474ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله ثُمّ يَعْرُجُ إلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ ألْفَ سَنَةٍ قال: هذا في الدنيا تعرج الملائكة إليه في يوم كان مقداره ألف سنة.

21475ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا غندر, عن شعبة, عن سماك, عن عكرمة فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ ألْفَ سَنَةٍ قال: ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة مما تعدّون من أيام الآخرة.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سماك, عن عكرمة أنه قال في هذه الآية: يَعْرُجُ إلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ ألْفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ قال: ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض في يوم كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا, ثم يعرج إليه ذلك التدبير الذي دبره. ذكر من قال ذلك:

21476ـ ذُكر عن حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, أنه قال: يقضي أمر كل شيء ألف سنة إلى الملائكة ثم كذلك حتى تمضي ألف سنة, ثم يقضي أمر كل شيء ألفا, ثم كذلك أبدا, قال: يوم كان مقداره, قال: اليوم أن يقال لما يقضي إلى الملائكة ألف سنة, كن فيكون, ولكن سماه يوما. سماه كما بيّنا كل ذلك عن مجاهد, قال: وقوله: إنّ يَوْما عِنْدَ رَبّك كألْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّون قال: هو هوسواء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض, ثم يعرج إلى الله في يوم كان مقداره ألف سنة, مقدار العروج ألف سنة مما تعدّون. ذكر من قال ذلك:

21477ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمّ يَعْرُجُ إلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ ألْفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ قال بعض أهل العلم: مقدار ما بين الأرض حين يعرج إليه إلى أن يبلغ عروجه ألف سنة, هذا مقدار ذلك المعراج في ذلك اليوم حين يعرج فيه.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض, ثم يعرج إليه في يوم, كام مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه, ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم خمس مئة في النزول, وخمس مئة في الصعود, لأن ذلك أظهر معانيه, وأشبهها بظاهر التنزيل.

الآية : 6 -8

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرّحِيمُ * الّذِيَ أَحْسَنَ كُلّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِن طِينٍ * ثُمّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مّن مّآءٍ مّهِينٍ }.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي يفعل ما وصفت لكم في هذه الآيات, هو عالم الغيب, يعني عالم ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس, فلا تبصرونه مما تكنه الصدور, وتخفيه النفوس, وما لم يكن بعد مما هو كائن, والشهادة: يعني ما شاهدته الأبصار فأبصرته وعاينته وما هو موجود العَزِيزُ يقول: الشديد في انتقامه ممن كفر به وأشرك معه غيره, وكذّب رسله الرّحِيمُ بمن تاب من ضلالته, ورجع إلى الإيمان به وبرسوله, والعمل بطاعته, أن يعذّبه بعد التوبة.

وقوله: الّذِي أَحْسَنَ كُلّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه بعض قراء مكة والمدينة والبصرة: «أحْسَنَ كُلّ شَيْءٍ خَلْقَهُ» بسكون اللام. وقرأه بعض المدنيين وعامة الكوفيين: أحْسَ نَ كُلّ شَيْءٍ خَلَقَهُ بفتح اللام.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء صحيحتا المعنى, وذلك أن الله أحكم خلقه, وأحكم كل شيء خلَقه, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: معناه: أتقن كلّ شيء وأحكمه. ذكر من قال ذلك:

21478ـ حدثني العباس بن أبي طالب, قال: حدثنا الحسين بن إبراهيم إشكاب, قال: حدثنا شريك, عن خَصيف عن عكرمة, عن ابن عباس, في قوله: الَّذِي أَحْسَنَ كُلّ شَيْءٍ خَلَقَهُ قال: أما إن است القرد ليست بحسنة, ولكن أحكم خلقها.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو النضر, قال: حدثنا أبو سعيد المؤدّب, عن خصيف, عن عكرمة, عن ابن عباس, أنه كان يقرؤها: الَّذِي أَحْسَنَ كُلّ شَيْءٍ خَلَقَهُ قال: أما إن است القرد ليست بحسنة, ولكنه أحكمها.

21479ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أَحْسَنَ كُلّ شَيْءٍ خَلَقَهُ قال: أتقن كلّ شيء خلقه.

21480ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبد الله بن موسى, قال: حدثنا إسرائيل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أَتْقَنَ كُلّ شَيْءٍ: أحصى كلّ شيء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الذي حسن خلق كل شيء. ذكر من قال ذلك:

21481ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله الَّذِي أَحْسَنَ كُلّ شَيْءٍ خَلَقَهُ حسن على نحو ما خلق.

21482ـ وذُكر عن الحجاج, عن ابن جُرَيج, عن الأعرج, عن مجاهد قال: هو مثل أَعْطَى كُلّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثم هَدَى قال: فلم يجعل خلق البهائم في خلق الناس, ولا خلق الناس في خلق البهائم ولكن خلق كلّ شيء فقدّره تقديرا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعلم كل شيء خلقه, كأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى أنه ألهم خلقه ما يحتاجون إليه, وأن قوله أَحْسَنَ إنما هو من قول القائل: فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه. ذكر من قال ذلك:

21483ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن شريك, عن خصيف, عن مجاهد أَحْسَنَ كُلّ شَيْءٍ خَلَقَهُ قال: أعطى كلّ شيء خلقه, قال: الإنسان إلى الإنسان, والفرس للفرس, والحمار للحمار. وعلى هذا القول, الخَلْق والكلّ منصوبان بوقوع أحسن عليهما.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب على قراءة من قرأه الَّذِي أَحْسَنَ كُلّ شَيْءٍ خَلَقَهُ بفتح اللام قول من قال: معناه أحكم وأتقن, لأنه لا معنى لذلك إذ قرىء كذلك إلاّ أحد وجهين: إما هذا الذي قلنا من معنى الإحكام والإتقان أو معنى التحسين الذي هو في معنى الجمال والحُسن فلما كان في خلقه ما لا يشكّ في قُبحه وسماجته, علم أنه لم يُعن به أنه أحسن كلّ ما خلق, ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعته. وأما على القراءة الأخرى التي هي بتسكين اللام, فإن أولى تأويلاته به قول من قال: معنى ذلك أعلم وألهم كلّ شيء خلقه, هو أحسنهم, كما قال الَّذِي أَعْطَى كُلّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمّ هَدَى لأن ذلك أظهر معانيه. وأما الذي وجه تأويل ذلك إلى أنه بمعنى: الذي أحسن خلق كلّ شيء, فإنه جعل الخلق نصبا بمعنى التفسير, كأنه قال: الذي أحسن كلّ شيء خلقا منه. وقد كان بعضهم يقول: هو من المقدّم الذي معناه التأخير, ويوجهه إلى أنه نظير قول الشاعر:

وَظَعْنِي إلَيْكَ اللّيْـلَ حِضْنَـيْهِ أنّـيلِتِلْكَ إذَا هابَ الهِدَانُ فَعُولُ
يعنـي: وظعنـي حضنـي اللـيـل إلـيك ونظير قول الآخر:
كأنّ هِنْدا ثَناياها وبَهْجَتَهايَوْمَ الْتَقَـيْنا عَلـى أدْحالِ دَبّـاب
أي كأن ثنايا هند وبهجتها.
وقوله: وَبَدأَ خَـلْقَ الإنْسانِ مِنْ طِينٍ يقول تعالـى ذكره: وبدأ خـلق آدم من طين ثُمّ جَعَلَ نَسْلَهُ يعنـي ذرّيته من سَلالة, يقـول: مـن الــماء الـذي انسـلّ فخرج منه. وإنـما يعنـي من إراقة من مائه, كما قال الشاعر:
فجاءتْ بهِ عَضْبَ الأدِيـمِ غَضَنْفَراسُلالَةَ فَرْجٍ كانَ غيرَ حَصِينِ
وقوله: مِنْ ماءٍ مَهِينٍ يقول: من نطفة ضعيفة رقـيقة. وبنَــحو الـذي قلنـا فـي تأويـل ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
21484ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتـادة وَبَـدأَ خَـلْقَ الإنْسانِ مِنْ طِينٍ وهو خـلق آدم, ثم جعل نسله: أي ذرّيته مــن سـلالة من ماء مهين, والسلالة: هي الـماء الـمهين الضعيف.
21485ـ حدثنـي أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمـش, عـن الـمنهال, عن أبـي يحيى الأعرج, عن ابن عبـاس, فـي قوله مِنْ سُلالَةٍ قال: صفو الـماء.
21486ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد مِنْ ماءٍ مَهِينٍ قـال: ضـعيف نطفـة الرجـل, ومهين: فعيـل من قول القائل: مهن فلان, وذلك إذا زلّ وضعف.

الآية : 9

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {ثُمّ سَوّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رّوحِهِ وَجَعَـلَ لَكُـمُ السّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ قَلِيلاً مّا تَشْكُرُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: ثم سوّى الإنسان الذي بدأ خـلقه من طين خـلقا سويا معتدلاً, ونَفَخَ فِـيهِ مِنْ رُوحِهِ فصار حيـا ناطقـا وَجَعَـلَ لَكُـمُ السّـمْعَ والأبْصَـارَ والأفْئِدَةَ, قَلِـيلاً مـا تشْـكُرُونَ يقـول: وأنعـم علـيكم أيهـا النـاس ربكـم بـأن أعطاكم السـمع تسـمعون بـه الأصـوات, والأبصـار تبصـرون بهـا الأشـخاص والأفئدة, تعقلون بها الـخير من السوء, لتشكروه علــى مـا وهـب لكـم مـن ذلك. وقوله: قَلِـيلاً ما تَشْكُرُونَ يقول: وأنتــم تشـكرون قلــيلاً مـن الشـكر ربكم علـى ما أنعم علـيكم.

الآية : 10

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَالُوَاْ أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرْضِ أَإِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبّهِمْ كَافِرُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: وقال الـمشركون بــالله, الــمكذّبون بــالبعث: أئِـذَا ضَـلَلْنا فــي الأرْض أي صـارت لــحومنا وعظامنـا ترابــا فــي الأرض وفــيها لغتان: ضَلَلْنا, وضَـلِلْنا, بفتــح اللام وكسـرها والقـراءة علــى فتــحها, وهـي الـجوداء, وبها نقرأ. وذكر عن الـحسن أنه كان يقرأ: «أئِذَا صَـلَلْنا» بــالصاد, بـمعنى: أنتنا, من قولهم: صلّ اللــحم وأصـلّ: إذا أنتـن. وإنــما عنـى هـؤلاء الــمشركون بقـولهم: أئِـذَا ضَـلَلْنا فِــي الأرْض أي إذا هلكـت أجسـادنا فــي الأرض, لأن كلّ شيء غلب علـيه غيره حتـى خَفـي فـيـما غلب, فإنه قد ضلّ

فيه, تقول العرب: قد ضلّ الماء في اللبن: إذا غلب عليه حتى لا يتبين فيه ومنه قول الأخطل لجرير:
كُنْتَ القَذَى في مَوْج أكْدَرَ مُزْبِدٍقَذَفَ الأَتِيّ به فَصَلّ ضَلالاَ
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
21487ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن ليث, عن مجاهد أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأرْضِ يقول: أئذا هلكنا.
حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأرْضِ هلكنا.
21488ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد: قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأرْضِ يقول: أئذا كنا عظاما ورفاتا أنبعث خلقا جديدا؟ يكفرون بالبعث.
21489ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, وَقالُوا أئِذَا ضَلَلْنا في الأرْض أئِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ قال: قالوا: أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا؟.
وقوله: بَلْ هُمْ بِلِقاء رَبّهِمْ كافِرُونَ يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين جحود قدرة الله على ما يشاء, بل هم بلقاء ربهم كافرون, حذرا لعقابه, وخوف مجازاته إياهم على معصيتهم إياه, فهم من أجل ذلك يجحدون لقاء ربهم في المعاد.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ يَتَوَفّاكُم مّلَكُ الْمَوْتِ الّذِي وُكّلَ بِكُمْ ثُمّ إِلَىَ رَبّكُمْ تُرْجَعُونَ }.
يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: يتوفاكم ملك الموت, يقول: يستوفي عددكم بقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم ومنه قول الراجز:
إنّ بَنِي الأَدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أحَدْوَلا تَوَفّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي العَدَدْ
ثُمّ إلى رَبّكُمْ تُرْجَعُونَ يقول: من بعد قبض ملك الموت أرواحكم إلى ربكم يوم القيامة تردّون أحياء كهيئتكم قبل وفاتكم, فيجازى المحسن منكم بإحسانه, والمُسيء بإساءته.
21490ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الّذِي وُكّلَ بِكُمْ قال: ملك الموت يتوفاكم, ومعه أعوان من الملائكة.
21491ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قوله يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ قال: حُوِيَت له الأرض, فجُعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بزّة, عن مجاهد, بنحوه.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىَ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبّهِمْ رَبّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنّا مُوقِنُونَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لو ترى يا محمد هؤلاء القائلين أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأرْضِ أئِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ إذ هم ناكسوا

رؤوسهم عند ربهم حياء من ربهم, للذي سلف منهم من معاصيه في الدنيا, يقولون: يا رَبّنَا أبْصَرْنَا ما كنا نكذّب به من عقابك أهل معاصيك وَسَمِعْنَا منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا, فارجعنا يقول: فارددنا إلى الدنيا نعمل فيها بطاعتك, وذلك العمل الصالح إنّا مُوقِنُونَ يقول: إنا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا جهالاً من وحدانيتك, وأنه لا يصلح أن يُعبد سواك, ولا ينبغي أن يكون ربّ سواك, وأنك تحيي وتميت, وتبعث من في القبور بعد الممات والفناء وتفعل ما تشاء.

وبنحو ما قلنا في قوله: نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21492ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قوله وَلَوْ تَرَى إذِ المُجْرِمونَ ناكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبّهِمْ قال: قد حزنوا واستحيوا.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَـكِنْ حَقّ الْقَوْلُ مِنّي لأمْلأنّ جَهَنّمَ مِنَ الْجِنّةِ وَالنّاسِ أجْمَعِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وَلَوْ شِئْنَا يا محمد لآتَيْنَا هؤلاء المشركين بالله من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله هُدَاهَا يعني: رشدها وتوفيقها للإيمان بالله وَلَكِنْ حَقّ القَوْلُ مِنّي يقول: وجب العذاب مني لهم, وقوله لأمْلأنّ جَهَنّمَ منَ الجِنّة والنّاسِ أجمَعِينَ يعني من أهل المعاصي والكفر بالله منهم. وبنحو الذي قلنا فَي ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21493ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلَوْ شِئْنا لآتَيْنا كُلّ نَفْسٍ هُداها قال: لو شاء الله لهدى الناس جميعا, لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وَلَكِنْ حَقّ القَوْلُ مِنّي حقّ القول عليهم.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـذَآ إِنّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء المشركين بالله إذا هم دخلوا النار: ذوقوا عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا في الدنيا, إنّا نَسِيناكُمْ يقول: إنا تركناكم اليوم في النار. وقوله: وَذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ يقول: يقال لهم أيضا: ذوقوا عذابا تخلدون فيه إلى غير نهاية بِما كُنْتُمْ في الدنيا تَعْمَلُونَ من معاصي الله. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21494ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إنّا نَسِيناكُمْ قال: نسوا من كلّ خير, وأما الشرّ فلم ينسوا منه.

21495ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله إنّا نَسِيناكُمْ يقول: تركناكم.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الّذِينَ إِذَا ذُكّرُواْ بِهَا خَرّواْ سُجّداً وَسَبّحُواْ بِحَمْدِ رَبّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ما يصدق بحججنا وآيات كتابنا إلاّ القوم الذين إذا ذكروا بها ووعظوا خرّوا لله سجدا لوجوههم, تذلّلاً له, واستكانة لعظمته, وإقرارا له بالعبوديّة وَسَبّحُوا بِحَمْدِ رَبّهِمْ يقول: وسبحوا الله في سجودهم بحمده, فيبرّؤونه مما يصفه أهل الكفر به, ويضيفون إليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والأنداد وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ يقول: يفعلون ذلك, وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح, لا يستنكفون عن التذلّل له والاستكانة. وقيل: إن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم, لأن قوما من المنافقين كانوا يخرجون من المسجد إذا أقيمت الصلاة, ذُكر ذلك عن حجاج, عن ابن جُرَيج.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {تَتَجَافَىَ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: تتنحّى جُنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله, الذين وصفت صفتهم, وترتفع من مضاجعهم التي يضطجعون لمنامهم, ولا ينامون يَدْعُونَ رَبّهُمْ خَوْفا وَطَمَعا في عفوه عنهم, وتفضّله عليهم برحمته ومغفرته ومِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ في سبيل الله, ويؤدّون منه حقوق الله التي أوجبها عليهم فيه. وتتجافى: تتفاعل من الجفاء والجفاء: النبو, كما قال الراجز:

وَصَاحِبي ذَاتُ هِباب دَمْشَقُوَابنُ مِلاطٍ مُتجاف أرْفَقُ

يعني: أن كرمها سجية عن ابن ملاط. وإنما وصفهم تعالى ذكره بتجافي جنوبهم عن المضاجع لتركهم الاضطجاع للنوم شغلاً بالصلاة.

واختلف أهل التأويل في الصلاة التي وصفهم جلّ ثناؤه, أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع, فقال بعضهم: هي الصلاة بين المغرب والعشاء, وقال: نزلت هذه الآية في قوم كانوا يصلون في ذلك الوقت. ذكر من قال ذلك:

21496ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن أبي عروبة, قال: قال قتادة, قال أنس, في قوله كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: كانوا يتنفّلون فيما بين المغرب والعشاء, وكذلك تتجافى جنوبهم.

قال: ثنا ابن أبي عديّ, عن سعيد, عن قتادة, عن أنس, في قوله تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ قال: يصلون ما بين هاتين الصلاتين.

حدثني عليّ بن سعيد الكنديّ, قال: حدثنا حفص بن غياث, عن سعيد, عن قتادة, عن أنس تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ قال: ما بين المغرب والعشاء.

حدثني محمد بن خلف, قال: حدثنا يزيد بن حيان, قال: حدثنا الحارث بن وجيه الراسبي, قال: حدثنا مالك بن دينار, عن أنس بن مالك, أن هذه الآية نزلت في رجال من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم, كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المضَاجِعِ.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بشر, عن سعيد بن أبي عروبة, عن قتادة, عن أنس: تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَن المَضَاجِعِ قال: كانوا يتطوّعون فيما بين المغرب والعشاء.

قال: ثنا أبي, عن سفيان, عن رجل, عن أنس تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَن المَضَاجِعِ قال: ما بين المغرب والعشاء.

21497ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الـمَضَاجِعِ قال: كانوا يتنفّلون ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء.

وقال آخرون: عنى بها صلاة المغرب. ذكر من قال ذلك:

21498ـ حدثنا ابن وكيع, قال: ثني أبي, عن طلحة, عن عطاء تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَن الـمَضَاجِعِ قال: عن العتمة.

21499ـ وذُكر عن حجاج, عن ابن جريج, قال: قال يحيى بن صَيفي, عن أبي سلمة, قال: العتمة.

وقال آخرون: لانتظار صلاة العتمة. ذكر من قال ذلك:

21500ـ حدثني عبد الله بن أبي زياد, قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي, عن سليمان بن بلال, عن يحيى بن سعيد, عن أنس بن مالك, أن هذه الآية تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الـمَضَاجِعِ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة.

وقال آخرون: عنى بها قيام الليل. ذكر من قال ذلك:

21501ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَن الـمَضَاجِعِ قال: قيام الليل.

21502ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الـمَضَاجِعِ قال: هؤلاء المتهجدون لصلاة الليل.

21503ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الـمَضَاجِعِ يقومون يصلون من الليل.

وقال آخرون: إنما هذه صفة قوم لا تخلو ألسنتهم من ذكر الله. ذكر من قال ذلك:

21504ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الـمَضَاجِعِ, يَدْعُونَ رَبّهُم خَوْفا وَطَمَعا وهم قوم لا يزالون يذكرون الله, إما في صلاة, وإما قياما, وإما قعودا, وإما إذا استيقظوا من منامهم, هم قوم لا يزالون يذكرون الله.

21505ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الـمَضَاجِعِ... إلى آخر الآية, يقول: تتجافى لذكر الله, كلما استيقظوا ذكروا الله, إما في الصلاة, وإما في قيام, أو في قعود, أو على جنوبهم فهم لا يزالون يذكرون الله.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم, شغلاً منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفا وطمعا, وذلك نبوّ جنوبهم عن المضاجع ليلاً, لأن المعروف من وصف الواصف رجلاً بأن جنبه نبا عن مضجعه, إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف, وذلك الليل دون النهار, وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك, يدلّ على ذلك قول عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه في صفة نبيّ الله صلى الله عليه وسلم:

يَبِيتُ يُجافِي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِإذا اسْتَثْقَلَت بالـمُشْرِكِينَ الـمَضَاجِعُ

فإذا كان ذلك كذلك, وكان الله تعالى ذكره لم يخصص في وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالاً ووقتا دون حال ووقت, كان واجبا أن يكون ذلك على كلّ آناء الليل وأوقاته. وإذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعشاء, أو انتظر العشاء الآخرة, أو قام الليل أو بعضه, أو ذكر الله في ساعات الليل, أو صلى العتمة ممن دخل في ظاهر قوله: تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ لأن جنبه قد جفا عن مضجعه في الحال التي قام فيها للصلاة قائما صلى أو ذكر الله, أو قاعدا بعد أن لا يكون مضطجعا, وهو على القيام أو القعود قادر. غير أن الأمر وإن كان كذلك, فإن توجيه الكلام إلى أنه معنيّ به قيام الليل أعجب إليّ, لأن ذلك أظهر معانيه, والأغلب على ظاهر الكلام, وبه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك ما:

21506ـ حدثنا به ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, قال: سمعت عروة بن الزبير يحدّث عن معاذ بن جبل, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «ألا أدلّكَ عَلى أبْوَابِ الخَيْرِ: الصّوْمُ جُنّةٌ, والصّدَقَةُ تُكَفّرُ الخَطِيئَةَ, وَقِيامُ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللّيْلِ. وتلا هذه الآية: تَتَجافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ, يَدْعُونَ رَبّهُمْ خَوْفا وَطَمَعا, ومِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ».

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يحيى بن حماد, قال: حدثنا أبو أُسامة, عن سليمان, عن حبيب بن أبي ثابت والحكم, عن ميمون بن أبي شبيب, عن معاذ بن جبل, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, بنحوه.

حدثني محمد بن خلف العسقلاني, قال: حدثنا آدم, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا منصور بن المعتمر, عن الحكم بن عُتيبة, عن ميمون بن أبي شبيب, عن معاذ بن جبل, قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنْ شِئْتَ أنبأتُكَ بأبْوَابِ الخَيْرِ: الصّوْمُ جُنّةٌ, والصّدَقَةُ تُكَفّرُ الخَطِيئَةَ, وَقِيامُ الرّجُلِ في جَوْفِ اللّيْلِ» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يزيد بن حيان, عن حماد بن سلمة, قال: حدثنا عاصم بن أبي النجود, عن شهر بن حوشب, عن معاذ بن جبل, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, في قوله تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ قال: «قِيامُ العَبْدِ مِنَ اللّيْلِ».

21507ـ حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع قال: ثني أبي, قال: ثني زياد بن خيثمة, عن أبي يحيى بائع القتّ, عن مجاهد, قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل, ففاضت عيناه حتى تحادرت دموعه, فقال: تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَن المَضَاجِعِ.

وأما قوله: يَدْعُونَ رَبّهُمْ خَوْفا وَطَمَعا... الآية, فإن بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21508ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يَدْعُونَ رَبّهُمْ خَوْفا وَطَمَعا ومِمّا رَزَقْناهُم يُنْفِقُونَ قال: خوفا من عذاب الله, وطمعا في رحمة الله, ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله, وفي سبيله.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مّآ أُخْفِيَ لَهُم مّن قُرّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فلا تعلم نفس ذي نفس ما أخفى الله لهؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم في هاتين الآيتين, مما تقرّ به أعينهم في جنانه يوم القيامة جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ يقول: ثوابا لهم على أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21509ـ حدثني محمد بن عبيد المحاربي, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, قال: قال عبد الله: إن في التوراة مكتوبا: لقد أعدّ الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين, ولم يخطر على قلب بشر, ولم تسمع أذن, وما لم يسمعه ملك مقرّب. قال: ونحن نقرؤها: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرّةِ أَعْيُنٍ.

حدثنا خلاد, قال: أخبرنا النضر بن شميل, قال: أخبرنا إسرائيل, قال: أخبرنا أبو إسحاق, عن عُبيدة بن ربيعة, عن ابن مسعود, قال: مكتوب في التوراة على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رأت, ولا أذن سمعت, ولا خطر علـ ى قلب بشر, في القرآن فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ منْ قُرّةِ أَعْيُن جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن عبد الله قال: خبىء لهم ما لا عين رأت, ولا أذن سمعت, ولا خطر على قلب بشر. قال سفيان: فيما علمت على غير وجه الشكّ.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق قال: سمعت أبا عبيدة, قال: قال عبد الله, قال, يعني الله: أعددت لعبادي الصالحين ماٍلم تر عين, ولم تسمع أذن, ولم يخطر على قلب ناظر فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ منْ قُرّةِ أَعْيُنِ جَزَاءً بِما كانُوا يَعْمَلونَ.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن صلت, عن قيس بن الربيع, عن أبي إسحاق, عن عبيدة بن ربيعة الحارثي, عن عبد الله بن مسعود, قال: إن في التوراة للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع من الكرامة, ما لم تر عين, ولم يخطر على قلب بشر, ولم تسمع أذن, وإنه لفي القرآن فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرّةِ أَعْيُن.

21510ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا الأشجعي, عن ابن أبجر, قال: سمعت الشعبيّ يقول: سمعت المغيرة بن شعبة يقول على المنبر: إن موسى صلى الله عليه وسلم سأل عن أبخس أهل الجنة فيها حظا, فقيل له: رجل يُؤتى به وقد دخل أهل الجنة الجنة, قال: فيقال له: ادخل, فيقول: أين وقد أخذ الناس أخَذاتهم؟ فيقال: اعدد أربعة ملوك من ملوك الدنيا, فيكون لك مثل الذي كان لهم, ولك أخرى شهوة نفسك, فيقول: أشتهي كذا وكذا, وأشتهي كذا ويقال: لك أخرى, لك لذّة عينك, فيقول: ألذّ كذا وكذا, فيقال: لك عشرة أضعاف مثل ذلك, وسأله عن أعظم أهل الجنة فيها حظا, فقال: ذاك شيء ختمت عليه يوم خلقت السموات والأرض. قال الشعبي: فإنه في القرآن: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْملونَ.

21511ـ حدثني أحمد بن محمد الطّوسي, قال: حدثنا الحميدي, قال: حدثنا ابن عُيينة وحدثني به القرقساني, عن ابن عيينة, عن مطرف بن طريف, وابن أبجر, سمعنا الشعبيّ يقول: سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّ مُوسَى سألَ رَبّهُ: أيْ رَبّ, أيّ أهْلِ الجَنّةِ أدْنَى مَنْزِلةً؟ قال: رَجُلٌ يَجيءُ بَعْدَ ما دَخَلَ أهْلُ الجَنّةِ الجَنّةَ, فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلْ, فَيَقُولُ: كَيْفَ أدْخُلُ وَقَدْ نَزَلُوا مَنازِلَهُمْ؟ فَيُقالُ لَهُ: أتَرْضَى أنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ ما كانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدّنْيا؟, فَيَقُولُ: بَخ أيْ رَبّ قَدْ رَضِيتُ فَيُقالُ لَهُ: إنّ لَكَ هَذَا وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ ومِثْلَهُ, فَيَقُولُ: رَضِيتُ أيْ رَبّ رَضِيتُ, فَيُقالُ لَهُ: إنّ لَكَ هَذَا وَعَشْرَةَ أمْثالِهِ مَعَهُ, فيَقُول: رَضِيتُ أيْ رَبّ, فَيُقالُ لَهُ: فإنّ لَكَ مَعَ هَذَا ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ, وَلَذّتْ عَيْنُكَ قالَ: فَقالَ مُوسَى: أيْ رَبّ, وأيّ أهْل الجَنّةَ أرْفَعُ مَنْزِلَةً؟ قالَ: إيّاها أرَدْتُ, وسأحَدّثُكَ عَنْهُمْ غَرَسْتُ لَهُمْ كَرَامَتِي بِيَدِي, وَخَتَمْتُ عَلَيْها, فَلا عَيْنٌ رأتْ, وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ, وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ. قالَ: وَمِصْدَاق ذلكَ فِي كِتابِ اللّهِ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفيَ لَهُمْ مِنْ قُرّةِ أعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ.

21512ـ حدثنا محمد بن منصور الطوسيّ, قال: حدثنا إسحاق بن سليمان, قال: حدثنا عمرو بن أبي قَيْس, عن ابن أبي ليلَى, عن المنهال بن عمرو, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, في قوله: وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ وكان عرش الله على الماء, ثم اتخذ لنفسه جنة, ثم اتخذ دونها أخرى, ثم أطبقها بلؤلؤة واحدة قال: ومن دونهما جنتان قال: وهي التي لا تعلم نفس, أو قال: هما التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون. قال: وهي التي لا تعلم الخلائق ما فيها, أو ما فيهما يأتيهم كلّ يوم منها أو منهما تحفة.

21513ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن عنبسة, عن سالم الأفطس, عن سعيد بن جُبَير, بنحوه.

21514ـ حدثنا سهل بن موسى الرازيّ, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, عن صفوان بن عمرو, عن أبي اليمان الهَوْزنيّ أو غيره, قال: الجنة مئة درجة, أوّلها درجة فضة, أرضها فضة, ومساكنها فضة, وآنيتها فضة, وترابها المِسك. والثانية ذهب, وأرضها ذهب, ومساكنها ذهب, وآنيتها ذهب, وترابها المسك. والثالثة لؤلؤ, وأرضها لؤلؤ, ومساكنها لؤلؤ, وآنيتها لؤلؤ, وترابها المسك. وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عينٌ رأته, ولا أذن سمعته, ولا خطر على قلب بشر, وتلا هذه الآية فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرّةِ أعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ.

21515ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا المحاربي وعبد الرحيم, عن محمد بن عمرو, عن أبي سلمة, عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قالَ اللّهُ: أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رأتْ, وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ, وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ, وَاقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ, قالَ اللّهُ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرّةِ أعْيُنٍ, جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ».

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا أبو معاوية وابن نمير, عن الأعمش, عن أبي صالح, عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعْدَدْتُ لعِبادِي الصّالِحِينَ, ما لا عَيْنٌ رأتْ, وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ, وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ» قال أبو هريرة: ومن بله ما أطلعكم عليه, اقرَءوا إن

شئتم: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرّةِ أعْيُنٍ, جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ قال أبو هريرة: نقرؤها: «قُرّاتِ أعيُنٍ».

21516ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا معتمر بن سليمان, عن الحكم بن أبان, عن الغطريف, عن جابر بن زيد, عن ابن عباس, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, عن الروح الأمين, قال: «يُؤْتَى بِحَسَناتِ العَبْدِ وَسَيّئاتِهِ, فَيَنْقُصُ بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ, فإنْ بَقِيَتْ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ, وَسّعَ اللّهُ لَهُ فِي الجَنّةِ» قال: فدخلت على يزداد, فحدّث بمثل هذا قال: قلت: فأين ذهبت الحسنة؟ قال: أُولَئِكَ الّذِينَ نَتَقَبّلُ عَنْهُمْ أحْسَنَ ما عَمِلُوا, وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيّئاتِهِمْ فِي أصحابِ الجَنّةِ وَعْدَ الصّدْقِ الّذِي كانُوا يُوعَدُونَ, قلت: قوله فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرّةِ أعْيُنٍ قال: العبد يعمل سرّا أسرّه إلى الله لم يعلم به الناس, فأسرّ الله له يوم القيامة قرّة عين.

21517ـ حدثني العباس بن أبي طالب, قال: حدثنا معلى بن أسد, قال: حدثنا سلام بن أبي مطيع, عن قتادة, عن عقبة بن عبد الغافر, عن أبي سعيد الخدري, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, يروي عن ربه, قال: «أعْدَدْتُ لِعِبادِيَ الصّالِحينَ ما لا عَيْنٌ رأتْ, وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ, وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ».

21518ـ حدثني أبو السائب, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني أبو صخر, أن أبا حازم حدثه, قال: سمعت سهل بن سعد يقول: شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى, ثم قال في آخر حديثه: «فيهَا ما لا عَيْنٌ رأتْ, وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ» ثم قرأ هذه الآية: تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ... إلى قوله جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ.

21519ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن عوف, عن الحسن, قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قالَ رَبّكُمْ: أعْدَدْتُ لِعِبادِي الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ ما لا عَيْنٌ رأتْ, وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ, وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ».

21520ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي ذلك عن ربه, «قالَ رَبّكُمْ: أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رأتْ, وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ, وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ».

21521ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا سهل بن يوسف, عن عمرو, عن الحسن فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرّةِ أعْيُنٍ قال: أخفوا عملاً في الدنيا, فأثابهم الله بأعمالهم.

21522ـ حدثني القاسم بن بشر, قال: حدثنا سليمان بن حرب, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن ثابت, عن أبي رافع, عن أبي هريرة, قال حماد: أحسبه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَدْخُلِ الجَنّةَ يَنْعَمْ وَلا يَبْؤُسْ, لا تَبْلَى ثِيابُهُ, وَلا يَفْنَى شَبابُهُ, في الجَنّةِ ما لا عَيْنٌ رأتْ, وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ, وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ».

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهمْ مِنْ قُرّةِ أعْيُنٍ فقرأ ذلك بعض المدنيين والبصريين, وبعض الكوفيين: أُخْفِيَ بضمّ الألف وفتح الياء بمعنى فُعِل. وقرأ بعض الكوفيين: «أُخْفِي لَهُمْ» بضم الألف وإرسال الياء, بمعنى أفعل, أخفي لهم أنا.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان, متقاربتا المعنى, لأن الله إذا أخفاه فهو مخفٍ, وإذا أخفى فليس له مخف غيره, و «ما» في قوله فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ فإنها إذا جعلت بمعنى الذي كانت نصبا بوقوع تعلم عليها كيف قرأ القارىء أخفى, وإذا وجهت إلى معنى أيّ كانت رفعا إذا قرىء أخفى بنصب الياء وضم الألف, لأنه لم يسمّ فاعله, وإذا قرىء أُخْفِي بإرسال الياء كانت نصبا بوقوع أخفي عليها.

الآية : 18 -20

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاّ يَسْتَوُونَ * أَمّا الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنّاتُ الْمَأْوَىَ نُزُلاً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَأَمّا الّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَاهُمُ النّارُ كُلّمَآ أَرَادُوَاْ أن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النّارِ الّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذّبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أفهذا الكافر المكذّب بوعد الله ووعيده, المخالف أمر الله ونهيه, كهذا المؤمن بالله, المصدّق بوعده ووعيده, المطيع له في أمره ونهيه؟ كلا لا يستوون عند الله. يقول: لا يعتدل الكفّار بالله, والمؤمنون به عنده, فيما هو فاعل بهم يوم القيامة. وقال: لا يَسْتَوُونَ فجمع, وإنما ذكر قبل ذلك اثنين: مؤمنا, وفاسقا, لأنه لم يرد بالمؤمن: مؤمنا واحدا, وبالفاسق: فاسقا واحدا, وإنما أريد به جميع الفسّاق, وجميع المؤمنين بالله. فإذا كان الاثنان غير مصمود لهما, ذهبت بهما العرب مذهب الجمع.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في عليّ بن أبي طالب, رضوان الله عليه, والوليد بن عُقبة. ذكر من قال ذلك:

21523ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة بن الفضل, قال: ثني ابن إسحاق, عن بعض أصحابه, عن عطاء بن يسار, قال: نزلت بالمدينة, في عليّ بن أبي طالب, والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بين الوليد وبين عليّ كلام, فقال الوليد بن عقبة: أنا أبسط منك لسانا, وأحدّ منك سنانا, وأردّ منك للكتيبة, فقال عليّ: اسكت, فإنك فاسق, فأنزل الله فيهما: أفمَنْ كانَ مُؤْمِنا كمَنْ كانَ فاسِقا لا يَسْتَوُونَ... إلى قوله بِهِ تُكَذّبُونَ.

21524ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله أفمَنْ كانَ مُؤْمِنًا كمَنْ كانَ فاسِقا لا يَسْتَوُونَ قال: لا والله ما استووا في الدنيا, ولا عند الموت, ولا في الآخرة.

وقوله: أمّا الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ جَنّاتُ المأْوَى يقول تعالى ذكره: أما الذين صدّقوا الله ورسوله, وعملوا بما أمرهم الله ورسوله, فلهم جنات المأوى: يعني بساتين المساكن التي يسكنونها في الآخرة ويأوون إليها. وقوله: نُزُلاً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ يقول: نزلاً بما أنزلهموها جزاء منه لهم بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته. وقوله: وأمّا الّذِينَ فَسَقُوا يقول تعالى ذكره: وأما الذين كفروا بالله, وفارقوا طاعته فَمأْوَاهُمُ النّارُ يقول: فمساكنهم التي يأوون إليها في الآخرة النار كُلّما أرَادوا أنْ يَخْرُجُوا مِنْها أعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النّارِ الّذِي كُنْتُمْ بِهِ في الدنيا تُكَذّبُونَ أن الله أعدّها لأهل الشرك به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21525ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأمّا الّذِينَ فَسَقُوا أشركوا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النّارِ الّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذّبُونَ والقوم مكذّبون كما ترون.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَنُذِيقَنّهُمْ مّنَ الْعَذَابِ الأدْنَىَ دُونَ الْعَذَابِ الأكْبَرِ لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ }.

اَختلف أهل التأويل في معنى العذاب الأدنى, الذي وعد الله أن يذيقه هؤلاء الفسقة, فقال بعضهم: ذلك مصائب الدنيا في الأنفس والأموال. ذكر من قال ذلك:

21526ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس وَلَنُذِيقَنّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى يقول: مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها مما يبتلي الله بها العباد حتى يتوبوا.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَلَنُذِيقَنّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ لعلّهُمْ يَرْجِعُونَ قال: العذاب الأدنى: بلاء الدنيا, قيل: هي المصائب.

21527ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن شعبة, عن قتادة, عن عروة, عن الحسن العرني, عن ابن أبي ليلى, عن أُبيّ بن كعب وَلَنُذِيقَنّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى قال: المصيبات في الدنيا. قال: والدخان قد مضى, والبطشة واللزام.

قال أبو موسى: ترك يحيى بن سعيد, يحيى بن الجزار, نقصان رجل.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر, قالا: حدثنا شعبة, عن قتادة, عن ابن عروة, عن الحسن العرني, عن يحيى بن الجزار, عن ابن أبي لَيلى, عن أُبيّ بن كعب, أنه قال: في هذه الآية وَلَنُذِيقَنّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ قال: مصيبات الدنيا, واللزوم والبطشة, أو الدخان شكّ شعبة في البطشة أو الدخان.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة, عن عروة, عن الحسن العرني, عن يحيى بن الجزّار, عن ابن أبي لَيلى, عن أُبيّ بن كعب, بنحوه, إلاّ أنه قال: المصيبات واللزوم والبطشة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا زيد بن حباب, عن شعبة, عن قتادة, عن عروة, عن الحسن العرني, عن يحيى بن الجزّار, عن عبد الرحمن بن أبي لَيلى, عن أُبيّ بن كعب, قال: المصيبات يصابون بها في الدنيا: البطشة, والدخان, واللزوم.

21528ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع, عن أبي العالية وَلَنُذِيقَنّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى قال: المصائب في الدنيا.

21529ـ قال: ثنا أبو خالد الأحمر, عن جُوَيبر, عن الضحاك وَلَنُذِيقَنّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ قال: المصيبات في دنياهم وأموالهم.

21530ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, حدثه, عن الحسن, قوله وَلَنُذِيقَنّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى: أي مصيبات الدنيا.

21531ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حـدثنا جريـر, عـن منصـور, عـن إبراهيـم وَلَنُذيقَنّهُمْ مِنَ العَذابِ الأدْنَى قال: أشياء يُصابون بها فـي الدنـيا.
وقال آخرون: عنى بها الـحدود. ذكر من قال ذلك:
21532ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, عن شبـيب, عن عكرمة, عن ابـن عبـاس وَلَنُـذِيقَنّهُمْ مِـنَ العَـذابِ الأدْنَـى دُونَ العَـذابِ الأكْبَـرِ قـال: الـحدود.
وقال آخرون: عنى بها القتل بـالسيف, قال: وقتلوا يوم بدر. ذكر من قال ذلك:
21533ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قـال: حـدثنا عبـد الرحمـن, قـال: حـدثنا سفـيان, عـن السـديّ, عـن أبـي الضـحى, عـن مسـروق, عـن عبـد اللـه, وَلَنُذِيقَنّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأدْنَى قال: يوم بدر.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, ع ن السـديّ, عـن أبـي الضحى, عن مسروق, عن عبد الله مثله.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمـن, قـال: حـدثنا إسرائيـل, عـن السديّ, عن مسروق, عن عبد الله, مثله.
21534ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حـدثنا هشيـم, قـال: أخبرنـا عوف عمن حدثه, عن الـحسن بن علـيّ, أنـه قـال وَلَنُـذِيقَنّهُمْ مِـنَ العَـذابِ الأدْنَى دُونَ العَذابِ الأكْبَرِ قال: القتل بـالسيف صبرا.
21535ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الأعلـى, عن عوف, عن عبد الله بن الـحارث بن نوفل وَلَنُذِيقَنّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذابِ الأكْبَـرِ قـال: القتل بـالسيف, كلّ شيء وعد الله هذه الأمة مـن العـذاب الأدنـى إنـما هـو السيف.
21536ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد وَلَنُذِيقَنّهُمْ مِنَ العَـذَابِ الأدْنَـى دُونَ العَـذابِ الأكْبَرِ قال: القتل والـجوع لقريش فـي الدنـيا.
21537ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان مـجاهد يحدّث عن أُبـيّ بن كعب أنه كان يقـول وَلَنُـذيقَنّهُمْ مِـنَ العَـذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذابِ الأكْبَرِ يوم بدر.
وقال آخرون: عنى بذلك سنون أصابتهم. ذكر من قال ذلك:
21538ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفـيان, عن منصور, عن إبراهيـم وَلَنُذِيقَنّهُمْ مِنَ العَـذابِ الأدْنَـى دُونَ العَـذابِ الأكْبَـرِ قال: سنون أصابتهم.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن منصور, عن إبراهيـم, مثله.
وقال آخرون: عنى بذلك: عذاب القبر. ذكر من قال ذلك:
21539ـ حدثنـي مـحمد بن عمارة, قال: حدثنا عبـيد اللـه, قـال: أخبرنـا إسرائيـل, عن أبـي يحيى, عن مـجاهد: وَلَنُذيقَنّهُمْ مِـنَ العَـذَابِ الأدْنَـى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ قال: الأدنى فـي القبور وعذاب الدنـيا.
وقال آخرون: ذلك عذاب الدنـيا. ذكر من قال ذلك:
21540ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله وَلَنُذِيقَنّهُمْ مِنَ العَذاب الأدْنَى قال: العذاب الأدنى: عذاب الدنـيا.

وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذّبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى, أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر, والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم, إما شدّة من مجاعة, أو قتل, أو مصائب يصابون بها, فكل ذلك من العذاب الأدنى, ولم يخصص الله تعالى ذكره, إذ وعدهم ذلك أن يعذّبهم بنوع من ذلك دون نوع, وقد عذّبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال, فأوفى لهم بما وعدهم.

وقوله: دُونَ العَذَاب الأكْبَرِ يقول: قبل العذاب الأكبر, وذلك عذاب يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21541ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, عن أبي الضحى, عن مسروق, عن عبد الله دُونَ العَذابِ الأكْبَرِ قال: يوم القيامة.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسرائيل, عن السديّ, عن مسروق, عن عبد الله مثله.

21542ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ يوم القيامة في الآخرة.

حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد دونَ العَذَابِ الأكْبَرِ يوم القيامة.

21543ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ يوم القيامة. حدّث به قتادة, عن الحسن.

21544ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله دُونَ العَذَاب الأكْبَرِ قال: العذاب الأكبر: عذاب الآخرة.

وقوله لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ يقول: كي يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21545ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن السديّ, عن أبي الضحى, عن مسروق, عن عبد الله لَعلّهُمْ يَرْجِعُونَ قال: يتوبون.

21546ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبي جعفر الرازيّ, عن الربيع, عن أبي العالية لَعَلّهُمْ يَرْجعونَ قال: يتوبون.

21547ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ: أي يتوبون.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّن ذُكّرَ بِآيَاتِ رَبّهِ ثُمّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وأيّ الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه, وآي كتابه ورسله, ثم أعرض عن ذلك كله, فلم يتعظ بمواعظه, ولكنه استكبر عنها.

وقوله إنّا مِنَ المُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ يقول: إنا من الذين اكتسبوا الآثام, واجترحوا السيئات منتقمون.

وكان بعضهم يقول: عنى بالمجرمين في هذا الموضع: أهل القدر. ذكر من قال ذلك:

21548ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا مروان بن معاوية, قال: أخبرنا وائل بن داود, عن مروان بن سفيح, عن يزيد بن رفيع, قال: إن قول الله في القرآن إنّا مِنَ الـمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ هم أصحاب القدر, ثم قرأ إنّ الـمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ... إلى قوله خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ.

حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا مروان, قال: أخبرنا وائل بن داود, عن ابن سفيح, عن يزيد بن رفيع بنحوه, إلاّ أنه قال في حديثه: ثم قرأ وائل بن داود هؤلاء الآيات إنّ الـمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وسُعُرٍ... إلى آخر الآيات.

وقال آخرون في ذلك, بما:

21549ـ حدثني به عمران بن بكار الكلاعي, قال: حدثنا محمد بن المبارك, قال: حدثنا إسماعيل بن عياش, قال: حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله, عن عبادة بن نسيّ, عن جنادة بن أبي أميّة, عن معاذ بن جبل, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ثَلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنّ فَقَدْ أجْرَمَ: مَنِ اعْتَقَدَ لِوَاءً فِي غيرِ حَقّ, أوْ عَقّ وَالِدَيْهِ, أوْ مَشَى مَعَ ظالِمٍ يَنْصُرُهُ فَقَدْ أجْرَمَ. يَقُولُ اللّهُ: إنَّا مِنَ الـمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ».

الآية : 23 -24

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلاَ تَكُن فِي مِرْيَةٍ مّن لّقَآئِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لّبَنِيَ إِسْرَائِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى التوراة, كما آتيناك الفرقان يا محمد فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ يقول: فلا تكن في شكّ من لقائه فكان قتادة يقول: معنى ذلك: فلا تكن في شكّ من أنك لقيته, أو تلقاه ليلة أُسري بك, وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

21550ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة عن أبي العالية الرياحي, قال: حدثنا ابن عمّ نبيكم, يعني ابن عباس, قال: قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «أُرِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ رَجُلاً آدَمَ طِوَالاً جَعْدا, كأنّهُ مِنْ رِجالِ شَنُوءَةَ, ورأيْتُ عِيسَى رَجُلاً مَرْبُوعَ الـخَلْقِ إلى الـحُمْرَةِ والبَياضِ, سَبْطَ الرأسِ, ورأيْتُ مالِكا خازِنَ النّارِ, والدّجّالَ» في آيات أرَاهُنّ اللّهُ إيّاهُ, فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ أنه قد رأى موسى, ولقي موسى ليلة أُسري به.

وقوله: وَجَعَلْناهُ هُدًى لِبَنِي إسْرائِيلَ يقول تعالى ذكره: وجعلنا موسى هدى لبني إسرائيل, يعني: رشادا لهم يرشدون باتباعه, ويصيبون الحقّ بالاقتداء به, والائتمام بقوله. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21551ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَجَعَلْناهُ هُدًى لِبَنِي إسْرائِيلَ قال: جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل.

وقوله: وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أئمّةً يقول تعالى ذكره: وجعلنا من بني إسرائيل أئمة, وهي جمع إمام, والإمام الذي يؤتمّ به في خير أو شرّ, وأريد بذلك في هذا الموضع أنه جعل منهم قادة في الخير, يؤتم بهم, ويُهْتَدى بهديهم. كما:

21552ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أئمّةً يَهْدُونَ بأمْرِنا قال: رؤساء في الخير. وقوله يَهْدُونَ بأمْرِنا يقول

تعالى ذكره: يهدون أتباعهم وأهل القبول منهم بإذننا لهم بذلك, وتقويتنا إياهم عليه.

وقوله: لَمّا صَبرُوا اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة, وبعض أهل الكوفة: لَمّا صَبرُوا بفتح اللام وتشديد الميم, بمعنى: إذ صبروا, وحين صبروا. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «لِمَا» بكسر اللام وتخفيف الميم, بمعنى: لصبرهم عن الدنيا وشهواتها, واجتهادهم في طاعتنا, والعمل بأمرنا. وذُكر أن ذلك في قراءة ابن مسعودٍ: «بمَا صَبَرُوا». وما إذا كسرت اللام من «لِمَا» في موضع خفض, وإذا فتحت اللام وشدّدت الميم, فلا موضع لها, لأنها حينئذٍ أداة.

والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى, قد قرأ بكل واحدة منهما عامة من القرّاء فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وتأويل الكلام إذا قُرىء ذلك بفتح اللام وتشديد الميم: وجعلنا منهم أئمة يهدون أتباعهم بإذننا إياهم, وتقويتنا إياهم على الهداية, إذ صبروا على طاعتنا, وعزفوا أنفسهم عن لذّات الدنيا وشهواتها. وإذا قرىء بكسر اللام على ما قد وصفنا. وقد:

21553ـ حدثنا ابن وكيع, قال: قال أبي, سمعنا في وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أئمّةً يَهْدُونَ بأمْرِنا لَمّا صبَرُوا قال: عن الدنيا.

وقوله: وكانُوا بآياتِنا يُوقِنُونَ يقول: وكانوا أهل يقين بما دلهم عليه حججنا, وأهل تصديق بما تبين لهم من الحقّ وإيمان برسلنا, وآيات كتابنا وتنزيلنا.

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ رَبّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقَيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد هو يبين جميع خلقه يوم القيامة فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب, وغير ذلك من أسباب دينهم, فيفرق بينهم بقضاء فاصل بإيجابه لأهل الحقّ الجنة, ولأهل الباطل النار.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلاَ يَسْمَعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أوَ لم يبين لهم؟ كما:

21554ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس أوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ يقول: أو لم يبين لهم.

وعلى القراءة بالياء في ذلك قرّاء الأمصار, وكذلك القراءة عندنا لإجماع الحجة من القرّاء, بمعنى: أو لم يبين لهم إهلاكنا القرون الخالية من قبلهم, سنتنا فيمن سلك سبيلهم من الكفر بآياتنا, فيتعظوا وينزجروا. وقوله كَمْ إذا قُرىء يهْدِ بالياء, في موضع رفع بيهد. وأما إذا قرىء ذلك بالنون «أوَ لَمْ نَهْدِ» فإن موضع «كم» وما بعدها نصب. وقوله: يَمْشونَ فِي مَساكِنِهمْ يقول تعالى ذكره: أو لم يبين لهن كثرة إهلاكنا القرون الماضية من قبلهم يمشون في بلادهم وأرضهم, كعاد وثمود. كما:

21555ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أو لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ القُرُونِ عاد وثمود وأنهم إليهم لا يُرجعون.

وقوله: إنّ فِي ذلكَ لآيَاتٍ يقول تعالى ذكره: إن في خلاء مساكن القرون الذين أهلكناهم من قبل هؤلاء المكذّبين بآيات الله من قريش من أهلها الذين كانوا سكانها وعمّارها بإهلاكنا إياهم لما كذّبوا رسلنا, وجحدوا بآياتنا, وعبدوا من دون الله آلهة غيره التي يمرّون بها فيعاينونها, لآيات لهم وعظات يتعظون بها, لو كانوا أولي حجا وعقول. يقول الله: أفَلا يَسْمَعُونَ عظات الله وتذكيره إياهم آياته, وتعريفهم مواضع حججه؟

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ الْمَآءَ إِلَى الأرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أو لم ير هؤلاء المكذّبون بالبعث بعد الموت والنشر بعد الفناء, أنا بقُدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها وأصله من قولهم: ناقة جرز: إذا كانت تأكل كلّ شيء, وكذلك الأرض الجروز: التي لا يبقى على ظهرها شيء إلاّ أفسدته, نظير أكل الناقة الجراز كلّ ما وجدته, ومنه قولهم للإنسان الأكول: جَرُوز, كما قال الراجز:

(خَبّ جَرُوزٌ وَإِذَات)

ومنه قيل للسيف إذا كان لا يبقي شيئا إلاّ قطعه: سيف جراز, فيه لغات أربع: أرض جُرُز, وجَرْز, وجِرز وجُرْز, والفتح لبني تميم فيما بلغني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21556ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو, عن ابن عباس الأرْضِ الجُرُزِ أرض باليمن.

حدثنا ابن بَشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن عمرو بن دينار, عن ابن عباس, قال: أرض باليمن.

21557ـ قال: ثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا عبد الله بن المبارك عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أوَ لَمْ يَرَوْا أنّا نَسُوقُ المَاءَ إلى الأرْضِ الجُرُزِ قال: أبين ونحوها.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا عبد الرزاق بن عمر, عن ابن المبارك, قال: أخبرنا معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله, إلاّ أنه قال: ونحوها من الأرض.

21558ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن رجل, عن ابن عباس, في قوله إلى الأرْضِ الجُرُزِ قال: الجرز: التي لا تُمطر إلاّ مطرا لا يغني عنها شيئا, إلاّ ما يأتيها من السيول.

21559ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن يزيد, عن جُوَيبر, عن الضحاك إلى الأرْضِ الجُرُزِ ليس فيها نبت.

21560ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أوَ لَمْ يَرَوْا أنّا نَسوقُ المَاءَ إلى الأرْضِ الجُرُز المغبرة.

21561ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أوَ لَمْ يَرَوْا أنّا نَسُوقُ المَاءَ إلى الأرْضِ الجُرُزِ قال: الأرض الجرز: التي ليس فيها شيء, ليس فيها نبات. وفي قوله: صَعيدا جُرُزا قال: ليس عليها شيء وليس فيها نبات ولا شيء.

فنخرجُ به زرعا تأكلُ منهُ أنعامهُمْ وَأنْفُسهُمْ يقول تعالى ذكره: فنخرج بذلك الماء الذي نسوقه إليها على يبسها وغلظها وطول عهدها بالماء زرعا خضرا تأكل منه مواشيهم, وتغذَي به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به أفَلا يُبْصرُونَ يقول تعالى ذكره: أفلا يرون ذلك بأعينهم, فيعلموا برؤيتهموم أن القدرة التي بها فعلت ذلك لا يتعذّر عليّ أن أحيى بها الأموات وأنشرهم من قبورهم, وأعيدهم بهيئاتهم التي كانوا بها قبل وفاتهم.

الآية : 28 -30

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَىَ هَـَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لاَ يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوَاْ إِيمَانُهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُمْ مُّنتَظِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَيَقُولُونَ هؤلاء المشركون بالله يا محمد لك مَتى هَذَا الْفَتْحُ. واختلف في معنى ذلك, فقال بعضهم: معناه: متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم, ومتى يكون هذا الثواب والعقاب. ذكر من قال ذلك:

21562ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله وَيَقُولُونَ مَتى هَذَا الفَتْحُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قال: قال أصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: إن لنا يوما أوشك أن نستريح فيه وننعم فيه, فقال المشركون مَتى هَذَا الفَتْحُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: فتح مكة.

والصواب من القول في ذلك قول من قال: معناه: ويقولون متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم, يعنون العذاب, يدلّ على أن ذلك معناه قوله: قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ لا يَنْفَعُ الّذِينَ كَفَرُوا إيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ ولا شكّ أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده, ولو كان معنى قوله مَتى هَذَا الفَتْحُ على ما قاله من قال: يعني به: فتح مكة, لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة, ولا شكّ أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة, ونفعهم بالإيمان به وبرسوله فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل, وفساد ما خالفه. وقوله: إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يعني: إن كنتم صادقين في الذي تقولون من أنا معاقبون على تكذيبنا محمدا صلى الله عليه وسلم, وعبادتنا الآلهة والأوثان.

وقوله: قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهم يوم الحكم, ومجيء العذاب: لا ينفع من كفر بالله وبآياته إيمانهم الذي يحدثونه في ذلك الوقت. كما:

21563ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ لا يَنْفَعُ الّذِينَ كَفَرُوا إيمَانُهُمْ قال: يوم الفتح إذا جاء العذاب.

21564ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد يَوْمَ الفَتْحِ يوم القيامة. ونصب اليوم في قوله قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ ردّا على متى, وذلك أن «متى» في موضع نصب. ومعنى الكلام: أنى حينُ هذا الفتح إن كنتم صادقين, ثم قيل يوم كذا, وبه قرأ القرّاء.

وقوله: وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ يقول: ولا هم يؤخرون للتوبة والـمراجعة. وقـوله فأعْرِضْ عَنْهُمْ وانْتَظِرْ إنّهُمْ مُنْتَظِرونَ يقـول لنبـيه مـحمد صـلى اللـه عليـه وسلم: فأعرض يا مـحمد عن هؤلاء الـمشركين بـالله, القائلـين لـك: متـى هـذا الفتـح, الـمستعجلـيك بـالعذاب, وانتظـر مـا اللـه صـانع بهـم, إنهـم منتظرون ما تعدهم من العذاب ومـجيء الساعة. كما:

21565ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة فَأعْرِضْ عَنْهُمْ, وَانْتَظرْ إنّهُمْ مُنْتَظِرُونَ يعنـي يوم القـيامة.

آخر تفسير سورة السجدة, ولله الـحمد والـمنة.

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب مدنـيّة

وآياتها ثلاث وسبعون

بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1 -2

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَا أَيّهَـا النّبِـيّ اتّـقِ اللّـهَ وَلاَ تُطِـعِ الْكَـافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إنّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً * وَاتّبِعْ مَـا يُـوحَىَ إِلَـيْكَ مِـن رَبّـكَ إِنّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: يا أيّها النّبِـيّ اتّـق اللّهَ بطاعته, وأداء فرائضه, وواجب حقوقه علـيك, والانتهـاء عـن مـحارمه, وانتهاك حدوده وَلا تُطِع الكافِرِينَ الذين يقولون لك: اطرد عنك أتبـاعك مـن ضعفـاء الـمؤمنـين بـك حتـى نـجالسك وَالـمُنافِقِـينَ الـذين يظهِـرون لـك الإيـمان بـالله والنصيحة لك, وهم لا يألونك وأصحابك ودينك خبـالاً, فلا تقبـل منهم رأيا, ولا تستشرهم مستنصحا بهم, فإنهم لك أعداء إنّ اللّهَ كانَ عَلِـيـما حَكِيـما يقول: إن الله ذو علـم بـما تضمره نفوسهم, وما الذي يقصدون فـي إظهارهم لك النصيحة, مع الذي ينطوون لك علـيه, حكيـم فـي تدبـير أمـرك وأمر أصحابك ودينك, وغير ذلك من تدبـير جميع خـلقه. وَاتّبِعْ ما يُوحَى إِلَـيْكَ مِنْ رَبّكَ يقول: واعمل بـما ينزل الله علـيك مـن وحيـه, وآي كتـابه إنّ اللّـهَ كانَ بِـمَا تَعْمَلُونَ خَبِـيرا يقول: إن الله بـما تعمل به أنت وأصـحابك مـن هـذا القرآن, وغير ذلك من أموركم وأمـور عبـاده خبـيرا أي ذا خـبرة, لا يخفـى علـيه من ذلك شيء, وهو مـجازيكم علـى ذلـك بـما وعـدكم مـن الـجزاء. وبنـحو الذي قلنا فـي تأويـل قوله: وَاتّبِعْ ما يُوحَى إِلَـيْكَ مِـنْ رَبّـكَ قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21566ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة وَاتّبِـعْ ما يُوحَى إِلَـيْكَ مِنْ رَبّكَ أي هذا القرآن إنّ اللّهَ كانَ بِـمَا تَعْمَلُونَ خَبـيرا.

الآية : 3

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَتَوَكّلْ عَلَىَ اللّهِ وَكَفَىَ بِاللّهِ وَكِيلاً }.

يقول تعالـى ذكره: وفوّض إلـى الله أمرك يا مـحمد, وثق به وكَفَـى بـالله وَكِيلاً يقول: وحسيك بـالله فـيـما يأمرك وكيلاً, وحفـيظا بك.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {مّا جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنّ أُمّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللّهُ يَقُولُ الْحَقّ وَهُوَ يَهْدِي السّبِيلَ }.

اختلف أهل التأويل في المراد من قول الله ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ فقال بعضهم: عنى بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق, وصفوا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بأنه ذو قلبين, فنفى الله ذلك عن نبيه, وكذّبهم. ذكر من قال ذلك:

21567ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا حفص بن نفيل, قال: حدثنا زهير بن معاوية, عن قابوس بن أبي ظبيان أن أباه حدثه, قال: قلنا لابن عباس: أرأيت قول الله ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْن فِي جَوْفِه ما عنى بذلك؟ قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فصلى, فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه: إن له قلبين, قلبا معكم, وقلبا معهم, فأنزل الله: ما جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَين في جَوْفِهِ.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: رجلٌ من قريش كان يُدعى ذا القلبين من دِهْيه. ذكر من قال ذلك:

21568ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ قال: كان رجل من قريش يسمى من دهيه ذا القلبين, فأنزل الله هذا في شأنه.

21569ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَين فِي جَوْفِهِ قال: إن رجلاً من بني فهر, قال: إن في جوفي قلبين, أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد «وكذب».

21570ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ قال قتادة: كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى ذا القلبين, فأنزل الله فيه ما تسمعون.

21571ـ قال قتادة: وكان الحسن يقول: كان رجل يقول لي: نفس تأمرني, ونفس تنهاني, فأنزل الله فيه ما تسمعون.

21572ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن خصيف, عن عكرمة, قال: كان رجل يسمى ذا القلبين, فنزلت ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِه.

وقال آخرون: بل عنى بذلك زيد بن حارثة من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تبنّاه, فضرب الله بذلك مثلاً. ذكر من قال ذلك:

21573ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهري, في قوله: ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ قال: بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة, ضرب له مثلاً يقول: ليس ابن رجل آخر ابنك.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال لرجل في جوفه قلبان يعقل بهما, على النحو الذي رُوي عن ابن عباس وجائز أن يكون ذلك تكذيبا من الله لمن وصف رسول

الله صلى الله عليه وسلم بـذلك, وأن يكـون تكذيبـا لـمن سـمى القرشـيّ الذي ذُكر أنه سمي ذا القلبـين من دهيه, وأيّ الأمرين كان فهو نفـي من الله عن خـلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة.

وقوله: وَما جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاّئِي تُظاهِرُونَ مِنْهُـنّ أمّهـاتِكُمْ يقـول تعالـى ذكره: ولـم يجعل الله أيها الرجال نساءكم اللائي تقولون لهـنّ: أنتـن علـينا كظهور أمهاتنا أمهاتكم, بل جعل ذلك مـن قيـلكم كذبـا, وألزمكـم عقوبـة لكم كفّـارة. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21574ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله وَما جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاّئي تُظاهِرُونَ مِنْهُنّ أُمّهـاتِكُمْ: أي مـا جعلهـا أمـك فـإذا ظاهر الرجل من امرأته, فإن الله لـم يجعلها أمه, ولكن جعل فـيها الكفّـارة.

وقوله: وَما جَعَلَ أَدعِياءَكُمْ أبْناءَكُمْ يقول: ولـم يجعل الله من ادّعيـت أنـه ابنك, وهو ابن غيرك ابنك بـدعواك. وذُكـر أن ذلـك نـزل علـى رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم من أجل تبنـيه زيد بن حارثة. ذكر الرواية بذلك:

21575ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: أَدْعِياءَكُمْ أبْنـاءَكُمْ قـال: نزلـت هـذه الآية فـي زيد بن حارثة.

21576ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: وَما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أبْناءَكُمْ قـال: كـان زيـد بـن حارثـة حيـن مـنّ اللـه ورسوله علـيه, يقال له: زيـد بـن مـحمد, كـان تبنّـاه, فقـال اللـه: مـا كـانَ مُـحَمّدٌ أبـا أحَدٍ مِـنْ رِجـالِكُمْ قـال: وهـو يـذكر الأزواج والأخـت, فـأخبره أن الأزواج لـم تكن بـالأمهات أمهاتكم, ولا أدعياءكم أبناءكم.

21577ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة وَمـا جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أبْناءَكُمْ وما جعـل دعّيـك ابنـك, يقـول: إذا ادّعـى رجـل رجلاً ولـيس بـابنه ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بأفْوَاهِكُمْ... الآية. وذُكر لنـا أن النبـيّ صـلى اللـه عليه وسلم كان يقول: «من ادّعى إلـى غَيـر أبِـيهِ مُتَعَمّـدا حَـرّمَ اللّـهُ عَلَـيْهِ الـجَنّةَ».

21578ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن أبـي زائـدة, عـن أشـعث, عـن عامر, قال: لـيس فـي الأدعياء زيد.

وقوله ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بأفْوَاهِكُمْ يقول تعالـى ذكره هذا القول وهو قول الرجل لامرأته: أنت علـيّ كظهر أمي, ودعاؤه من لـيس بـابنه أنـه ابنـه, إنـما هـو قولكم بأفواهكم لا حقـيقة لـه, لا يثبـت بهـذه الـدعوى نسـب الـذي ادّعيـت بنوّته, ولا تصير الزوجة أمّا بقول الرجل لهـا: أنـت علـيّ كظهـر أمـي وَاللّـهُ يقُولُ الـحَقّ يقول: والله هو الصادق الذي يقول الـحقّ, وبقوله يثبـت نسـب من أثبت نسبه, وبه تكون الـمرأة للـمولود, أمّـا إذا حكـم بـذلك وَهُـوَ يَهْـدِي السّبِـيـلَ يقول تعالـى ذكره: والله يبـين لعبـاده سبيـل الـحقّ, ويرشـدهم لطريق الرشاد.

الآية : 5

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {ادْعُوهُمْ لاَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ فَإِن لّـمْ تَعْلَمُواْ آبَـاءَهُمْ فَـإِخوَانُكُمْ فِـي الـدّينِ وَمَـوَالِيكُمْ وَلَيْـسَ عَلَيْكُـمْ جُنَـاحٌ فِيمَـا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَـكِن مَّا تَعَمّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رّحِيماً }.

يقول الله تعالى ذكره: انسبوا أدعياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم لآبائهم. يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألحق نسب زيد بأبيه حارثة, ولا تدعه زيدا بن محمد. وقوله هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ الله يقول: دعاؤكم إياهم لآبائهم هو أعدل عند الله, وأصدق وأصوب من دعائكم إياهم لغير آبائهم ونسبتكموهم إلى من تبنّاهم وادّعاهم وليسوا له بنين. كما:

21579ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ادْعُوهُمْ لآبائهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ: أي أعدل عند الله, وقوله: فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فَإخْوَانُكُمْ فِي الدّينِ وَمَوَالِيكُمْ يقول تعالى ذكره: فإن أنتم أيها الناس لم تعلموا آباء أدعيائكم من هم فتنسبوهم إليهم, ولم تعرفوهم, فتلحقوهم بهم, فإخوانكم في الدين يقول: فهم إخوانكم في الدين, إن كانوا من أهل ملّتكم, ومواليكم إن كانوا محرّريكم وليسوا ببنيكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21580ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ادْعُوهُمْ لآبائهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ: أي أعدل عند الله فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فإخْوَانَكُمْ فِي الدّينِ وَمَوَالِيكُمْ فإن لم تعلموا من أبوه فإنما هو أخوك ومولاك.

21581ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن عُيينة بن عبد الرحمن, عن أبيه, قال: قال أبو بكرة: قال الله ادْعُوهُمْ لآبائهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ, فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فإخْوَانُكُمْ فِي الدّينِ وَمَوَالِيكُمْ فأنا ممن لا يُعرف أبوه, وأنا من إخوانكم في الدين, قال: قال أبي: والله إني لأظنه لو علم أن أباه كان حمّارا لانتمى إليه.

وقوله: وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أَخْطأْتُمْ بِهِ يقول: ولا حرج عليكم ولا وزر في خطأ يكون منكم في نسبة بعض من تنسبونه إلى أبيه, وأنتم ترونه ابن من ينسبونه إليه, وهو ابن لغيره وَلَكِنْ ما تَعَمّدَتْ قُلُوبُكُمْ يقول: ولكن الإثم والحرج عليكم في نسبتكموه إلى غير أبيه, وأنتم تعلمونه ابن غير من تنسبونه إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21582ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أَخْطأْتُمْ بِهِ يقول: إذا دعوت الرجل لغير أبيه, وأنت ترى أنه كذلك وَلَكِنْ ما تَعَمّدَتْ قُلُوبُكُمْ يقول الله: لا تدعه لغير أبيه متعمدا. أما الخطأ فلا يؤاخذكم الله به وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا تَعَمّدَتْ قُلُوبُكُمْ.

21583ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد تَعَمّدَتْ قُلُوبُكُمْ قال: فالعمد ما أتى بعد البيان والنهي في هذا وغيره.

و «ما» التي في قوله وَلَكِنْ ما تَعَمّدَتْ قُلُوبُكُمْ خفض ردّا على «ما» التي في قوله فِيما أَخْطأْتُمْ بِهِ وذلك أن معنى الكلام: ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به, ولكن فيما تعمدت قلوبكم.

وقوله: وكانَ اللّهُ غَفُورا رَحِيما يقول الله تعالى ذكره: وكان الله ذا ستر على ذنب من ظاهر زوجته فقال الباطل والزور من القول, وذنب من ادّعى ولد غيره ابنا له, إذا تابا وراجعا أمر الله, وانتهيا عن قيل الباطل

بعد أن نهاهما ربهما عنه ذا رحمة بهما أن يعاقبهما على ذلك بعد توبتهما من خطيئتهما.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {النّبِيّ أَوْلَىَ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىَ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاّ أَن تَفْعَلُوَاْ إِلَىَ أَوْلِيَآئِكُمْ مّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً }.

يقول تعالى ذكره: النبيّ محمد أولى بالمؤمنين, يقول: أحقّ بالمؤمنين به من أنفسهم, أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم, فيجوز ذلك عليهم. كما:

21584ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد النّبِيّ أوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ كما أنت أولى بعبدك ما قضى فيهم من أمر جاز, كما كلما قضيت علَى عبدك جاز.

21585ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد النّبِيّ أولى بالمُؤْمِنينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ قال: هو أب لهم.

21586ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عثمان بن عمر, قال: حدثنا فليح, عن هلال بن عليّ, عن عبد الرحمن بن أبي عمرة, عن أبي هريرة, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما مِنْ مُؤْمِنٍ إلاّ وأنا أوْلَى النّاسِ بِهِ فِي الدّنْيا والآخِرَةِ, اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ النّبِيّ أوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ وأيّمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مالاً فَلِوَرَثَتِهِ وَعَصَبَتِهِ مَنْ كانُوا, وَإنْ تَرَكَ دَيْنا أوْ ضِياعا فَلْيأتِني وأنا مَوْلاهُ».

21587ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حسن بن عليّ, عن أبي موسى إسرائيل بن موسى, قال: قرأ الحسن هذه الآية النّبِيّ أوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ, وأزْوَاجُهُ أمّهاتُهُمْ قال: قال الحسن: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أنا أوْلَى بكُلّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِه» قال الحسن: وفي القراءة الأولى: «أوْلَى بالمُؤْمنينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ, وَهُوَ أبٌ لَهُمْ».

21588ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال في بعض القراءة: «النّبِيّ أوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ وَهُوَ أبٌ لَهُمْ» وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيّمَا رَجُلٍ تَرَكَ ضِياعا فَأنا أوْلَى بِهِ, وَإنْ تَرَكَ مالاً فَهُوَ لِوَرَثَتِهِ».

وقوله: وأزْوَاجُهُ أمّهاتُهُمْ يقول: وحرمة أزواجه حرمة أمهاتهم عليهم, في أنهن يحرم عليهن نكاحهن من بعد وفاته, كما يحرمُ عليهم نكاح أمهاتهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21589ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة النّبِيّ أولَى بالمُؤْمِنينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ, وأزْوَاجُهُ أمّهاتُهُمْ يعظّم بذلك حقهنّ, وفي بعض القراءة: «وَهُوَ أبٌ لَهُمْ».

21590ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وأزْوَاجُهُ أمّهاتُهُمْ محرّمات عليهم.

وقوله: وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُهاجِرِينَ يقول تعالى ذكره: وأولوا الأرحام الذين وَرّثْتُ بعضهم من

بعض, هم أولى بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين أن يرث بعضهم بعضا, بالهجرة والإيمان دون الرحم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21591ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى ببَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهاجِرِينَ لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة, والأعرابيّ المسلم لا يرث من المهاجرين شيئا, فأنزل الله هذه الآية, فخلط المؤمنين بعضهم ببعض, فصارت المواريث بالملل.

21592ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهاجِرِينَ إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم قد آخَى بين المهاجرين والأنصار أوّل ما كانت الهجرة, وكانوا يتوارثون على ذلك, وقال الله وَلِكُلّ جَعَلْنا مَوَالِيَ ممّا تَرَكَ الوَالِدَانِ والأقْرَبُونَ والّذِينَ عَقَدَتْ أيمَانُكُمْ, فآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ قال: إذا لم يأت رحم لهذا يحول دونهم, قال: فكان هذا أوّلاً, فقال الله: إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائكُمْ مَعْرُوفا يقول: إلاّ أن تُوصُوا لهم كانَ ذلكَ فِي الكِتابِ مَسْطُورا أنّ أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله, قال: وكان المؤمنون والمهاجرون لا يتوارثون إن كانوا أولي رحم, حتى يهاجروا إلى المدينة, وقرأ قال الله: وَالّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا... إلى قوله وَفَسادٌ كَبِيرٌ, فكانوا لا يتوارثون, حتى إذا كان عام الفتح, انقطعت الهجرة, وكثر الإسلام, وكان لا يُقْبل من أحد أن يكون على الذي كان عليه النبيّ ومن معه إلاّ أن يهاجر قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بَعَث: «اغْدُوا عَلى اسْمِ اللّهِ لا تَغُلّوا وَلا تُوَلّوا, ادْعُوهُمْ إلى الإسْلامِ, فإنْ أجابُوكُمْ فاقْبَلُوا وَادْعُوهُمْ إلى الهِجْرَةِ, فإنْ هاجَرُوا مَعَكُمْ, فَلَهُمْ ما لَكُمْ, وَعَلَيْهِمْ ما عَلَيْكُمْ, فإنْ أبَوْا ولَمْ يُهاجِرُوا وَاخْتارُوا دَارَهُمْ فَأقِرّوهُمْ فِيها, فَهُمْ كالأعْرابِ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أحْكامُ الإسْلامِ, ولَيْسَ لَهُمْ فِي هَذَا الفَيْءِ نَصِيبٌ». قال: فلما جاء الفتح, وانقطعت الهجرة, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ» وكثر الإسلام, وتوارث الناس على الأرحام حيث كانوا, ونسخ ذلك الذي كان بين المؤمنين والمهاجرين, وكان لهم في الفيء نصيب, وإن أقاموا وأبَوا, وكان حقهم في الإسلام واحد, المهاجر وغير المهاجر والبدوي وكلّ أحد, حين جاء الفتح.

فمعنى الكلام على هذا التأويل: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين ببعضهم أن يرثوهم بالهجرة, وقد يحتمل ظاهر هذا الكلام أن يكون من صلة الأرحام من المؤمنين والمهاجرين, أوْلى بالميراث, ممن لم يؤمن, ولم يهاجر.

وقوله: إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: معنى ذلك: إلاّ أن توصوا لذوي قرابتكم من غير أهل الإيمان والهجرة. ذكر من قال ذلك:

21593ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, عن حجّاج, عن سالم, عن ابن الحنفية إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا قالوا: يوصي لقرابته من أهل الشرك.

21594ـ قال: ثنا عبدة, قال: قرأت على ابن أبي عروبة, عن قتادة إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا قال: للقرابة من أهل الشرك وصية, ولا ميراث لهم.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا قال: إلى أوليائكم من أهل الشرك وصية, ولا ميراث لهم.

21595ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري ويحيى بن آدم, عن ابن المبارك, عن معمر, عن يحيى بن أبي كثير, عن عكرِمة إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا قال: وصية.

21596ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني محمد بن عمرو, عن ابن جريج, قال: قلت لعطاء: ما قوله إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا فقال: العطاء, فقلت له: المؤمن للكافر بينهما قرابة؟ قال: نعم عطاؤه إياه حباء ووصية له.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إلاّ أن تمسكوا بالمعروف بينكم بحقّ الإيمان والهجرة والحلف, فتؤتونهم حقهم من النصرة والعقل عنهم. ذكر من قال ذلك:

21597ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا قال: حلفاؤكم الذين والى بينهم النبيّ صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار, إمساك بالمعروف والعقل والنصر بينهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن توصوا إلى أوليائكم من المهاجرين وصية. ذكر من قال ذلك:

21598ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا يقول: إلاّ أن توصوا لهم.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: معنى ذلك إلاّ أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخَى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار, معروفا من الوصية لهم, والنصرة والعقل عنهم, وما أشبه ذلك, لأن كلّ ذلك من المعروف الذي قد حثّ الله عليه عباده.

وإنما اخترت هذا القول, وقلت: هو أولى بالصواب من قيل من قال: عنى بذلك الوصية للقرابة من أهل الشرك, لأن القريب من المشرك, وإن كان ذا نسب فليس بالمولى, وذلك أن الشرك يقطع ولاية ما بين المؤمن والمشرك, وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم وليا بقوله: لا تَتّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أوْلِياءَ وغير جائز أن ينهاهم عن اتخاذهم أولياء, ثم يصفهم جلّ ثناؤه بأنهم لهم أولياء. وموضع «أن» من قوله إلاّ أنْ تَفْعَلُوا نصب على الاستثناء. ومعنى الكلام: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين, إلاّ أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين ليسوا بأولِي أرحام منكم معروفا.

وقوله: كانَ ذلكَ فِي الكِتابِ مَسْطُورا يقول: كان أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله: أي في اللوح المحفوظ مسطورا أي مكتوبا, كما قال الراجز:

(فـي الصّحُفِ الأُولـى التـي كانَ سَطَرْ)
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
21599ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله كانَ ذلكَ فِـي الكِتابِ مَسْـطُورا: أي أن أولــي الأرحـام بعضـهم أولــى ببعض فـي كتاب الله.
وقـال آخـرون: معنـى ذلـك: كـان ذلـك فــي الكتـاب مسـطورا: لا يـرث الـمشرك الـمؤمن.

الآية : 7

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النّبِيّيْنَ مِيثَـاقَهُمْ وَمِنْـكَ وَمِـن نّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مّيثَاقاً غَلِيظاً }.
يقول تعالـى ذكره: كان ذلك فـي الكتاب مسطورا, إذ كتبنا كلّ ما هو كائن فـي الكتاب وَإِذْ أَخَـذْنا مِـنَ النّبِـيّـينَ مِيثـاقَهُمْ كـان ذلـك أيضـا فــي الكتـاب مسطورا, ويعنـي بـالـميثاق: العهد, وقد بــيّنا ذلـك بشـواهده فـيــما مضـى قبل. وَمِنْكَ يـا مــحمد وَمِـنْ نُـوحٍ وإبْرَاهِيــم وَمُوسَـى وَعِيسَـى ابـنِ مَرْيَــمَ, وأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقا غَلِـيظا يقول: وأخذنا من جميعهم عهدا مؤكـدا أن يصـدّق بعضهم بعضا. كما:
21600ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النّبِـيّـينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ قال: وذُكـر لنـا أن نبــيّ اللـه صلى الله عليه وسلم كان يقول: «كُنْتُ أوّلَ الأَنْبِياءِ فِـي الـخَــلْقِ, وآخِرَهُـمْ فِـي البَعْثِ», وَإِبْرَاهِيـمَ وَمُوسَى وَعِيسَـى ابْـنِ مَرْيَــمَ, وأخَـذْنا مِنْهُـمْ مِيثاقـا غَلِـيظا ميثاق أخذه الله علــى النبيــين, خصوصـا أن يصـدّق بعضـهم بعضـا, وأن يتبع بعضهم بعضا.
حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا سليـمان, قال: حدثنا أبو هلال, قال: كان قتادة إذا تلا هذه الآية وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النّبِـيّـينَ مِيثـاقَهُمْ وَمِنْـكَ وَمِـنْ نُـوحٍ قال: كان نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم فـي أوّل النبـيين فـي الـخـلق.
21601ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله مِنَ النّبِـيّـينَ مِيثـاقَهُمْ وَمِنْـكَ وَمِنْ نُوحٍ قال: فـي ظهر آدم.
21602ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقا غَلِـيظا قـال: الـميثاق الغلـيظ: العهد.

الآية : 8

القـول فــي تأويــل قـوله تعالــى: {لّيَسْـأَلَ الصّـادِقِينَ عَـن صِـدْقِهِمْ وَأَعَـدّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً }.
يقـول تعالــى ذكـره: أخـذنا مـن هـؤلاء الأنبــياء ميثـاقهم كيــما أسـأل الـمرسلـين عما أجابتهم به أمـمهم, ومـا فعـل قـومهم فـيــما أبلغـوهم عـن ربهم من الرسالة. وبنـحو قولنا فـي ذلك قال أهـل التأويــل. ذكـر مـن قـال ذلك:
21603ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن لــيث, عـن مـجاهد لِـيَسْأَلَ الصّادِقِـينَ عَنْ صِدْقِهِمْ قال: الـمبلغين الـمؤدّين من الرسل.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد لِيَسْأَلَ الصّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ قال: المبلغين المؤدّين من الرسل.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أُسامة, عن سفيان, عن رجل, عن مجاهد لِيَسْأَلَ الصّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ قال: الرسل المؤدّين المبلغين.

وقوله: وأعَدّ للكافِرِينَ عَذَابا أَلِيما يقول: وأعدّ للكافرين بالله من الأمم عذابا موجعا.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً }.

يقول تعالى ذكره: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ التي أنعمها على جماعتكم وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الخندق إذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ: جنود الأحزاب: قُريش, وغَطفان, ويهود بني النضير فأرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحا وهي فيما ذكر: ريح الصّبا. كما:

21604ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عكرمة, قال: قالتِ الجنوبُ للشمال ليلة الأحزاب: انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال الشمال: إن الحرّة لا تسري بالليل, قال: فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصّبا.

21605ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو عامر, قال: ثني الزبير, يعني ابن عبد الله, قال: ثني ربيح بن أبي سعيد, عن أبيه, عن أبي سعيد, قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله بلغت القلوب الحناجر, فهل من شيء تقوله؟ قال: «نَعَمْ قُولُوا: اللّهُمّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنا, وآمِنْ رَوْعاتِنا», فَضَرَبَ اللّهُ وُجُوهَ أعْدائهِ بالرّيحِ, فهَزَمَهُمُ اللّهُ بالرّيح.

21606ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني عبد الله بن عمرو, عن نافع, عن عبد الله, قال: أرسلني خالي عثمان بن مظعون ليلة الخندق في برد شديد وريح, إلى المدينة, فقال: ائتنا بطعام ولحاف قال: فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأذن لي وقال: «مَنْ لَقِيتَ مِنْ أصحَابِي فَمُرْهُم يَرْجِعُوا». قال: فذهبت والريح تَسْفِي كل شيء, فجعلت لا ألقى أحدا إلاّ أمرته بالرجوع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: فما يَلْوِي أحد منهم عنقه قال: وكان معي تُرْس لي, فكانت الريح تضربه عليّ, وكان فيه حديد, قال: فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي, فأنفذها إلى الأرض.

21607ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة: قال: ثني محمد بن إسحاق, عن يزيد بن زياد, عن محمد بن كعب القُرَظِيّ, قال: قال فتى من أهل الكوفة لحُذَيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله, رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه؟ قال: نعم يا بن أخي, قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نَجْهَد, قال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناه يمشيء على الأرض, لحملناه على أعناقنا. قال حُذَيفة: يا بن أخي, والله لقد رأيتُنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق, وصلى رسول الله هَوِيّا من الليل, ثم التفت إلينا فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما

فعل القوم؟ يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يرجع أدخله الله الجنة», فما قام أحد, ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيا من الليل, ثم التفت إلينا فقال مثله, فما قام منا رجل, ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيا من الليل, ثم التفت إلينا فقال: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنا ما فَعَلَ القَوْمُ ثُمّ يَرْجِعُ, يَشْتَرِطُ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلى اللّهُ عليهِ وسلّمَ الرّجْعَةَ, أسألُ اللّهُ أنْ يكُونَ رَفِيقي فِي الجَنّةِ» فما قام رجل من شدّة الخوف, وشدّة الجوع, وشدّة البرد فلما لم يقم أحد, دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم, فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني, فقال: «يا حُذَيْفَةُ اذْهَبْ فادْخُلْ فِي القَوْمِ فانْظُرْ ما يَفْعَلونَ, وَلا تُحْدِثَنّ شَيْئا حتى تَأتِينَا». قال: فذهبت فدخلت في القوم, والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل, لا تُقِرّ لهم قِدرا ولا نارا ولا بناء فقام أبو سُفيان فقال: يا معشر قريش, لينظر امرؤ من جليسه, فقال حُذَيفة: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي, فقلت: من أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش, إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام, ولقد هلك الكراع والخفّ, واختلفت بنو قريظة, وبلغنا عنهم الذي نكره, ولقينا من هذه الريح ما ترون, والله ما يطمئنّ لنا قدر, ولا تقوم لنا نار, ولا يستمسك لنا بناء, فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جمله وهو معقول, فجلس عليه, ثم ضربه فوثب به على ثلاث, فما أطلق عقاله إلاّ وهو قائم. ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليّ أن «لا تُحدث شيئا حتى تأتيني», لو شئت لقتلته بسهم قال حُذَيفة: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه فلما رآني أدخلني بين رجليه, وطرح عليّ طرَف المِرط, ثم ركع وسجد وإني لفيه فلما سلم أخبرته الخبر, وسمعت غَطفان بما فعلت قريش, فانشمروا راجعين إلى بلادهم.

21608ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله إذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ قال: الأحزاب: عيينة بن بدر, وأبو سفيان, وقريظة.

وقوله: فَأرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحا قال: ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق, حتى كفأت قدورهم على أفواهها, ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم. وقوله: وَجُنُودا لَمْ تَرَوْها قال: الملائكة ولم تقاتل يومئذ.

21609ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله يا أيها الّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ, إذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فأرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحا وَجُنُودا لَمْ تَرَوْها قال: يعني الملائكة, قال: نزلت هذه الآية يوم الأحزاب وقد حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا فخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأقبل أبو سفيان بقريش ومن تبعه من الناس, حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأقبل عُيينة بن حصن, أحد بني بدر ومن تبعه من الناس حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم, وكاتبت اليهود أبا سفيان وظاهروه, فقال حيث يقول الله تعالى: إذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أسْفَلَ مِنْكُمْ فبعث الله عليهم الرعب والريح, فذكر لنا أنهم كانوا كلما أوقدوا نارا أطفأها الله, حتى لقد ذكر لنا

أن سيد كلّ حيّ يقول: يـا بنــي فلان هلــمّ إلــيّ, حتــى إذا اجتــمعوا عنـده فقال: النـجاء النـجاء, أتـيتـم لـما بعث الله علـيهم من الرعب.
21610ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله يا أيّها الّـذِينَ آمَنُـوا اذْكُـرُوا نَعْمَـةَ اللّهِ عَلَـيْكُمْ... الآية, قال: كان يوم أبـي سفـيان يوم الأحزاب.
21611ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: ثنـي يزيد بن رومان, فِـي قول الله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَـيْكُمْ إِذْ جـاءَتْكُمْ جُنُـودٌ فأَرْسَـلْنا عَلَـيْهِم رِيحـا وَجُنُـودا لَـمْ تَرَوْهـا والــجنود قريـش وغطفـان وبنو قريظة, وكانت الـجنود التـي أرسـل اللـه علــيهم مـع الريـح: الـملائكة.
وقوله: وكانَ اللّـهُ بِــمَا تَعْملُـونَ بَصِـيرا يقـول تعالــى ذكـره: وكـان اللـه بأعمالكم يومئذٍ, وذلك صـبرهم علــى مـا كـانوا فــيه مـن الــجَهْد والشـدّة, وثَبـاتهم لعَدُوّهم, وغير ذلك من أعمـالهم, بصـيرا لا يخفــى علــيه مـن ذلـك شيء, يُحصيه علـيهم, لـيجزيَهُمْ علـيه.

الآية : 10 -12

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِذْ جَآءُوكُمْ مّن فَـوْقِكُمْ وَمِـنْ أَسْـفَلَ مِنكُـمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنّـونَ بِـاللّهِ الظّنُونَـا * هُنَالِـكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً * وَإِذْ يَقُـولُ الْمُنَـافِقُونَ وَالّـذِينَ فِـي قُلُوبِهِم مّرَضٌ مّا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ إِلاّ غُرُوراً }.
يقول تعالـى ذكـره: وكـان اللـه بــما تعملـون بَصِـيرا, إذ جـاءتكم جنـودُ الأحزاب من فوقِكم, ومن أسفلَ منكم. وقـيـل: إن الذين أتَوْهم مـن أسـفل منهم, أبو سفـيان فـي قريش ومن معه. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
21612ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد إِذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ قـال عيــينة بـن بـدر فـي أهل نـجد, ومن أسفل منكم, قال: أبو سفـيان. قال: وواجَهَتْهم قُرَيظة.
21613ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبدة, عن هشام بن عروة, عن أبـيه, عن عائشة: ذكرت يوم الـخندق وقرأت: إِذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْـفَلَ مِنْكُمْ, وَإِذْ زَاغَتِ الأبْصَارُ, وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الـحَناجِرَ قالت: هو يوم الـخندق.
21614ـ حدثنا ابـن حميـد, قـال: حـدثنا سلَــمة, قـال: ثنــي مــحمد بـن إسحاق, عن يزيد بن رُومان مولـى آل الزبـير, عن عُروة بن الزبـير, وعمــن لاأتهم, عن عُبـيد الله بن كعب بن مالك, وعن الزّهريّ, وعن عاصم بن عمـر بن قتادة, عن عبد الله بن أبـي بكـر بـن مــحمد بـن عمـرو بـن حـزم, وعـن مـحمد بن كعب القُرَظيّ, وعن غيرهـم مـن علــمائنا: أنـه كـان مـن حـديث الـخندق, أن نَفَرا من الـيهود, منهم سلام بن أبـي الـحُقَـيق النّضَريّ, وحُيــيّ بن أخطب النّضَري, وكِنانة بن الرّبـيع بن أبـي الـحُقَـيق النضريّ, وهَوْذَة بــن قـيس الوائلـيّ, وأبو عمار الوائلـيّ, فـي نفر من بنـي النضير, ونفر من بنـي وائل, وهم الذين حَزّبوا الأحزاب علـى رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم, خرجوا حتـى قدِموا مكة علـى قريش, فدعَوْهم إلـى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقالوا: إنا سنكون معكم علـيه, حتـى نستأصلَه. فقال لهـم قريش: يا معشر يهود, إنكم أهل الكتاب الأوّل, والعلـم بـما أصبحنا نــختلف

فيه نحن ومحمد, أَفَدِيننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه, وأنتم أولى بالحقّ منه. قال: فهم الذين أنزل الله فيهم: أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبا مِنَ الكِتابِ يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ والطّاغُوتِ, وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً... إلى قوله: وكَفَى بِجَهَنّمَ سَعِيرا فلما قالوا ذلك لقريش, سرّهم ما قالوا, ونشطوا لما دعوهم له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم, فاجتمعوا لذلك, واتعدوا له. ثم خرج أولئك النفر من اليهود, حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان, فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه, وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك, فاجتمعوا فيه, فأجابوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب, وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حُذَيفة بن بدر في بني فزارة, والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرّة, ومسْعر بن رخيلة بن نُوَيرة بن طريف بن سحمة بن عبدالله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان, فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق, أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم, ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة, وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد, حتى نزلوا بذنب نَقَمَى إلى جانب أحد, وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع في ثلاثة آلاف من المسلمين, فضرب هنالك عسكره, والخندق بينه وبين القوم, وأمر بالذّراري والنساء, فرفعوا في الآطام, وخرج عدوّ الله حيي بن أخطب النضري, حتى أتى كعب بن أسد القرظيّ, صاحب عقد بني قريظة وعهدهم, وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه, وعاهده على ذلك وعاقده, فلما سمع كعب بحييّ بن أخطب, أغلق دونه حصنه, فاستأذن عليه, فأبى أن يفتح له, فناداه حييّ: يا كعب افتح لي, قال: ويحك يا حييّ, إنك امرؤ مشؤوم, إني قد عاهدت محمدا, فلست بناقض ما بيني وبينه, ولم أر منه إلاّ وفاء وصدقا قال: ويحك افتح لي أكلمك, قال: ما أنا بفاعل. قال: والله إن أغلقت دوني إلاّ تخوّفت على جشيشتك أن آكل معك منها, فأحفظ الرجل, ففتح له, فقال: يا كعب جئتك بعزّ الدهر, وببحر طمّ, جئتك بقريش على قاداتها وساداتها, حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رُومَة, وبغطَفان على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بذنب نَقَمَى إلى جانب أُحد, قد عاهدوني وعاقدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه, فقال له كعب بن أسد: جئتني والله بذلّ الدهر, وبجهام قد هراق ماءه, يرعد ويبرق, ليس فيه شيء, فدعني ومحمدا وما أنا عليه, فلم أر من محمد إلاّ صدقا ووفاء فلم يزل حييّ بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاهم عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد عهده, وبرىء مما كان عليه, فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر, وإلى المسلمين, بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن

معاذ بن النعمان بن امرىء القيس, أحد بني الأشهل, وهو يومئذٍ سيد الأوس, وسعد بن عبادة بن ديلم أخي بني ساعدة بن كعب بن الخزرج, وهو يومئذٍ سيد الخزرج, ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلحرث بن الخزرج, وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف, فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحقّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟, فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه, ولا تفتوا في أعضاد الناس, وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم, فاجهروا به للناس. فخرجوا حتى أتوهم, فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم, ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد, فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه, وكان رجلاً فيه حدّة, فقال له سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمتهم, فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فسلموا عليه, ثم قالوا: عضل والقارة: أي كغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع خبيب بن عديّ وأصحابه, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر, أبشروا يا معشر المسلمين», وعظم عند ذلك البلاء, واشتدّ الخوف, وأتاهم عدوّهم من فوقهم, ومن أسفل منهم, حتى ظنّ المسلمون كلّ ظنّ, ونجم النفاق من بعض المنافقين, حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر, وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط, وحتى قال أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله إن بيوتنا لعورة من العدوّ, وذلك عن ملإ من رجال قومه, فأذن لنا فلنرجع إلى دارنا, وإنها خارجة من المدينة, فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر, ولم يكن بين القوم حرب إلاّ الرمي بالنبل والحصار».

21615ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, قال: ثني يزيد بن رومان, قوله إذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أسْفَلَ مِنْكُمْ فالذين جاءوهم من فوقهم: قريظة, والذين جاءوهم من أسفل منهم: قريش وغطفان.

وقوله: وَإذْ زَاغَتِ الأبْصَارُ يقول: وحين عدلت الأبصار عن مقرّها, وشخصت طامحة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21616ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإذْ زَاغَتِ الأبْصَارُ: شخصت.

وقوله: وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ يقول: نبت القلوب عن أماكنها من الرعب والخوف, فبلغت إلى الحناجر. كما:

21617ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا سويد بن عمرو, عن حماد بن زيد, عن أيوب, عن عكرِمة: وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ قال: من الفزع.

وقوله: وَتَظُنّونَ باللّهِ الظّنُونا يقول: وتظنون بالله الظنونَ الكاذبة, وذلك كظنّ من ظنّ منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُغلب, وأن ما وعده الله من النصر أن لا يكون, ونحو ذلك من ظنونهم الكاذبة التي ظنها من ظنّ ممن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره.

21618ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا هوذة بن خليفة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن وَتَظُنّونَ بالله الظّنُونا قال: ظنونا مختلفة: ظنّ المنافقون أن

محمدا وأصحابه يُستأصلون, وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حقّ, أنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَتَظُنّونَ بالله الظّنُونا فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة, وبعض الكوفيين: الظّنَونا بإثبات الألف, وكذلك وأطَعْنا الرّسُولا فأضَلّونا السّبِيلا في الوصل والوقف وكان اعتلال المعتلّ في ذلك لهم, أن ذلك في كل مصاحف المسلمين بإثبات الألف في هذه الأحرف كلها. وكان بعض قرّاء الكوفة يثبت الألف فيهنّ في الوقف, ويحذفها في الوصل اعتلالاً بأن العرب تفعل ذلك في قوافي الشعر ومصاريعها, فتلحق الألف في موضع الفتح للوقوف, ولا تفعل ذلك في حشو الأبيات, فإن هذه الأحرف, حسُن فيها إثبات الألفات, لأنهنّ رؤوس الآي تمثيلاً لها بالقوافي. وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة والكوفة بحذف الألف من جميعه في الوقف والوصل, اعتلالاً بأن ذلك غير موجود في كلام العرب إلاّ في قوافي الشعر دون غيرها من كلامهم, وأنها إنما تفعل ذلك في القوافي طلبا لإتمام وزن الشعر, إذ لو لم تفعل ذلك فيها لم يصحّ الشعر, وليس ذلك كذلك في القرآن, لأنه لا شيء يضطرهم إلى ذلك في القرآن, وقالوا: هنّ مع ذلك في مصحف عبد الله بغير ألف.

وأولى القرَاءات في ذلك عندي بالصواب, قراءة من قرأه بحذف الألف في الوصل والوقف, لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب, مع شهرة القراءة بذلك في قرّاء المصرين: الكوفة, والبصرة ثم القراءة بإثبات الألف فيهنّ في حالة الوقف والوصل, لأن علة من أثبت ذلك في حال الوقف أنه كذلك في خطوط مصاحف المسلمين. وإذا كانت العلة في إثبات الألف في بعض الأحوال كونه مثبتا في مصاحف المسلمين, فالواجب أن تكون القراءة في كل الأحوال ثابتة, لأنه مثبت في مصاحفهم. وغير جائز أن تكون العلة التي توجب قراءة ذلك على وجه من الوجوه في بعض الأحوال موجودة في حال أخرى, والقراءة مختلفة, وليس ذلك لقوافي الشعر بنظير, لأن قوافي الشعر إنما تلحق فيها الألفات في مواضع الفتح, والياء في مواضع الكسر, والواو في مواضع الضمّ طلبا لتتمة الوزن, وأن ذلك لو لم يفعل كذلك بطل أن يكون شعرا لاستحالته عن وزنه, ولا شيء يضطرّ تالي القرآن إلى فعل ذلك في القرآن.

وقوله: هُنالكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ يقول: عند ذلك اختبر إيمان المؤمنين, ومحّص القوم وعرف المؤمن من المنافق. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21619ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله هُنالكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ قال: محصوا.

وقوله: وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدا يقول: وحرّكوا بالفتنة تحريكا شديدا, وابتلوا وفتنوا.

وقوله: وَإذْ يقُولُ المُنافِقونَ وَالّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: شَكّ في الإيمان, وضعف في اعتقادهم إياه: ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غُرورا, وذلك فيما

ذُكِر قولُ معتّب بن قُشَير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21620ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني يزيد بن رُومان وَإِذْ يَقُولُ الـمُنافِقُونَ وَالّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسُولُهُ إلاّ غُرُورا يقول: مُعَتّب بن قُشَير, إذ قال ما قال يوم الخندق.

21621ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله وَإِذْ يَقُولُ المنافقون والّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ قال: تكلّمهم بالنفاق يومئذٍ, وتَكَلّمَ المؤمنون بالحقّ والإيمان, قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله.

21622ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله وَإِذْ يَقولُ الـمُنافِقُونَ وَالّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسُولُهُ إلاّ غُرُورا قال: قال ذلك أناس من المنافقين: قد كان محمد يعدُنا فتح فارس والروم, وقد حُصِرنا هاهنا, حتى ما يستطيع أحدُنا أن يبرُز لحاجته ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غرورا.

21623ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قال: قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبيّ صلى الله عليه وسلم: يا فلان أرأيت إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ, وَإذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ, وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنّ كُنُوزُهُما فِي سَبِيلِ اللّهِ». فأينَ هذا من هذا, وأحدُنا لا يستطيع أن يخرج يبول من الخوف؟ ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسُولُهُ إلاّ غُرُورا. فقال له: كذبت, لأُخْبِرَنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرك, قال: فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم, فأخبره, فدعاه فقال: «ما قلت؟» فقال: كذبَ عليّ يا رسول الله, ما قلت شيئا, ما خرج هذا من فمي قطّ قال الله: يَحْلِفُونَ بالله ما قالُوا, وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ... حتى بلغ وَما لَهُمْ في الأَرْضِ مِنْ وَلِيّ وَلا نَصِيرٍ قال: «فهذا قول الله: إنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذّبْ طائِفَةً.

21624ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن خالد بن عَثْمة, قال: حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف الـمُزَنيّ, قال: ثني أبي, عن أبيه, قال: خطّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام ذُكِرت الأحزاب, من أحمر الشيخين, طرف بني حارثة, حتى بلغ المَذَاد, ثم جعل أربعين ذراعا بين كلّ عشرة, فاختلف المهاجرون والأنصار في سَلْمان الفارسيّ, وكان رجلاً قويّا, فقال الأنصار: سَلْمان منا, وقال المهاجرون: سلمان منا, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «سَلْمانُ مِنّا أهْلَ البَيْتِ». قال عمرو بن عوف: فكنت أنا وسَلْمانُ وحُذَيفةُ بن اليمان والنّعمانُ بن مُقَرّن الـمُزَنيّ, وستةٌ من الأنصار, في أربعين ذراعا, فحفَرنا تحت دوبار حتى بلغنا الصّرَى, أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة, فكسرت حديدنا, وشَقّت علينا, فقلنا: يا سلمان, ارْقَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأخبره خبر هذه الصخرة, فإما أن نعدل عنها, فإن المعدل قريب, وإما أن يأمرنا فيها بأمره, فإنا لا نحبّ أن نجاوز خَطّه. فرقي سَلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قُبةً تركية, فقال: يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا, خرجت صخرة

بيضاء من بطن الخندق, مَرْوَة, فكسرت حديدنا, وشقّت علينا, حتى ما يجيء منها قليل ولا كثير, فمرنا فيها بأمرك, فإنا لا نحبّ أن نجاوز خَطّك. فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان في الخندق, ورَقِينا نحن التسعة على شَفَة الخندق, فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المِعْول من سَلمان, فضرب الصخرة ضربة صَدَعها, وبَرَقت منها بَرْقة أضاءت ما بين لابتيها, يعني: لابتي المدينة, حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم, فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح, وكبر المسلمون. ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية, فصَدَعها وبَرَقت منها بَرْقة أضاءت ما بين لابتيها, حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم, فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح, وكبر المسلمون, ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة, فكسرها, وبَرَقَت منها بَرْقة أضاءت ما بين لابتيها, حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم, فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح, ثم أخذ بيد سَلْمانَ فَرِقي, فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله, لقد رأيت شيئا ما رأيته قطّ, فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم, فقال: «هَلْ رأيْتُمْ ما يقُولُ سَلْمانُ؟» قَالُوا: نعم يا رسول الله, بأبينا أنت وأمنا وقد رأيناك تضرب, فيخرج بَرْق كالموج, فرأيناك تكبّر فنكبر, ولا نرى شيئا غير ذلك, قال: «صَدَقْتُمْ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الأُولى, فبَرَقَ الّذِي رأيتُمْ, أضَاءَ لي مِنْهُ قُصُورُ الْحِيرَةِ وَمَدَائِنُ كسْرَى, كأنّها أنْيابُ الكِلابِ, فأخْبَرَنِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ أنّ أمّتِي ظاهِرَةٌ عَلَيْها, ثُمّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الثّانِيَةَ, فبَرَقَ الّذِي رأيْتُمْ, أضَاءَ لي مِنْهُ قُصُورُ الْحُمْرِ مِنْ أرْضِ الرّوم, كأنّها أنْيابُ الكِلابِ, وأخْبَرَنِي جَبْرائِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ أنّ أمّتِي ظاهِرَةٌ عَلَيْها, ثُمّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الثّالِثَةَ, وَبَرَقَ مِنْها الّذِي رأيْتُمْ, أضَاءَتْ لي مِنْها قُصُورُ صَنْعاءَ, كأنّها أنْيابُ الكِلابِ, وأخْبَرَنِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ أنّ أمّتِي ظاهِرَةٌ عَلَيْها, فأبْشِرُوا, يُبَلّغْهُمُ النصْرُ, وأبْشِرُوا, يُبَلّغُهُمُ النّصْرُ, وأبْشِرُوا يُبَلّغُهُمُ النّصْرُ». فاستبشر المسلمون, وقالوا: الحمد لله موعود صدق, بأن وعَدَنا النصر بعد الحَصْر, فطَبّقت الأحزاب, فقال المسلمون هَذا ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسولُهُ... الآية, وقال المنافقون: ألا تعجبون.؟ يُحَدّثكم ويمنيكم ويَعِدكم الباطل, يُخْبركم أنه يبصر من يثربَ قصور الحِيرة ومدائن كسرى, وأنها تفتُح لكم, وأنتم تحفرون الخندق من الفَرَق, ولا تستطيعون أن تَبْرزُوا؟ وأنزل القرآن: وَإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسُولُهُ إلاّ غُرُورا.

الآية : 13 -14

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَت طّآئِفَةٌ مّنْهُمْ يَأَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَ امَ لَكُمْ فَارْجِعُواْ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مّنْهُمُ النّبِيّ يَقُولُونَ إِنّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاّ فِرَاراً * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مّنْ أَقْطَارِهَا ثُمّ سُئِلُواْ الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبّثُواْ بِهَآ إِلاّ يَسِيراً }.

يعني تعالى ذكره بقوله: وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ وإذ قال بعضهم: يا أهل يثرب, ويثرب: اسم أرض, فيقال: إن مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية من يثرب. وقوله: «لا مَقامَ لَكُمْ

فـارْجِعُوا» بفتـح الـميـم من مقام. يقول: لا مكان لكم, تقومـون فـيه, كمـا قال الشاعر:
فأيّـيّ ما وأيُّكَ كانَ شَرّافَقـيدَ إلـى الـمَقامَةِ لا يَرَاها
قوله فـارْجِعُوا يقول: فـارجعوا إلـى منازلكم أمرهم بـالهرب مـن عسـكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والفرار منه, وترك رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم. وقـيـل: إن ذلك من قـيـل أوس بن قـيظي ومـن وافقـه علـى رأيه. ذكر من قال ذلك:
21625ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: ثنـي يزيد, بن رومان وَإذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يـا أهْـلَ يَثْـرِبِ... إلـى فِـرَارا يقـول: أوس بن قـيظي, ومن كان علـى ذلك من رأيـه مـن قـومه. والقـراءة علـى فتـح الـميـم من قوله: «لا مَقامَ لَكُمْ» بـمعنى: لا موضـع قـيام لكـم, وهـي القراءة التـي لا أستـجيز القراءة بخلافها, لإجماع الـحجة من القـرّاء علـيها. وذُكر عن أبـي عبد الرحمن السلـمي أنه قرأ ذلك: لا مُقامَ لَكُمْ بضم الـميـم, يعنـي: لا إقامة لكم.
وقوله: وَيَسْتأذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النّبِـيّ يَقُولُونَ إنّ بُـيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ يقول تعالـى ذكره: ويستأذن بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسـلم فـي الإذن بـالانصراف عنه إلـى منزله, ولكنـه يريـد الفـرار والهـرب مـن عسـكر رسول الله صلى الله عليه وسـلم. وبنــحو الـذي قلنـا فــي ذلـك قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
21626ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَيَسْتأذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُـمُ النّبِــيّ... إلـى قوله إلاّ فِرَارا قال: هم بنو حارثة, قالوا: بـيوتنا مخـلـية نـخشى علــيها السرق.
21627ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: إنّ بُـيُوتَنا عَوْرَةٌ قال: نـخشى علــيها السرق.
21628ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَيَسْتأذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النّبِـيّ يَقُولُونَ إنّ بُـيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بعَوْرَةٍ وإنها مـما يـلـي العدوّ, وإنا نـخاف علـيها السرّاق, فبعث النبـيّ صلى الله عليه وسـلم, فلا يجد بها عدوّا, قال الله: إنْ يُرِيدُونَ إلاّ فِرَارا يقول: إنـما كان قولهم ذلـك إنّ بُـيُوتَنا عَوْرَةٌ إنـما كان يريدون بذلك الفرار.
21629ـ حدثنا مـحمد بن سنان القزاز, قال: حدثنا عبـيد الله بن حمران, قال: حدثنا عبد السلام بن شـدّاد أبـو طـالوت عـن أبــيه فــي هـذه الآيـة إنّ بُـيُوتَنا عَوْرَةٌ, وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ قال: ضائعة.
وقوله: وَلَوْ دُخِـلَتْ عَلَـيْهِمْ مِنْ أقْطارِها يقول: ولو دخـلت الــمدينة علــى هؤلاء القائلـين إنّ بُـيُوتَنا عَوْرَةٌ من أقطارها, يعنــي: مـن جوانبهـا ونواحيهـا, واحدها: قطر, وفـيها لغة أخرى: قُتر, وأقتار ومنه قول الراجز:
إنْ شِئْتَ أنْ تدهِن أو تـمرافَوَلِّهِنّ قُتْرَكَ الأشَرّا
وقوله: ثُمّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ يقول: ثم سئلوا الرجوع من الإيـمان إلـى الشرك لآتَوْها يقول: لفعلوا ورجعوا عن الإسلام وأشركوا. وقوله: وَما تَلَبّثُـوا بهـا إلاّ يَسِـيرا يقـول: ومـا احتبسـوا عـن إجـابتهم إلــى الشـرك إلاّ يسـيرا قلــيلاً,

ولأسرعوا إلى ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21630ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقْطارها أي لو دخل عليهم من نواحي المدينة ثُمّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ: أي الشرك لآتَوْها يقول: لأعطوها, وَما تَلَبّثُوا بِها إلاّ يَسِيرا يقول: إلاّ أعطوه طيبة به أنفسهم ما يحتبسونه.

21631ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقْطارها يقول: لو دخلت المدينة عليهم من نواحيها ثُمّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ لآتَوْها سئلوا أن يكفروا لكفروا قال: وهؤلاء المنافقون لو دخلت عليهم الجيوش, والذين يريدون قتالهم ثم سئلوا أن يكفروا لكفروا قال: والفتنة: الكفر, وهي التي يقول الله الفِتْنَةُ أشَدّ مِنَ القَتْلِ أي الكفر يقول: يحملهم الخوف منهم, وخبث الفتنة التي هم عليها من النفاق على أن يكفروا به.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: لآتَوْها فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض قرّاء مكة: «لاَءَتَوْها» بقصر الألف, بمعنى جاءوها. وقرأه بعض المكيين وعامة قرّاء الكوفة والبصرة: لآتَوْها بمدّ الألف, بمعنى: لأعطوها, لقوله: ثم سئلوا الفتنة وقالوا: إذا كان سؤال كان إعطاء, والمدّ أعجب القراءتين إليّ لما ذكرت, وإن كانت الأخرى جائزة.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَانُواْ عَاهَدُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلّونَ الأدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللّهِ مَسْئُولاً }.

يقول تعالى ذكره: ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصراف عنه, ويقولون إن بيوتنا عورة, عاهدوا الله من قبل ذلك, إن لا يولوا عدوّهم الأدبار, إن لقولهم في مشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم معهم, فما أوفوا بعهدهم وكانَ عَهْدُ اللّهِ مَسْئُولاً يقول: فيسأل الله ذلك من أعطاه إياه من نفسه. وذُكر أن ذلك نزل في بني حارثة لما كان من فعلهم في الخندق بعد الذي كان منهم بأحد. ذكر من قال ذلك:

21632ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني يزيد بن رومان وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلّونَ الأدْبارَ, وكانَ عَهْدُ اللّهِ مَسْئُولاً وهم بنو حارثة, وهم الذين همّوا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين همّا بالفشل يوم أحد, ثم عاهدوا الله لا يعودون لمثلها, فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم.

21633ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلّونَ الأدْبارَ وكانَ عَهْدُ اللّهِ مَسْئُولاً قال: كان ناس غابوا عن وقعة بدر, ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة, فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلنّ, فساق الله ذلك إليهم حتى كان في ناحية المدينة.

الآية : 16-17

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لاّ تُمَتّعُونَ إِلاّ قَلِيلاً * قُلْ مَن ذَا الّذِي يَعْصِمُكُمْ مّنَ اللّهِ إِنْ

أَرَادَ بِكُمْ سُـوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُـمْ رَحْمَـةً وَلاَ يَجِـدُونَ لَهُـمْ مّـن دُونِ اللّـهِ وَلِيّـاً وَلاَ نَصِيراً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنوك في الانصراف عنك ويقولون إن بيوتنا عورة: لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أوِ القَتْل يقول: لأن ذلك, أو ما كتب الله منهما واصل إليكم بكل حال, كرهتم أو أحببتم. وإذا لا تُمَتّعُونَ إلاّ قَلِيلاً يقول: وإذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك في أعماركم وآجالكم, بل إنما تمتعون في هذه الدنيا إلى الوقت الذي كتب لكم, ثم يأتيكم ما كتب لكم وعليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21634ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أوِ القَتْلِ, وَإذا لا تُمَتّعُونَ إلاّ قَلِيلاً وإنما الدنيا كلها قليل.

21635ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن منصور, عن أبي رزين, عن ربيع بن خيثم وَإذا لا تُمَتّعُونَ إلاّ قَلِيلاً قال: إلى آجالهم.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن أبي رزين, عن ربيع بن خيثم وَإذا لا تُمَتّعُونَ إلاّ قَلِيلاً قال: ما بينهم وبين الأجل.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن قالا: حدثنا سفيان, عن منصور, عن الأعمش, عن أبي رزين, عن الربيع بن خيثم مثله, إلاّ أنه قال: ما بينهم وبين آجالهم.

21636ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, عن أبي رزين, أنه قال في هذه الآية فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكوا كَثِيرا قال: ليضحكوا في الدنيا قليلاً, وليبكوا في النار كثيرا. وقال في هذه الآية: وَإذا لا تُمَتّعُونَ إلاّ قَلِيلاً قال: إلى آجالهم. أحد هذين الحديثين رفعه إلى ربيع بن خيثم.

حدثنا ابن وكيع, قال: ثني أبي, عن الأعمش, عن أبي رزين, عن الربيع بن خيثم وَإذَا لا تُمَتّعُونَ إلاّ قَلِيلاً قال: الأجل. ورفع قوله تُمَتّعُونَ ولم ينصب بإذن للواو التي معها, وذلك أنه إذا كان قبلها واو, كان معنى «إذا» التأخير بعد الفعل, كأنه قيل: ولو فرّوا لا يمتّعون إلاّ قليلاً إذا, وقد يُنصب بها أحيانا, وإن كان معها واو, لأن الفعل متروك, فكأنها لأوّل الكلام.

وقوله قُلْ مَنْ ذَا الّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللّـهِ إنْ أرَادَ بِكُـمْ سُـوءا أوْ أرَادَ بِكُـمْ رَحْمَةً يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون: إن بيوتنا عورة هربا من القتل: من ذا الذي يمنعكم من الله إن هو أراد بكم سوءا في أنفسكم, من قتل أو بلاء أو غير ذلك, أو عافية وسلامة؟ وهل ما يكون بكم في أنفسكم من سوء أو رحمة إلاّ من قِبَله؟ كما:

21637ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني يزيد بن رومان قُلْ مَنْ ذَا الّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللّـهِ إنْ أرَادَ بِكُـمْ سُـوءا أوْ أرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً أي أنه ليس الأمر إلاّ ما قضيت.

وقوله: وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ وَلِـيّا وَلا نَصِيرا يقول تعالى ذكره: ولا يجد هؤلاء المنافقون إن أراد الله بهم سوءا في أنفسهم وأموالهم من دون

الله وليا يليهم بالكفاية ولا نصيرا ينصرهم من الله فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء ذلك.

الآية : 18 -19

القول في تأويل قوله تعالى: {قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الْمُعَوّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَآئِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاّ قَلِيلاً * أَشِحّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَـئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً }.

يقول تعالى ذكره: قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس منكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصدّونهم عنه, وعن شهود الحرب معه, نفاقا منهم, وتخذيلاً عن الإسلام وأهله والقائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمّ إِلَيْنا: أي تعالوا إلينا, ودعوا محمدا, فلا تشهدوا معه مشهده, فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه. وَلا يَأْتُونَ البأسَ إلاّ قَلِيلاً يقول: ولا يشهدون الحرب والقتال إن شهدوا إلاّ تعذيرا, ودفعا عن أنفسهم المؤمنين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21638ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ المُعَوّقِينَ مِنْكُمْ والقائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ قال: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلاّ أكلة رأس, ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه, دعوا هذا الرجل فإنه هالك.

وقوله: وَلا يَأْتُونَ البأسَ إلاّ قَلِيلاً: أي لا يشهدون القتال, يغيبون عنه.

21639ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: حدثنا يزيد بن رومان قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ المُعَوّقِينَ مِنْكُمْ: أي أهل النفاق وَالقائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمّ إلَيْنا, وَلا يَأْتُونَ البأسَ إلاّ قَلِيلاً: أي إلاّ دفعا وتعذيرا.

21640ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ المُعَوّقِينَ مِنْكُمْ, والقائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ... إلى آخر الآية, قال: هذا يوم الأحزاب, انصرف رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم, فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف ونبيذ, فقال له: أنت ههنا في الشواء والرغيف والنبيذ, ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف؟ فقال: هلمّ إلى هذا, فقد بلغ بك وبصاحبك, والذي يحلف به لا يستقبلها محمد أبدا, فقال: كذبت والذي يحلف به قال, وكان أخاه من أبيه وأمّه: أما والله لأخبرنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أمرك قال: وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره قال: فوجده قد نزل جبرائيل عليه السلام بخبره قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ المُعَوّقِين مِنْكُمْ والقائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمّ إلَيْنا, وَلا يَأْتُون البأسَ قَلِيلاً.

وقوله أشِحّةً عَلَيْكُمْ اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به هؤلاء المنافقين, في هذا الموضع من الشحّ, فقال بعضهم: وصفهم بالشّحّ عليهم في الغنيمة. ذكر من قال ذلك:

21641ـ حدثني بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أشِحّةً عَلَيْكُمْ في الغنيمة.

وقال آخرون: بل وصفهم بالشحّ عليهم بالخير. ذكر من قال ذلك:

21642ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثني عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أشِحّةً عَلَيْكُمْ قال: بالخير, المنافقون. وقال غيره: معناه: أشحة عليكم بالنفقة على ضعفاء المؤمنين منكم.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشّحّ, ولم يخصُص وصفهم من معاني الشحّ, بمعنى دون معنى, فهم كما وصفهم الله به أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة في سبيل الله, على أهل مسكنة المسلمين. ونصب قوله أشِحّةً عَلَيْكُمْ على الحال من ذكر الاسم الذي في قوله وَلا يأتُونَ البأسَ, كأنه قيل: هم جبناء عند البأس, أشحاء عند قَسْم الغنيمة, بالغنيمة. وقد يحتمل أن يكون قَطْعا من قوله: قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ المُعَوّقِينَ مِنْكُمْ فيكون تأويله: قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس على القتال, ويَشِحّون عند الفتح بالغنيمة. ويجوز أن يكون أيضا قَطْعا من قوله: هلم إلينا أشحة, وهم هكذا أشحة. ووصفهم جلّ ثناؤه بما وصفهم من الشحّ على المؤمنين, لِما في أنفسهم لهم من العداوة والضّغْن. كما:

21643ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني يزيد بن رُومان أشِحّةً عَلَيْكُمْ أي للضّغْن الذي في أنفسهم.

وقوله: فإذَا جاءَ الخَوْفُ... إلى قوله مِنَ المَوْتِ يقول تعالى ذكره: فإذا حضر البأس, وجاء القتال, خافوا الهلاك والقَتْل, رأيتهم يا محمد ينظرون إليك لِواذا بك, تَدُور أعينهم, خوفا من القتل, وفرارا منه. كالّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ يقول: كدَوَران عين الذي يُغْشَى عليه من الموت النازل به فإذَا ذَهَبَ الخَوْفُ يقول: فإذا انقطعت الحربُ واطمأنوا سَلَقُوكُمْ بألْسِنَةٍ حِدادٍ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21644ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فإذَا جاءَ الخَوْفُ رأيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إلَيْكَ تَدُورُ أعْيُنُهُمْ من الخوف.

21645ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني يزيد بن رومان فإذَا جاءَ الخَوْفُ رأيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إلَيْكَ تَدُورُ أعْيُنُهُمْ كالّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ: أي إعظاما وفَرقا منه.

وأما قوله سَلَقُوكُمْ بألْسنَةٍ حِدادٍ. فإنه يقول: عَضّوكم بألسنة ذَرِبة. ويقال للرجل الخطيب الذّرِب اللسان: خطيب مِسْلَق ومِصْلَق, وخطيب سَلاّق وصَلاّق.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف تعالى ذكره هؤلاء المنافقين أنهم يَسْلُقون المؤمنين به, فقال بعضهم: ذلك سَلْقُهم إياهم عند الغنيمة, بمسألتهم القَسْمَ لهم. ذكر من قال ذلك:

21646ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فإذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بألْسِنَةٍ حِدادٍ أما عند الغنيمة, فأشحّ قوم, وأسوأ مُقاسَمَة: أعطُونا أعطُونا, فإنا قد شَهِدنا معكم. وأما عند البأس فأجبن قوم, وأخذله للحقّ.

وقال آخرون: بل ذلك سَلْقُهُمْ إياهم بالأذَى. ذكر ذلك عن ابن عباس:

21647ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله سَلَقُوكُم بألْسِنَةٍ حِدادٍ قال: استقبلوكم.

21648ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد سَلَقُوكُمْ بألْسِنَةٍ حِدادٍ قال: كَلَّموكم.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يَسْلُقونهم من القول بما تُحبون, نفاقا منهم. ذكر من قال ذلك:
21649ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني يزيد بن رُومان فإذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بألْسِنَةٍ حِدَادٍ في القول بما تحبون, لأنهم لا يرجون آخرة, ولا تَحمُلهم حِسْبة, فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده.
وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال سَلَقُوكُمْ بألْسِنَةٍ حِدَادٍ أشِحّةً عَلى الخَيْرِ فأخبر أن سَلْقَهُمْ المسلمين شُحَا منهم على الغنيمة والخير, فمعلوم إذ كان ذلك كذلك, أن ذلك لطلب الغنيمة. وإذا كان ذلك منهم لطلب الغنيمة, دخل في ذلك قول من قال: معنى ذلك: سَلَقوكم بالأذى, لأن فعلهم ذلك كذلك, لا شكّ أنه للمؤمنين أذى.
وقوله: أشِحّةً عَلى الخَيْرِ يقول: أشحّة على الغنيمة, إذا ظفر المؤمنون. وقوله: لَمْ يُؤْمنُوا فَأحْبَطَ اللّهُ أعمالَهُمْ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفتُ لك صفتهم في هذه الآيات, لم يصدّقوا الله ورسوله, ولكنهم أهل كفر ونِفاق. فأحبط الله أعمالهم يقول: فأذهب الله أجورَ أعمالهم وأبطلَها. وذُكر أن الذي وُصِفَ بهذه الصفة كان بَدْريّا, فأحبط الله عمله. ذكر من قال ذلك:
21650ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله فَأحْبَطَ اللّهُ أعمالَهُمْ وكانَ ذلكَ على اللّهِ يَسِيرا قال: فحدثني أبي أنه كان بدريا, وأن قوله: أحْبَطَ اللّهُ أعمالَهُمْ: أحبط الله عمله يوم بدر.
وقوله: وكانَ ذلكَ على اللّهِ يَسِيرا يقول تعالى ذكره: وكان إحباط عملهم الذي كانوا عملوا قبل ارتدادهم ونفاقهم على الله يسيرا.

الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: {يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ وَإِن يَأْتِ الأحْزَابُ يَوَدّواْ لَوْ أَنّهُمْ بَادُونَ فِي الأعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أنبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُمْ مّا قَاتَلُوَاْ إِلاّ قَلِيلاً }.
يقول تعالى ذكره: يحسب هؤلاء المنافقون الأحزاب, وهم قريش وغطفان. كما:
21651ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني يزيد بن رومان يَحْسَبُونَ الأحْزَابُ لَمْ يَذْهَبُوا قريش وغطفان.
وقوله: لَمْ يَذْهَبُوا يقول: لم ينصرفوا, وإن كانوا قد انصرفوا جبنا وهَلعا منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
21652ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا قال: يحسبونهم قريبا.
وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ قَدْ ذَهَبُوا, فإذَا وَجَدُوهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا وَدّوا لَوْ أنّهُمْ بادُونَ فِي الأعْرَابِ».

وقوله: وَإنْ يَأْتِ الأحْزَابُ يَوَدّوا لَوْ أنهُمْ بادُونَ فِي الأعْرابِ يقول تعالى ذكره: وإن يأت المؤمنين الأحزاب وهم الجماعة: واحدهم حزب يَوَدّوا يقول: يتمنوا من الخوف والجبن أنهم غيب عنكم في البادية مع الأعراب خوفا من القتل. وذلك أن قوله: لَوْ أنّهُمْ بادُونَ فِي الأعْرَابِ تقول: قد بدا فلان إذا صار في البدو فهو يبدو, وهو باد وأما الأعراب: فإنهم جمع أعرابيّ, وواحد العرب عربيّ, وإنما قيل أعرابيّ لأهل البدو, فرقا بين أهل البوادي والأمصار, فجعل الأعراب لأهل البادية, والعرب لأهل المصر.

وقوله: يَسألُونَ عَنْ أنْبائِكُمْ يقول: يستخبر هؤلاء المنافقون أيها المؤمنون الناس عن أنبائكم, يعني عن أخباركم بالبادية, هل هلك محمد وأصحابه؟ نقول: يتمنون أن يسمعوا أخباركم بهلاككم, أن لا يشهدوا معكم مشاهدكم. وَلَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إلاّ قَلِيلاً يقول تعالى ذكره للمؤمنين: ولو كانوا أيضا فيكم ما نفعوكم, وما قاتلوا المشركين إلاّ قليلاً. يقول: إلاّ تعذيرا, لأنهم لا يقاتلونهم حسبة ولا رجاء ثواب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21653ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله يَسألَونَ عَنْ أنْبائِكُمْ قال: أخباركم. وقرأت قرّاء الأمصار جميعا سوى عاصم الجحدري: يَسألُونَ عَنْ أنْبائِكُمْ بمعنى: يسألون من قدم عليهم من الناس عن أنباء عسكركم وأخباركم, وذكر عن عاصم الجحدري أنه كان يقرأ ذلك: «يَسّاءَلونَ» بتشديد السين, بمعنى: يتساءلون: أي يسأل بعضهم بعضا عن ذلك.

والصواب من القول في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار, لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

الآية : 21 -22

القول في تأويل قوله تعالى: {لّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لّمَن كَانَ يَرْجُو اللّهَ وَالْيَوْمَ الاَخِرَ وَذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً * وَلَمّا رَأى الْمُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ قَالُواْ هَـَذَا مَا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: أُسْوَةٌ فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار: «إسْوَةٌ» بكسر الألف, خلا عاصم بن أبي النجود, فإنه قرأه بالضمّ: أُسْوَةٌ. وكان يحيى بن وثاب يقرأ هذه بالكسر, ويقرأ قوله لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ بالضمّ, وهما لغتان. وذُكر أن الكسر في أهل الحجاز, والضمّ في قيس. يقولون: أسوة, وأُخوة. وهذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعسكره بالمدينة, من المؤمنين به. يقول لهم جلّ ثناؤه: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة, أن تتأسوا به, وتكونوا معه حيث كان, ولا تتخلّفوا عنه. لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللّهَ يقول: فإن من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفسه, ولكنه تكون له به أسوة في أن يكون معه حيث يكون هو. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21654ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني يزيد بن رومان, قال: ثم أقبل على المؤمنين, فقال لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللّهَ وَالْيَومَ الآخِرَ أن لا يرغبوا

بأنفسهم عن نفسه, ولا عن مكان هو به. وَذَكَرَ اللّهَ كَثِيرا يقول: وأكثر ذكر الله في الخوف والشدّة والرخاء.

وقوله: ولَمّا رأى المُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ يقول: ولمّا عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار قالوا تسليما منهم لأمر الله, وإيقانا منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم, الذي وعدهم بقوله أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الجَنّةَ ولَمّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ... إلى قوله قَرِيبٌ هذا ما وعدنا الله ورسوله, وصدق الله ورسوله, فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم, وتسليمهم لأمره الثناء, فقال: وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلاّ إيمانا بالله وتسليما لقضائه وأمره, ورزقهم به النصر والظفر على الأعداء. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21655ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ولَمّا رأى المُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ... الآية قال: ذلك أن الله قال لهم في سورة البقرة أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الجَنّةَ... إلى قوله إنّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ قال: فلما مسهم البلاء حيث رابطوا الأحزاب في الخندق, تأوّل المؤمنون ذلك, ولم يزدهم ذلك إلاّ إيمانا وتسليما.

21656ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني يزيد بن رومان, قال: ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به قالُوا هَذَا ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَما زَادَهُمْ إلاّ إيمانا وَتَسْلِيما: أي صبرا على البلاء, وتسليما للقضاء, وتصديقا بتحقيق ما كان الله وعدهم ورسوله.

21657ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ولَمّا رأى المُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ قالُوا هَذَا ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وكان الله قد وعدهم في سورة البقرة فقال: أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الجَنّةَ ولَمّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسّتْهُمْ البأساءُ والضّرّاءُ وَزُلْزِلُوا حتى يَقُولَ الرّسُولُ وَالّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ خيرهم وأصبرهم وأعلمهم بالله مَتى نَصْرُ اللّهِ ألا إنّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ هذا والله البلاء والنقص الشديد, وإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأوا ما أصابهم من الشدّة والبلاء قالُوا هَذَا ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَما زَادَهُمْ إلاّ إيمَانا وَتَسْلِيما وتصديقا بما وعدهم الله, وتسليما لقضاء الله.

الآية : 23 -24

القول في تأويل قوله تعالى: {مّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مّن قَضَىَ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدّلُواْ تَبْدِيلاً * لّيَجْزِيَ اللّهُ الصّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رّحِيماً }.

يقول تعالى ذكره مِنَ المُؤْمِنِينَ بالله ورسوله رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ يقول: أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضرّاء, وحين البأس فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ يقول: فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله وأوجبه له على نفسه, فاستشهد بعض يوم بدر, وبعض يوم أُحد, وبعض في غير ذلك من المواطن وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ قضاءه والفراغ

منه, كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده, والنصر من الله, والظفر على عدوّه. والنّحب: النذر في كلام العرب. وللنحب أيضا في كلامهم وجوه غير ذلك, منها الموت, كما قال الشاعر:

(قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى القَوْمِ هَوْبَرُ)

يعني: منيته ونفسه ومنها الخطر العظيم, كما قال جرير:

بِطَخْفَةَ جالَدْنا المُلُوكَ وَخَيْلُنَاعَشِيّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ عَلى نَحْبِ

أي على خطر عظيم ومنها النحيب, يقال: نحب في سيره يومه أجمع: إذا مدّ فلم ينزل يومه وليلته ومنها التنحيب, وهو الخطار, كما قال الشاعر:

وإذْ نَحّبَتْ كَلْبٌ على النّاس أيّهُمْأحَقّ بتاجِ المَاجِدِ المُتَكَوّم؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21658ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني يزيد بن رومان مِنَ المُؤْمِنينَ رجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ: أي وفوا الله بما عاهدوه عليه فمنهم من قَضَى نَحْبَهُ أي فرغ من عمله, ورجع إلى ربه, كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد ومنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ما وعد الله من نصره والشهادة على ما مضى عليه أصحابه.

21659ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ قال: عهده فقتل أو عاش وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ يوما فيه جهاد, فيقضي نحبه عهده, فيقتل أو يصدق في لقائه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن ابن جريج, عن مجاهد فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ قال: عهده وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ قال: يوما فيه قتال, فيصدق في اللقاء.

قال: ثنا أبي, عن سفيان, عن مجاهد فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ قال: مات على العهد.

21660ـ قال: ثنا أبو أُسامة, عن عبد الله بن فلان قد سماه ذهب عني اسمه عن أبيه فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ قال: نذره.

21661ـ حدثنا ابن إدريس, عن طلحة بن يحيى, عن عمه عيسى بن طلحة: أن أعرابيا أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فسأله: من الذين قضوا نحبهم؟ فأعرض عنه, ثم سأله, فأعرض عنه, ودخل طلحة من باب المسجد وعليه ثوبان أخضران, فقال: «هَذَا مِنَ الّذِينَ قَضَوْا نَحْبَهُمْ».

21662ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوّذة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, قوله فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ قال: موته على الصدق والوفاء. وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ الموت على مثل ذلك, ومنهم من بدّل تبديلاً.

حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن سعيد بن مسروق, عن مجاهد فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ, وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ قال: النحب: العهد.

21663ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ على الصدق والوفاء وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ من نفسه الصدق والوفاء.

21664ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَـحْبَهُ قال: مات على ما هو عليه من التصديق والإيمان وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ذلك.

21665ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي بكير, قال شريك بن عبد الله, أخبرناه عن سالم, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَـحْبَهُ قال: الموت على ما عاهد الله عليه وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ الموت على ما عاهد الله عليه.

وقيل: إن هذه الآية نزلت في قوم لم يشهدوا بدرا, فعاهدوا الله أن يفوا قتالاً للمشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, فمنهم من أوفى فقضى نحبه, ومنهم من بدّل, ومنهم من أوفى ولم يقض نحبه, وكان منتظرا, على ما وصفهم الله به من صفاتهم في هذه الآية. ذكر من قال ذلك:

21666ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن ثابت, عن أنس, أن أنس بن النضر تغيب عن قتال بدر, فقال: تغيبت عن أوّل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم, لئن رأيت قتالاً ليرينّ الله ما أصنع فلما كان يوم أُحُد, وهُزم الناس, لقي سعد بن معاذ فقال: والله إني لأجدُ ريح الجنة, فتقدّم فقاتل حتى قُتل, فنزلت فيه هذه الآية: مِنَ الـمُؤْمِنِينَ رِجالُ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَـحْبَهُ, وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الله بن بكير, قال: حدثنا حميد, قال: زعم أنس بن مالك قال: غاب أنس بن النضر, عن قتال يوم بدر, فقال: غبت عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين, لئن أشهدني الله قتالاً, ليرينّ الله ما أصنع فلما كان يوم أُحُد, انكشف المسلمون, فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون, وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء, يعني المسلمين, فمشى بسيفه, فلقيه سعد بن معاذ, فقال: أي سعد إني لأجد ريح الجنة دون أُحُد. فقال سعد: يا رسول الله فما استطعت أن أصنع ما صنع. قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى, به بضع ثمانون جراحة, بين ضربة بسيف, وطعنة برمح, ورمية بسهم, فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه. قال أنس: فكنا نتحدّث أن هذه الآية مِنَ الـمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ, فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَـحْبَهُ نزلت فيه, وفي أصحابه.

حدثنا سوار بن عبد الله, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت حميدا يحدّث, عن أنس بن مالك, أن أنس بن النضر, غاب عن قتال بدر, ثم ذكر نحوه.

21667ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا يونس بن بكير, قال: حدثنا طلحة بن يحيى, عن موسى وعيسى بن طلحة عن طلحة أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: وكانوا لا يجرءون على مسألته, فقالوا للأعرابي: سله مَنْ قَضَى نَـحْبَهُ من هو؟ فسأله, فأعرض عنه, ثم سأله, فأعرض عنه, ثم دخلت من باب المسجد وعليّ ثياب خُضر فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيْنَ السّائِلِيُ عَمّنْ قَضَى نَـحْبَهُ؟» قال الأعرابيّ: أنا يا رسول الله, قال: «هَذَا مِمّنْ قَضَى نَـحْبَهُ».

21668ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا عبد الحميد الحِمّاني, عن إسحاق بن يحيى الطَّلْحِي, عن موسى بن طلحة, قال: قام معاوية بن أبي سفيان, فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «طَلْحَةُ مِمّنْ قَضَى نَحْبَهُ».

حدثني محمد بن عمرو بن تمام الكلبي, قال: حدثنا سليمان بن أيوب, قال: ثني أبي, عن إسحاق, عن يحيى بن طلحة, عن عمه موسى بن طلحة, عن أبيه طلحة, قال: لما قدمنا من أُحُد وصرنا بالمدينة, صعد النبيّ صلى الله عليه وسلم المنبر, فخطب الناس وعزّاهم, وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر, ثم قرأ: رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ... الآية, قال: فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله, من هؤلاء؟ فالتفت وعليّ ثوبات أخضران, فقال: «أيّها السّائِلُ هَذَا مِنْهُمْ».

وقوله: وَما بَدّلُوا تَبْدِيلاً: وما غيروا العهد الذي عاقدوا ربهم تغييرا, كما غيره المعوّقون القائلون لإخوانهم: هلّ إلينا, والقائلون: إن بيوتنا عورة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21669ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَما بَدّلُوا تَبْديلاً يقول: ما شكّوا وما تردّدوا في دينهم, ولا استبدلوا به غيره.

21670ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَما بَدّلُوا تَبْديلاً: لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون.

وقوله: لِيَجْزِيَ اللّهُ الصّادِقِينَ بصِدْقِهِمْ يقول تعالى ذكره مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ لِيَجْزِيَ اللّهُ الصّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ: يقول: ليثيب الله أهل الصدق بصدقهم الله بما عاهدوه عليه, ووفائهم له به وَيُعَذّبَ المُنافِقِينَ إنْ شاءَ بكفرهم بالله ونفاقهم أوْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ من نفاقهم, فيهديهم للإيمان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21671ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة وَيُعَذّبَ المُنافِقِينَ إنْ شاءَ, أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ يقول: إن شاء أخرجهم من النفاق إلى الإيمان.

إن قال قائل: ما وجه الشرط في قوله وَيُعَذّبَ المُنافِقِينَ بقوله: إنْ شاءَ والمنافق كافر وهل يجوز أن لا يشاء تعذيب المنافق, فيقال ويعذّبه إن شاء؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي توهمته. وإنما معنى ذلك: ويعذّب المنافقين بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم حتى يموتوا على كفرهم إن شاء, فيستوجبوا بذلك العذاب, فالاستثناء إنما هو من التوفيق لا من العذاب إن ماتوا على نفاقهم.

وقد بين ما قلنا في ذلك قوله: أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ فمعنى الكلام إذن: ويعذّب المنافقين إذ لم يهدهم للتوبة, فيوفقهم لها, أو يتوب عليهم فلا يعذّبهم.

وقوله: إنّ اللّهَ كانَ غَفُورا رَحِيما يقول: إن الله كان ذا ستر على ذنوب التائبين, رحيما بالتائبين أن يعاقبهم بعد التوبة.

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: {وَرَدّ اللّهُ الّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً وَكَفَى اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً }.

يقول تعالى ذكره: ورَدّ اللّهُ الّذِينَ كَفَرُوا به وبرسوله من قُرَيش وغطفان بِغَيْظِهِمْ يقول: بكربهم وغمهم, بفوتهم ما أمّلوا من الظفر, وخيبتهم مما

كـانوا طَمِعـوا فـيه مـن الغَلَبـة لَــمْ ينَـالوا خَيْـرا يقـول: لــم يصـيبوا مـن الـمسلـمين مالاً ولا إسارا وكَفَـى اللّهُ الـمُؤْمِنِـينَ القِتالَ بجنود من الـملائكة والريح التـي بعثها علـيهم. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكـر من قال ذلك:

21672ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَرَدّ اللّهُ الّـذِينَ كَفَـرُوا بِغَيْظِهِـمْ لَــمْ يَنالُوا خَيْرا الأحزاب.

21673ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله وَرَدّ اللّـهُ الّـذِينَ كَفَـرُوا بِغَيْظِهِـمْ لَـمْ يَنـالُوا خَيْـرا وذلـك يـوم أبــي سفــيان والأحزاب, ردّ الله أبـا سفـيان وأصحابه بغيظهم لـم ينالوا خيرا وكَفَــى اللّـهُ الـمُؤْمِنِـينَ القِتالَ بـالـجنود من عنده, والريح التـي بعث علـيهم.

21674ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: ثنـي يزيد بن رومان وَرَدّ اللّهُ الّذِينَ كَفَـرُوا بِغَيْظِهِـمْ لَــمْ يَنـالُوا خَيْـرا: أي قريـش وغطفـان.

21675ـ حدثنـي الـحسين بن علـيّ الصّدائي, قال: حـدثنا شبــابة, قـال: حدثنا ابن أبـي ذئب, عن سعيد بن أبـي سعيد الـمقبري, عن عبد الرحمن بن أبـي سعيد الـخدري, عن أبـيه, قال: حُبِسنا يوم الـخندق عـن الصـلاة, فلــم نصلّ الظهر, ولا العصر, ولا الـمغرب, ولا العشـاء, حتــى كـان بعـد العشـاء بهويّ كفـينا, وأنزل الله: وكَفَــى اللّـهُ الـمُؤْمِنِــينَ القِتـالَ, وكـانَ اللّـهُ قَوِيّـا عَزِيزا فأمر رسول الله صلى الله عليـه وسـلم بلالاً, فأقـام الصـلاة, وصلــى الظهر, فأحسن صلاتها, كما كان يصلـيها فـي وقتها, ثم صلـى العصر كذلك, ثم صلـى الـمغرب كذلك, ثم صلـى العشاء كذلك, جعـل لكـل صـلاة إقامـة, وذلك قبل أن تنزل صلاة الـخوف فإنْ خِفْتُـمْ فِرِجالاً أوْ رُكْبـانا.

حدثنـي مـحمد بن عبد الله بن عبد الـحكم, قال: حدثنا ابن أبــي فـديك, قال: حدثنا ابن أبـي ذئب, عن الـمقبري عن عبـد الرحمـن بـن أبــي سـعيد, عن أبـي سعيد الـخدري قال: حُبسنا يوم الـخندق, فذكر نـحوه.

وقوله: وكانَ اللّهُ قَوِيّا عَزِيزا يقول: وكان الله قويا علـى فعل ما يشاء فعله بخـلقه, فـينصر من شاء منهم علـى من شاء أن يخذله, لا يغلبه غالب عزيزا يقول: هو شديد انتقامه مـمن انتقم منه من أعدائه. كما:

21676ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وكـانَ اللّهُ قَوِيّا عَزيزا: قويا فـي أمره, عزيزا فـي نقمته.

الآية : 26 -27

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَأَنزَلَ الّذِينَ ظَاهَرُوهُم مّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِـيهِمْ وَقَـذَفَ فِـي قُلُـوبِهِمُ الرّعْـبَ فَرِيقـاً تَقْتُلُـونَ وَتَأسِـرُونَ فَرِيقـاً * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لّـمْ تَطَئُوهَـا وَكَـانَ اللّـهُ عَلَـىَ كُـلّ شَيْءٍ قَدِيراً }.

يقول تعالـى ذكره: وأنزل الله الذين أعانوا الأحزاب من قريش وغطفـان علـى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه, وذلك هو مظاهرتهم إيــاه, وعنى بذلك بنـي قريظة, وهـم الـذين ظـاهروا الأحـزاب علــى رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم. وقوله مِنْ أهْلِ الكِتابِ يعنـي: من أهل التوراة, وكانوا

يهود: وقوله: منْ صَياصِيهمْ يعني: من حصونهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21677ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وأنْزَلَ الّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ قال قريظة, يقول: أنزلهم من صياصيهم.

21678ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله وأنْزَلَ الّذينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ وهم بنو قُرَيظة, ظاهروا أبا سفيان وراسلوه, فنكثوا العهد الذي بينهم وبين نبيّ الله. قال: فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش يغسل رأسه, وقد غسلت شقه, إذ أتاه جبرائيل صلى الله عليه وسلم, فقال: عفا الله عنك, ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة, فانهض إلى بني قريظة, فإني قد قطعت أوتارهم, وفتحت أبوابهم, وتركتهم في زلزال وبلبال قال: فاستلأم رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم سلك سكة بني غنم, فاتبعه الناس وقد عصب حاجبه بالتراب قال: فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصروهم وناداهم: يا إخوان القردة, فقالوا: يا أبا القاسم ما كنت فحاشا, فنزلوا على حكم ابن معاذ, وكان بينهم وبين قومه حلف, فرجوا أن تأخذه فيهم هوادة, وأومأ إليهم أبو لبابة أنه الذبح, فأنزل الله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللّهَ والرّسُولَ وتَخُونُوا أماناتكمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم, وأن تسبي ذراريهم, وأن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار, فقال قومه وعشيرته: آثرت المهاجرين بالعقار علينا قال: فإنكم كنتم ذوي عقار, وإن المهاجرين كانوا لا عقار لهم. وذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر وقال: «قَضَى فِيكُمْ بِحُكْمِ اللّهِ».

21679ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون, ووضعوا السلاح, فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما:

21680ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن ابن شهاب الزهري معتجرا بعمامة من استبرق, على بغلة عليها رحالة, عليها قطيفة من ديباج فقال: أقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: «نعم», قال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح بعد, ما رجعت الآن إلاّ من طلب القوم, إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة, وأنا عامد إلى بني قريظة, فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا, فأذّن في الناس: إن من كان سامعا مطيعا فلا يصلينّ العصر إلاّ في بني قريظة. وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه برايته إلى بني قريظة وابتدرها الناس, فسار عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حتى إذا دنا من الحصون, سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق, فقال: يا رسول الله لا عليك ألاّ تدنو من هؤلاء الأخباث, قال: «لِمَ؟ أظُنّك سَمِعْتَ لي مِنْهُمْ أذًى», قال: نعم يا رسول الله. قال: «لَوْ قَدْ رأونِي لَمْ يقُولُوا مِنْ ذلكَ شَيْئا». فلما دنا رسول الله صلى الله

عليه وسلم من حصونهم قال: «يا إِخْوَانَ القِرَدَة هَلْ أَخْزَاكُمُ اللّهُ وأَنْزَلَ بِكُـمْ نِقْمَتَهُ؟» قالُوا: يا أبـا القاسم, ما كنت جهـولاً ومـرّ رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم علـى أصحابه بـالصورين قبل أن يصل إلـى بنـي قريظة, فقــال: «هل مَرّ بِكُمْ أَحَدٌ؟» فقالوا: يـا رسـول اللـه, قـد مـرّ بنـا دِحيـة بـن خـلـيفة الكلبـي علـى بغلة بـيضاء علـيها رحالة علـيها قطيفـة ديبــاج, فقـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: «ذَاكَ جَبْرَائِيـلُ بعِثَ إلـى بَنِـي قُرَيْظَةَ يُزَلْزلُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ, وَيَقْذفُ الرّعْبَ فِـي قُلُوبِهِمْ» فلـما أتــى رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم قريظة نزل علـى بئر من آبـارها فــي ناحيـة مـن أمـوالهم يقـال لها: بئر أنا, فتلاحق به النـاس, فأتـاه رجـال مـن بعـد العشـاء الآخـرة, ولــم يصلوا العصر لقـول رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «لا يُصَلّـيَنّ أَحَـدٌ العَصْرَ إلاّ فِـي بَنِـي قُرَيْظَةَ», فصلوا العصر فما عابهم الله بذلك فــي كتـابه ولا عنفهم به رسوله.

21681ـ والـحديث عن مـحمد بن إسحاق, عن أبـيه, عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري, قال: وحاصرهم رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم خمسـا وعشرين لـيـلة حتـى جهدهم الـحصار وقذف الله فـي قلوبهم الرعـب. وقـد كان حُيَـيّ بن أخطب دخـل علـى بنـي قريظة فـي حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفـان وفـاء لكعب بن أسد بـما كان عاهده علـيه فلـما أيقنوا بـأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصـرف عنهـم حتـى ينـاجزهم, قـال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود, إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون, وإنــي عارض علـيكم خلالاً ثلاثا, فخذوا أيها قالوا: وما هنّ؟ قال: نبـايع هـذا الرجـل ونصدّقه, فوالله لقد تبـين لكم إنه لنبـيّ مرسل, وإنـه الـذي كنتــم تــجدونه فـي كتابكم, فتأمنوا علــى دمـائكم وأمـوالكم وأبنـائكم ونسـائكم, قـالوا: لا نفـارق حكم التوراة أبدا, ولا نستبدل به غيره قال: فـإذا أبـيتــم هـذه علــيّ, فهلـمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا, ثم نـخرج إلـى مـحمد وأصحابه رجالاً مصلتـين بـالسيوف, ولـم نترك وراءنا ثقلاً يهمنا حتـى يحكم الله بـيننا وبــين مــحمد, فإن نهلك نهلك ولـم نترك وراءنا شـيئا نــخشى علــيه, وإن نظهـر فلعمـري لنتـخذنّ النساء والأبنـاء, قـالوا: نقتـل هـؤلاء الــمساكين, فمـا خيـر العيـش بعدهم قال: فإذا أبـيتـم هذه علـيّ, فإن اللـيـلة لـيـلة السبت, وإنه عسى أن يكون مـحمد وأصحابه قد أمنوا, فـانزلوا لعلنا أن نصيب من مـحمد وأصحابه غرّة. قالوا: نفسد سبتنا ونـحدث فـيه ما لـم يكن أحدث فـيه من كان قبلنـا؟ أما من قد علـمت فأصابهم من الـمسخ ما لـم يخف علـيك؟ قـال: مـا بــات رجل منكم منذ ولدته أمه لـيـلة واحدة من الدهر حازما, قال: ثم إنهـم بعثـوا إلـى رسول الله صلى الله عليه وسـلم: أن ابعـث إلــينا أبــا لبــابة بـن عبـد الـمنذر أخا بنـي عمرو بن عوف, وكانوا من حلفــاء الأوس, نستشـيره فــي أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلـما رأوه قام إلـيه الرجال, وجهش إلـيه النساء والصبـيان يبكون فـي وجهه, فرقّ لهم وقالوا له: يـا أبــا لبـابة, أترى أن ننزل علـى حكم مـحمد؟ قال: نعم, وأشار بـيده إلـى حلقــه, إنه الذبح قال أبو لبـابة: فوالله ما زالت قدماي حتـى عرفت أنــي قـد خُنـت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبـابة علـى وجهه, ولــم يـأت رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم حتـى ارتبط فـي الـمسجد إلـى عمـود مـن عُمـده وقـال: لا أبرح مكانـي حتـى يتـوب اللـه علـيّ مــما صـنعت وعاهـد اللـه لا يط أ بنــي قريظة أبدا ولا يرانـي الله فـي بلد خنت الله ورسـوله فــيه أبـدا. فلــما بلـغ

رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره, وكان قد استبطأه, قال: «أما إنّهُ لَوْ كانَ جاءَنِي لاسْتَغْفَرْتُ لَهُ. أمّا إذْ فَعَلَ ما فَعَلَ, فَمَا أنا بالّذي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكانِه حتى يَتُوبَ اللّهُ عَلَيْهِ» ثم إن ثعلبة بن سعية, وأسيد بن سعية, وأسد بن عبيد, وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة, ولا النضير, نسبهم فوق ذلك, هم بنو عمّ القوم, أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم, وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي, فمرّ بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم, وعليه محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة فلما رآه قال: مَنْ هَذَا؟ قال: عمرو بن سعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: لا أغدر بمحمد أبدا, فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهمّ لا تحرمني إقالة عثرات الكرام, ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة, ثم ذهب, فلا يُدرى أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا فذُكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه, فقال: «ذَاكَ رَجُلٌ نَجّاهُ اللّهُ بِوَفائِهِ». قال: وبعض الناس كان يزعم أنه كان أُوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأصبحت رمته مُلقاة, ولا يُدرَى أين ذهب, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة, فالله أعلم.

فلما أصبحوا, نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم, فتواثبت الأوس, فقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج, وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت, وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع, وكانوا حلفاء الخزرج, فنزلوا على حكمه, فسأله إياهم عبد الله بن أُبيّ بن سلول, فوهبهم له فلما كلّمته الأوس, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَرَ الأَوْسِ أنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟» قالوا: بلى, قال: «فَذَاكَ إلى سَعْدِ بْنِ مُعاذٍ» وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة امرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده, كانت تداوي الجَرْحَى, وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: «اجْعَلُوهُ فِي خَيْمَةِ رُفِيْدَةَ حتى أعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ» فلما حكّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة, أتاه قومه فاحتملوه على حمار, وقد وطئوا له بوسادة من أدم, وكان رجلاً جسيما, ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك, فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك ذلك لتُحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم, فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل, فنعى إليهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ من كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين, قال: قوموا إلى سيدكم, فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك موالِيَك لتحكم فيهم, فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه, إن الحكم فيهم كما حكمت, قال: نعم, قال: وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى

الله عليه وسلم, وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالاً له, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَعَمْ», قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تُقتل الرجال, وتقسّم الأموال, وتْسبى الذراري والنساء.

21682ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: فحدثني محمد بن إسحاق, عن عاصم بن عمر بن قتادة, عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ, عن علقمة بن وقاص الليثي, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أرْقِعَةٍ», ثم استنزلوا, فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار ابنة الحارث امرأة من بني النّجار. ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة, التي هي سوقها اليوم, فخندق بها خنادق, ثم بعث إليهم, فضرب أعناقهم في تلك الخنادق, يخرج بهم إليه أرسالاً, وفيهم عدوّ الله حُيَيّ بن أخطب, وكعب بن أسد رأس القوم, وهم ستّ مئة أو سبع مئة, والمكثر منهم يقول: كانوا من الثمان مئة إلى التسع مئة, وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالاً: يا كعب, ما ترى ما يُصنع بنا؟ فقال كعب: أفي كلّ موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع, وإنه من يُذهب به منكم فما يرجع, هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأتي بحُيَيّ بن أخطب عدوّ الله, وعليه حلة له فُقّاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة أنملة أنملة, لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل, فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك, ولكنه من يخذل الله يُخْذَل ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس, إنه لا بأس بأمر الله, كتاب الله وقدره, وملحمة قد كُتِبت على بني إسرائيل, ثم جلس فضربت عنقه فقال جبل بن جوّال الثعلبي:

لعَمرُكَ مَا لامَ ابنُ أخْطَبَ نَفْسهولكِنّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللّهَ يُخْذَلِ
لـجَاهَدَ حتى أبْلَغَ النّفْسَ عُذْرَهاوقَلْقَلَ يَبغي العِزّ كلّ مُقَلْقَلِ

21683ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, عن محمد بن جعفر بن الزبير, عن عروة بن الزبير, عن عائشة, قالت: لم يقتل من نسائهم إلاّ امرأة واحدة, قالت: والله إنها لعندي تحدّث معي وتضحك ظهرا, ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسوق, إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله. قالت: قلت: ويلك ما لك؟ قالت: أقتل؟ قلت: ولِمَ؟ قالت: لحدث أحدثته قال: فانطلق بها, فضُربت عنقها, فكانت عائشة تقول: ما أنسى عجبي منها طيب نفس, وكثرة ضحك, وقد عرفت أنها تُقتل.

21684ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني زيد بن رومان وأنْزَلَ الّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ والصياصي: الحصون والاَطام التي كانوا فيها وَقذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرّعْبَ.

21685ـ حدثنا عمرو بن مالك البكري, قال: حدثنا وكيع بن الجرّاح وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن ابن عيينة, عن عمرو بن دينار, عن عكرمة مِنْ صَياصِيهِمْ قال: من حصونهم.

21686ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا,

عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد مِنْ صَياصِيهِمْ يقول: أنزلهم من صياصـيهم, قال: قصورهم.
21687ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله مِنْ صَياصِيهِمْ: أي من حصونهم وآطامهم.
21688ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: وأَنْزَلَ الّذِينَ ظاهَرُوهمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ قال: الصياصي: حصونهم التـي ظنوا أنها مانعتهم من الله تبـارك وتعالـى.
وأصل الصياصي: جمع صيصة يقال: وعنـى بهـا ههنـا: حصـونهم والعـرب تقول لطرف الـجبل: صيصة ويقال لأصـل الشـيء: صيصـة يقـال: جـزّ اللـه صيصة فلان: أي أصله ويقال لشوك الـحاكة: صياصي, كما قال الشاعر:
(كَوَقْعِ الصّياصِي فِـي النّسِيجِ الـمُـمَدّدِ)
وهي شوكتا الديك. وقوله: وَقَذَفَ فِـي قُلُوبِهُمُ الرّعْبَ يقول: وألقـى فـي قلوبهم الـخوف منكم فَريقا تَقْتُلُونَ يقول: تقتلون منهم جماعة, وهـم الـذين قتل رسول الله صلى الله عليه وسـلم منهـم حيـن ظهـر علـيهم وتَأْسِـرُونَ فَرِيقا يقول: وتأسرون منهم جماعة, وهم نسـاؤهم وذراريهـم الـذين سـبوا, كمَا:
21689ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَرِيقا تَقْتُلُونَ الذين ضربت أعناقهم وتَأْسِرُونَ فَرِيقا الذين سبوا.
21690ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: ثنـي يزيد بن رومان فَرِيقا تَقْتُلُونَ وتَأْسِرُونَ فَرِيقا أي قتل الرجال وسبى الذراريّ والنساء. وأوْرَثَكُمْ أرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وأمْـوَالَهُم يقـول: وملككـم بعـد مهلكهـم أرضهم, يعنـي مزارعهم ومغارسـهم وديـارهم يقـول: ومسـاكنهم وأمـوالهم يعنـي سائر الأموال غير الأرض والدور.
وقوله: وأرْضا لَـمْ تَطَئُوها اختلف أهل التأويـل فـيها, أيّ أرض هي؟ فقـال بعضهم: هي الروم وفـارس ونـحوها مـن البلاد التـي فتـحها اللـه بعـد ذلـك علـى الـمسلـمين. ذكر من قال ذلك:
21691ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأرْضا لَـمْ تَطَئُوها قال: قال الـحسن: هي الروم وفـارس, وما فتـح الله علـيهم.
وقال آخرون: هي مكة. وقال آخرون: بل هي خيبر. ذكر من قال ذلك:
21692ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: ثنـي يزيد بن رومان وأرْضا لَـمْ تَطَئُوها قال: خيبر.
21693ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله وأوْرَثَكُمْ أرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ قال: قُرَيظة والنضير أهل الكتاب وأرْضـا لَـمْ تَطَئُوها قال: خيبر.
والصواب من القول فـي ذلك أن يقال: إن الله تعالـى ذكره أخبر أنه أورث الـمؤمنـين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض بنـي قريظـة وديارهم وأموالهم, وأرضا لـم يطئوهـا يومئـذٍ ولـم تكـن مكـة ولا خَيـبر, ولا أرض فـارس والروم ولا الـيـمن, مـما كان وطئوه يومئذٍ, ثم وطئوا ذلك بعد, وأورثهموه الله, وذلك كله داخـل فـي قوله وأرْضا لَـمْ تَطَئُوهـا لأنـه تعالـى ذكره لـم يخصص من ذلك بعضا دون بعض. وكانَ اللّهُ علـى كُلّ شَيْءٍ قَـدِيرا يقول تعالـى ذكره: وكان الله علـى أن أورث الـمؤمنـين ذلك, وعلـى نصـره

إياهم, وغير ذلك من الأمور قدرة, لا يتعذّر عليه شيء أراده, ولا يمتنع عليه فعل شيء حاول فعله.

الآية : 28 -29

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا النّبِيّ قُل لأزْوَاجِكَ إِن كُنتُنّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتّعْكُنّ وَأُسَرّحْكُنّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنّ تُرِدْنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالدّارَ الآخِرَةَ فَإِنّ اللّهَ أَعَدّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنّ أَجْراً عَظِيماً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لِإَزْوَاجِكَ إنْ كُنْتنّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدّنْيا وَزِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتّعْكُنّ يقول فإني أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم إياهنّ بالطلاق بقوله: وَمَتّعُوهُنّ على المُوسِعِ قَدَرُهُ, وَعلى المُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتاعا بالمَعْرُوفِ حَقّا على المُحْسِنِينَ وقوله: وأُسَرّحْكُنّ سَراحاً جَمِيلاً يقول: وأطلقكنّ على ما أذن الله به, وأدّب به عباده بقوله: إذَا طَلّقْتُمُ النّساءَ فَطَلّقُوهُنّ لِعِدّتِهِنّ. وَإنْ كُنْتُنّ تُرِدْنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ يقول: وإن كنتنّ تردن رضا الله ورضا رسوله وطاعتهما فأطعنهما فإنّ اللّهَ أعَدّ للْمُحْسِناتِ مِنْكُنّ وهن العاملات منهنّ بأمر الله وأمر رسوله أجْرا عَظِيما.

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من عرض الدنيا, إما زيادة في النفقة, أو غير ذلك, فاعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا فيما ذكر, ثم أمره الله أن يخيرهنّ بين الصبر عليه, والرضا بما قسم لهنّ, والعمل بطاعة الله, وبين أن يمتّعهنّ ويفارقهنّ إن لم يرضين بالذي يقسم لهن. وقيل: كان سبب ذلك غيرة كانت عائشة غارتها. ذكر الرواية بقول من قال: كان ذلك من أجل شيء من النفقة وغيرها.

21694ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن أيوب, عن أبي الزبير, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج صلوات, فقالوا: ما شأنه؟ فقال عمر: إن شئتم لأعلمنّ لكم شأنه فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فجعل يتكلم ويرفع صوته, حتى أذن له. قال: فجعلت أقول في نفسي: أيّ شيء أكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله يضحك, أو كلمة نحوها؟ فقلت: يا رسول الله لو رأيت فلانة وسألتني النفقة فصككتها صكة, فقال: «ذلكَ حَبَسَنِي عَنكُمْ» قال: فأتى حفصة, فقال: لا تسألي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا, ما كانت لك من حاجة فإليّ ثم تتبع نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم, فجعل يكلمهنّ, فقال لعائشة: أيغرّك أنك امرأة حسناء, وأن زوجك يحبك؟ لتنتهينّ, أو لينزلنّ فيك القرآن قال: فقالت أمّ سلمة: يا ابن الخطّاب, أو مَا بقي لك إلاّ أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين نسائه, ولن تسأل المرأة إلا لزوجها قال: ونزل القرآن يا أيّها النّبِيّ قُلْ لأزْوَاجِكَ إنْ كُنْتنّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدّنْيا وَزِينَتَهَا... إلى قوله أجْرا عَظِيما قال: فبدأ بعائشة فخيرها, وقرأ عليها القرآن, فقالت: هل بدأت بأحد من نسائك قبلي؟ قال: «لا», قالت: فإني أختار الله ورسوله, والدار الآخرة, ولا

تـخبرهنّ بـذلك قـال: ثـم تتبعهـنّ فجعـل يخيرهـنّ ويقـرأ علـيهنّ القـرآن, ويخبرهن بـما صنعت عائشة, فتتابعن علـى ذلك.

21695ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها النّبِـيّ قُلْ لاِءَزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُـنّ تُـرِدْنَ الـحَياةَ الدّنْـيا وَزِينَتَهـا فَتَعالَـيْنَ أُمَتّعْكُـنّ وأُسَـرّحْكُنّ سَـرَاحا جَمِيلاً... إلَـى قـوله: أجْـرا عَظِيـما قـال: قـال الـحسن وقتادة: خيرهنّ بـين الدنـيا والآخرة والـجنة والنـار فـي شـيء كـنّ أردنه من الدنـيا. وقال عكرمة فـي غيرة: كانت غارتها عائشة, وكـان تـحته يومئذٍ تسع نسوة, خمس من قُرَيش: عائشة, وحفصة, وأمّ حبـيبة بنت أبـي سفـيان, وسودة بنت زمعة, وأمّ سلـمة بنت أبـي أميّة, وكانت تـحته صفـية ابنة حُـيـيّ الـخَيبرية, وميـمونة بنت الـحارث الهلالـية, وزينـب بنـت جحـش الأسدية, وجُوَيرية بنت الـحارث من بنـي الـمصطلق, وبـدأ بعائشـة, فلـما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة, رُئي الفرح فـي وجه رسـول اللـه صـلى الله عليه وسـلم, فتتـابعن كلهـنّ علـى ذلـك واخـترن اللـه ورسـوله والـدار الآخرة.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلـى, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة, عن الـحسن, وهو قول قتادة, فـي قول الله يا أيّها النَبِـيّ قُـلْ لاِءَزْوَاجِـكَ إنْ كُنْتُنّ تُرِدْنَ الـحَياةَ الدّنْـيا وَزِينَتَها... إلـى قـوله عَظِيـما قـالا: أمـره الله أن يخيرهنَّ بـين الدنـيا والآخرة والـجنة والنار قال قتادة: وهي غيرة من عائشة فـي شيء أرادته من الدنـيا, وكان تـحته تسع نسوة: عائشـة, وحفصـة, وأمّ حبـيبة بنت أبـي سفـيان, وسودة بنـت زمعـة, وأمّ سلـمة بنـت أبـي أميّـة, وزينب بنت جحش, وميـمونة بنت الـحارث الهلالـية, وجُوَيرية بنت الـحارث من بنـي الـمصطلق, وصفـية بنت حُـيـيّ بـن أخطـب فبـدأ بعائشـة, وكـانت أحبهنّ إلـيه فلـما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة, رُئي الفرح فـي وجـه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتتابعن علـى ذلك.

21696ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلـى, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الـحسن, وهو قول قتادة قال: لـما اختَرْنَ الله ورسوله شـكرهنّ الله علـى ذلك فقال لا يحلّ لكَ النساءُ مِنْ بَعـدُ وَلاَ أنْ تَبَـدّلَ بهِ نّ مِـنْ أزْوَاجٍ وَلَوْ أعْجبكَ حُسنُهنّ فقصره الله علـيهنّ, وهـنّ التسـع اللاتـي اخـترن اللـه ورسوله. ذكر من قال ذلك من أجل الغيرة:

21697ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قول الله: تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنّ, وَتُؤْوِي إلَـيْكَ مَنْ تَشاءُ... الآية, قـال: كـان أزواجه قد تغايرن علـى النبـيّ صلى الله عليه وسلم, فهجرهنّ شـهرا, نـزل التـخيـير من الله له فـيهنّ يا أيّها النّبِـيّ قُلْ لاِءَزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنّ تُرِدْنَ الـحَياةَ الدّنْـيا وَزِينَتَها فقرأ حتـى بلغ وَلا تبَرّجْنَ تَبرّجَ الـجاهِلِـيّةِ الأُولـى فخيرهنّ بـين أن يخترن أن يخلـي سبيـلهنّ ويسـرّحهنّ, وبـين أن يقمـن إن أردن اللـه ورسوله علـى أنهنّ أمّهات الـمؤمنـين, لا ينكحن أبدا, وعلـى أنه يـؤوي إلـيه من يشاء منهنّ, لـمن وهب نفسـه لـه حتـى يكـون هـو يرفـع رأسـه إلـيها, ويرجي من يشاء حتـى يكون هو يرفع رأسه إلـيها, ومـن ابتغـى مـمن هـي عنده وعزل فلا جناح علـيه, ذلك أدنى أن تقـرّ أعينهـنّ, ولا يحـزنّ, ويرضـين إذا علـمن أنه من قضائي علـيهنّ, إيثار بعضهنّ علـى بعض, أدنى أن يرضـين قال: ومن ابتغيت مـمن عزلـت مـن ابتغـى أصـابه, ومـن عـزل لـم يصـبه, فخيرهنّ بـين أن يرضين بهذا, أو يفـارقهنّ, فـاخترن الله ورسوله, إلاّ امرأة

واحدة بدوية ذهبت وكان على ذلك, وقد شرط له هذا الشرط, ما زال يعدل بينهنّ حتى لقي الله.

21698ـ حدثنا أحمد بن عبدة الضبي, قال: حدثنا أبو عوانة, عن عمر بن أبي سلمة, عن أبيه, قال: قالت عائشة: لما نزل الخيار, قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّي أُرِيدُ أنْ أذْكُرَ لَكِ أمْرا فَلا تَقْضِي فِيهِ شَيْئا حتى تَسْتأمِرِي أبَوَيْكِ» قالت: قلت: وما هو يا رسول الله؟ قال: فردّه عليها, فقالت: ما هو يا رسول الله؟ قال: فقرأ عليهنّ يا أيّها النّبِيّ قُلْ لأزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنّ تُردْنَ الحَياةَ الدّنْيا وَزِينَتَها... إلى آخر الآية قالت: قلت: بل نختار الله ورسوله قالت: ففرح بذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بشر, عن محمد بن عمرو, عن أبي سلمة, عن عائشة, قالت: لما نزلت آية التخيير, بدأ النبيّ صلى الله عليه وسلم بعائشة, فقال: «يا عائِشَةُ إنّ ي عارضٌ عَلَيْكِ أمْرا فَلا تَفْتاتِي فِيهِ بشَيْءٍ حتى تَعْرِضِيهِ على أبَوَيْكِ, أبي بَكْر وأُمّ رُومانَ» فقالت: يا رسول الله وما هو؟ قال: «قال الله يا أيّها النّبِي قُلْ لأزْوَاجكَ إنْ كُنْتُنّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدّنْيا وَزِينَتَها إلى عَظِيما, فقلت: إني أريد الله ورسوله, والدار الآخرة, ولا أؤامر في ذلك أبويّ أبا بكر وأمّ رومان, فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم استقرأ الحُجَرَ فقال: «إن عائشة قالت كذا», فقلن: ونحن نقول مثل ما قالت عائشة.

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي, قال: حدثنا أبي, عن ابن إسحاق, عن عبد الله بن أبي بكر, عن عمرة, عن عائشة, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما نزل إلى نسائه أُمر أن يخيرهنّ, فدخل عليّ فقال: «سأذكر لَكِ أمْرا وَلا تَعْجَلِي حتى تَسْتَشِيرِي أباكِ», فقلت: وما هو يا نبيّ الله؟ قال: «إنّي أُمِرْتُ أنْ أُخَيّرَكُنّ», وتلا عليها آية التخيير إلى آخر الآيتين قالت: قلت: وما الذي تقول؟ لا تعجلي حتى تستشيري أباك, فإني أختار الله ورسوله فسُرّ بذلك, وعرض على نسائه, فتتابعن كلهنّ, فاخترن الله ورسوله.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني موسى بن عليّ, ويونس بن يزيد, عن ابن شهاب, قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن, أن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم قالت: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه, بدأني, فقال: «إنّي ذَاكِرٌ لَكِ أمْرا, فَلا علَيْكِ أنْ لا تَعْجَلِي حتى تَسْتأمِرِي أبَوَيْكِ» قالت: قد علم أن أبويّ لم يكونا ليأمراني بفراقه قالت: ثم تلا هذه الآية: يا أيّها النّبِيّ قُلْ لِاءَزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدّنْيا وَزِينَتَها فَتَعالَيْنَ أمَتّعْكُنّ وأسَرّحْكُنّ سَرَاحا جَمِيلاً قالت: فقلت: ففي أيّ هذا استأمر أبويّ؟ فإني أريد الله ورسوله, والدار الآخرة قالت عائشة: ثم فعل أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت, فلم يكن ذلك حين قاله لهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم, فاخترنه طلاقا من أجل أنهنّ اخترنه.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: {يَنِسَآءَ النّبِيّ مَن يَأْتِ مِنكُنّ بِفَاحِشَةٍ مّبَيّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً }.

يقول تعالى ذكره لأزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم: يا نِساء النّبِيّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنّ بفاحِشَةٍ مَبَيّنَةٍ يقول: من يزن منكنّ الزنى المعروف الذي

أوجب الله عليه الحدّ, يضاعف لها العذاب على فجورها في الآخرة ضعفين على فجور أزواج الناس غيرهم, كما:

21699ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ قال: يعني عذاب الآخرة.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار: يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ بالألف, غير أبي عمرو, فإنه قرأ ذلك: «يُضَعّفْ» بتشديد العين تأوّلاً منه في قراءته ذلك أن يضعّف, بمعنى: تضعيف الشيء مرّة واحدة, وذلك أن يجعل الشيء شيئين, فكأن معنى الكلام عنده: أن يجعل عذاب من يأتي من نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم بفاحشة مبينة في الدنيا والآخرة, مثلي عذاب سائر النساء غيرهنّ, ويقول: إنّ يُضَاعَفْ بمعنى أنْ يجْعَل إلى الشيء مثلاه, حتى يكون ثلاثة أمثاله فكأن معنى من قرأ يُضَاعَفْ عنده كان أن عذابها ثلاثة أمثال عذاب غيرها من النساء من غير أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم, فلذلك اختار «يضعّف» علـ ى يضاعف. وأنكر الآخرون الذين قرءوا ذلك يضاعف ما كان يقول في ذلك, ويقولون: لا نعلم بين: ويُضاعَفْ ويُضَعّفْ فرقا.

والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار, وذلك يُضَاعَفْ. وأما التأويل الذي ذهب إليه أبو عمرو, فتأويل لا نعلم أحدا من أهل العلم ادّعاه غيره, وغير أبي عُبيدة معمر بن المثنى, ولا يجوز خلاف ما جاءت به الحجة مجمعة عليه بتأويل لا برهان له من الوجه الذي يجب التسليم له.